AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY
18 JUL 1970
Tel. 260458

252.6
M941tA
c.1

المطران اغناطيوس مبارك

مثلهم ثم قاؤمنهم أنهم
أنهم
من ثمارهم تعرفونهم
«متى ٧-٢٠»

الثمر المبارك

من نفائس وروائع

المواعظ الدينية والاجتماعية والتصريحات والخطب السياسية والادبية

القاها بين عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٦

العلامة الخطيب المفوّه صاحب السيادة

المطران اغناطيوس مبارك

رئيس اساقفة بيروت الماروني

جمعها ونسقها وطبعها على نفقته

الخوراسقف بطرس حبيقه

رئيس مدرسة مار بطرس

بسكنتا - لبنان

تقدمة بنوية - تقديرًا لجهاد سيادته الرسولي في تعزيز الدين الكاثوليكي
ولتفانيهِ المجرد في سبيل الامة والوطن

الحقوق محفوظة

١٩٣٦

مطبعة المرسلين اللبنانيين جونيه - لبنان

كتابك فيه للدارين عهد جيب بمن مساوئهُ تدارك
ألا ذق من ثمار الدين شهداً وقل ما اطيب الثمر المبارك

(ب.ح)

S. Ex. Mgr. Ignace Mobarak

Archevêque Maronite de Beyrouth

Né à Richemaya - Liban le 26 Sept. 1876, prêtre le 29 Juin 1901
élu le 23 Fév. 1919, sacré le 2 Mars

المقدمة

هوذا المطران مبارك فاقرأوه

ان ما يقوله المطران مبارك هو ثمرة قلبه الكبير، ودماغه الكبير . لهذا وسمنا الكتاب الذي جمعنا فيه مقالاته باسم « الثمر المبارك » ولا نقدمه للمتشوقين الى مطالعته بغير هذه الكلمة الوجيزة، فهو يقدم نفسه بنفسه، واصلاً به – منذ اول كلمة منه – جنان القارىء ودماغه ؛ فلا ينفك عنه حتى يأتي عليه طامعاً بالمزيد . فنعده بالمزيد اذا قيض الله لنا حياة وقوة .

ثم اذا قرأتم المطران مبارك في هذا الكتاب، فاعلموا انكم تقرأون – لا ما كتبه بيده – بل ما التقطناه واقتطفناه ؛ ولا تحسبوا انكم تقرأون كل مقولاتهِ، فما هذا الكتاب غير بدرة من كنز، وقطرات من بحر

الخوراسقف بطرس عيقه

المطران اغناطيوس مبارك

مجمل من ترجمة حياته

مولده وبلدته واسرته

قصبة رشميا في الصرد الجنوبي من الشوف (لبنان) . ولد فيها المترجم في اليوم السابع والعشرين من ايلول سنة ١٨٨٦ . – فهذا السيد النابغة هو ابن يوسف غنطوس من بيت مبارك – وآل هـذا البيت عشيرة وافرة العدد في لبنان والمهجر – وهو ابن هيلانه بنت نوهرا الكك من دير القمر أصلا ورشميا مولداً . ولما صبغ بماء العماد جلي باسم اغناطيوس احتفاظاً باسم جدّه، وتيمناً بالقديس اغناطيوس الشهيد اول بطريرك على انطاكية الذي مشى على منواله في مضمار الجهاد الديني والمدني .

أيام تعلمه

طبعه الوالدان بطابعهما سيرةً وأخلاقاً – وفي السابعة من عمره دخل مدرسة دير مار يوحنا رشميا للرهبان اللبنانيين ، فأيدت العناية به قوة في فطرته ، واشراقاً في قريحته ، وذكاء متوقداً في مداركه ، فأخذ في مدرسته الاولى بدايات العلوم باللغتين العربية والسريانية ، ولم يقف دون نهاياتها لأن والده لما آنس فيه دلائل النبوغ أدخله وهو في الحادية عشرة من سنه مدرسة الحكمة في بيروت ، في تشرين الاول ١٨٨٧ ، فتلقى فيها – في سنوات ست علوماً جمة برع في جميعها ، وتضلع تضلعاً تاماً من اللغتين العربية والفرنساوية ، وأخذ قليلاً من اللاتينية . وكان متفوقاً بين الطلبة يشار اليه بالبنان وهو الشاب اللامع بحسن مسلكه وصفاء جوهره وزكاء مخبره = وفي خلال سنواته الدراسية طلب من تلقاء نفسه أن يكون من الدارسين الاكليريكيين فأجيب الى طلبه بعد التحقق من صحة دعوته

مدرسة سان سولبيس

وفي اوائل تشرين الاول من سنة ١٨٩٢ ارسله سلفه السعيد الذكر المطران يوسف الدبس الى باريس ليتم دروسه في اكليريكية سان سولبيس الكبرى على نفقة الدولة الافرنسية التي تبرعت بتعليم تسعة من الطلبة الاكليريكيين الموارنة . فكان ، لذكائه وتفوقه ، واحداً من اولئك التسعة الاذكياء المتفوقين وفي إيسّي وباريس حذق المترجم باللاتينية والفلسفة واللاهوت وسائر العلوم الكنسية ، وكان من اللامعين .

سيامته كاهناً — وظائفه

وبعد أن انهى دروسه العالية سيم كاهناً من يد الكردينال ريشار باسم اغناطيوس (٢٩ حزيران سنة ١٩٠١) وعاد الى لبنان في تموز من السنة نفسها مختمراً ناضجاً مستعداً لبذل نفسه في سبيل منفعة مواطنيه فتلقاه المثلث الرحمة المطران يوسف الدبس بترحاب ، وعينه معلما في مدرسة الحكمة ومعاوناً لمدير الدروس ؛ ثم نقله الى خدمة الرعية في بلدته رشميا ، لانه آنس منه غيرة ورغبة في خدمة النفوس . فقام باعباء هذه المهمة الشاقة ست سنوات في بلدته التي كانت تفتقر ، في ذلك العهد ، الى كاهن متجرد متفانٍ تتوقد في صدره الغيرة الرسولية . فان البروتستانت ، لخلاف بين اهالي القرية ، جاءوا اليها ، ونشروا تعاليمهم فيها ، وفتحوا مدرسة مجانية لاحداثها ، فاستشرى الفساد والتباعد :

استعاذ الكاهن الغيور بالله وبانجيله ، واقبل بجهاد لاحب متواصل على تنظيف وطنه من المبادىء البروتستانية . حتى اضطر البروتستانت الى قفل مدرستهم ومغادرة القرية نادبين خيبتهم .

ثم انصرف الكاهن المجمل بالعلم ، والفضيلة ، والغيرة الرسولية ، والتجرد الكهنوتي الانجيلي ، الى بذل قواه في تثقيف ابناء وطنه ، ففتح للاحداث مدرسة مجانية علم فيها بنفسه ، غير متكبر ، وهو العلّامة ان يكون

للاحداث معلماً واباً . وقد عني بكنيسة القرية فجهزها باجمل الاثاث، وعمل مذابحها الخمسة رخاماً فامتلك القلوب .

ولما سقف الطيب الذكر المطران بطرس شبلي على بيروت، خلفاً للمثلث الرحمة المطران يوسف الدبس استدعى اليه الخوري اغناطيوس – رفيقه في سان سولبيس – وعهد اليه برئاسة مدرسة الحكمة فعني بها عناية فائقة، ورفع مستوى تعليمها بعزيمة ماضية، وجهود قيمة حتى استولى على قلوب الاساتذة والتلاميذ فتعلقوا به ايما تعلق .

ثم عُيّن رئيسا لكهنة مار جرجس الكاتدرائية في بيروت فانصرف بكليته الى الوعظ والتعليم وعيادة المرضى، وجمع الصدقات للمساكين . وتجلت هنالك للناس عبقريته، وبرز نبوغه، واشتهر صيته عابقا كالمسك، ونقياً كالصباح .

في المنفى

في سنة ١٩١٥ – ابان الحرب الكونية نفي المثلث الرحمة المطران بطرس شبلي الى ادنه بامر والي بيروت فطلب الخوري اغناطيوس من الوالي ان يسمح له بالذهاب في اثر مطرانه، فكان ان ذهب وخدم المطران الشهيد بكل تفانٍ الى ان توفاه الله فدفنه بكل كرامة – ورجع الى خدمة الرعية في الكاتدرائية . وبسعيه وعمله نقل رفات ذلك الحبر النابغة الى بيروت، ودفن نهائيا في مار جرجس .

تنفيه

وبعد أن رأي المثلث الرحمة البطريرك الياس الحويك ما رآه من جهود الكاهن العلامة وغيرته ونبوغه وميزاته العلمية والخطابية، رقاه الى الدرجة الاسقفية في ٢٣ شباط سنة ١٩١٩، واستلم ابرشيته في الرابع من اذار – السنة نفسها – ولا تسل عن فرح بيروت آنئذٍ واستبشارها . فتلك

الابرشية التي فقدت الدبس وشبلي وجدت في المطران اغناطيوس حبراً جديراً بأن يكمل ما ابتدأ به : فكان لهم فوق رجائهم .

عنايته بالابرشية

كانت تلك العناية بالغة حد الكمال . فقد عزز الحبر المترجم الاعمال الرعائية في ابرشيته الكبيرة – فرتب رعاياها في المدينة والجبل ، وعزز مدارس القرى ، ونظم زياراته الرعائية قاسماً الابرشية الى ثلاث مناطق يزور في كل سنة منطقة منها بيتاً بيتاً ، حتى بيوت الفقراء الذين لهم في قلبه معزة كبرى – وجعل من زياراته للابرشية رياضة مستمرة ومحكمة نقالة – يرسل قدامه المرسلين لاعداد الاحداث لقبول سر التثبيت ، ولأخذ التقارير عن كل ما يجب اصلاحه وعمله ، ثم يجيء بعدهم واعظاً مرشداً فاضاً للمشاكل ومزيلاً للمنازعات .

وقد رتب الرياضات السنوية في كل ابرشية ، في المدينة وفي جميع القرى ؛ فلا تمضي السنة حتى يكون المرسلون قد طافوا كل الابرشية واقاموا فيها الرياضات السنوية .

مواعظ الصوم

وقد اخذ هذا الراعي الصالح على نفسه القاء مواعظ الصوم في كاتدرائية مار جرجس بيروت كل يوم جمعة مساء .

اما مواعظه – التي نثبت قسماً مهماً منها – في هذه المجموعة – فكان ولا يزال ، يجتمع لسماعها الالوف المؤلفة من كل طبقة من المسيحيين والمسلمين حتى انك لتخال الناس في الكاتدرائية كالبناء المرصوص . وكان بعض الكهنة المقربين الى سيادته يختزلونها على الاثر ويوسلونها الى الصحف ، ولا سيما الى جريدة البشير ، فتنشر تلك المعجزات الخطابية . وهكذا تمكنا من التقاطها واقتطافها وتنسيقها حتى جاءت سفراً نفيساً تجلت فيه غيرة المطران مبارك الرسولية ووطنيته الصادقة وبلاغته الفائقة .

نهضة الكبرى في سبيل العلم

اما مدرسة الحكمة ، منارة العلم وحاضنة اللغة العربية في هذه الاقطار الشرقية ، فقد خصص بها القسم الاكبر من وقته الثمين فعززها ورقاها حتى اصبحت في عهده تضارع ارقى الجامعات .

سلم ادارتها اولاً لحضرة الاباء الغُيُر المرسلين اللبنانيين تحت رئاسة شقيقه العالم الغيور الاب نعمة الله مبارك . ثم لبعض الكهنة العلماء من الابرشية ثم للاباء المرسلين اللبنانيين فكان مجمل ما خدموه بها سبع سنوات

ثم عهد بادارتها الى حضرة الاب العالم مخايل الرجي فالى حضرة الاب الحاذق الخوري يوحنا مارون الرئيس الحالي فارتفعت المدرسة في ايامه الى المستوى الاعلى وصار تلاميذها يعدون في كل سنة اكثر من تسعمائة

وفي السنة ١٩٣٥ بدأ بعمل كبير هو بناء جناح فخم للمدرسة بذل عليه مالاً وافراً . وقد اتمه في العام ١٩٣٦ وسيحتفل قريباً بتدشينه .

النتيجة

ان المطران اغناطيوس مبارك – كرجل وطني – لم يكن يغفل قط عن تعزيز روح الوطنية في كل مواقفه الجريئة . فهو خطيب الساعة – وصاعقة التعليم اللاديني – وعاصفة الغضب المقدس .

رافق المثلث الرحمة البطريرك الحويك الى باريس عام ١٩٢٠ وساعد كثيراً في الحصول على استقلال لبنان . وكانت له اليد الطولى في تبديل الحكم العسكري بالحكم الذاتي . وله مواقف مشهورة في نقد الحكومة ونقد تدابيرها الملتوية . وهو ابداً واقف بالمرصاد في وجه كل من يحاول ان يمس الاستقلال اللبناني . وكل مواقفه وخطبه وتصريحاته يتهيبها من يعنيهم أمرها .

ولا يزال – ايده الله – مجاهداً في الحقلين ، الديني والمدني بحكمة وحنكة وغيرة وجرأة . امد الله في حياته الثمينة تعزيزاً للدين الكاثوليكي والوطن العزيز

مواعظ صوم

١٩٢٩

في

الواجبات الاجتماعية

ألقيت في كاتدرائية بيروت المارونية

العظة الاولى

في

الاخاء البشري

ألقيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٥ شباط سنة ١٩٢٩

موجز العظة

المقدمة

لكل بناء اساس – مذاهب البشر قبل المسيح وبعده في الاخاء البشري

الجزء الاول : اساس الاخاء

ماهية الاخاء وفساد مزاعم دروين .

الجزء الثاني : حالة الاخاء قبل المسيح

« انا انسان وكل ما يتعلق بالانسان ليس بغريب عني » (تيرانس) – ضيق حدود الاخاء عند الاقدمين – السيد المسيح اول معلم للاخاء : « كلكم اخوة » .

الجزء الثالث : اعداء الاخاء

مدينة الله ومدينة البشر – تعليم فلاسفة القرن ١٨ جعل اوربا بحرًا من الدم – الاشتراكية تهدد مصالح الامم – عاقبة البلشفية الخراب – لا اخاء الا بالدين المسيحي

المقدمة

لكل بناء اساس

« لكل بناء اساس واساس الواجبات الاجتماعية الاخاء البشري » . ثم اخذ سيادة الخطيب يبحث في ماهية الاخاء والتعاليم الفاسدة التي دارت حوله ، قبل المسيح وبعده ، وترك شرح تعليم السيد المسيح في الاخاء للعظة الاتية :

الجزء الاول : اساس الاخاء

ماهية الاخاء وفساد مزاعم دروين

بيّن الخطيب في هذا الجزء من خطابه ماهية الاخاء البشري بخلق البشر من اصل واحد، وفساد مزاعم دروين، وذكّر بما كان قد افاض في شرحه، في الماضي، عن تعاليم دروين، ناقضاً اياها علمياً باكتشافات «باستور» الشهيرة، التي غيرت وجهة المباحث العلمية والفلسفة العصرية بارجاعها الى الفلسفة المسيحية . ثم اوضح صحة التعليم المسيحي مأخوذاً عن الوحي الالهي برجوع الانسان الى اصل واحد، ومن هنا نتج وجوب الاخاء البشري

الجزء الثاني : حالة الاخاء قبل المسيح

« انا انسان وكل ما يتعلق بالانسان ليس بغريب عني » (تيرانس)

قال الشاعر الروماني (تيرانس) : « انا انسان وكل ما

يتعلق بالانسان ليس بغريب عني » . لا يعني ذلك عنده كل البشر ، بل مَن كان يعتبره الاقدمون من ذوي الحقوق البشرية ، وهم ابناء المملكة الواحدة .

ضيق حدود الاخاء عند الاقدمين

فالرومانيون ما كانوا يعتبرون بشراً الا ابناء رومية ، واليونان مثلهم ، وهكذا سائر الشعوب ، حتى اليهود انفسهم . ومن كان خارجاً عن الشعب الروماني او اليوناني عُدَّ بربرياً لا حق له ولا احترام لكل ما يخصه . مسكين العبد ! وفي وسط المملكة الرومانية كان اكثر من نصف السكان يعتبرون غرباء عن البشرية ، لانهم كانوا من طبقة العبيد ، والعبد في عرف الاقدمين ، سلعة تباع وتشرى ، يتصرف مولاه في حياته وعرضه وجناه كما يشاء .

السيد المسيح اول معلم للاخاء : « كلكم اخوة »

فأين الاخاء البشري ، واين المبادىء الشريفة ؟ ان العالم لم يعرفها الا عند ظهور السيد المسيح الذي نادى بهذه المبادىء الشريفة : « الكبير فيكم فليكن لكم خادماً . احبوا بعضكم بعضاً . كلكم اخوة » ؛ عند ظهور ذلك الدين الذي علم بولس ان يقول : « لا عبد ولا حر بل كلنا بالمسيح » ولذا ، عندما ارجع اونسيموس العبد الى تلميذه فيليمون كتب اليه يقول : « لا تقبله كعبد بل كأخ بالمسيح » .

واشار سيادة الخطيب الى ان هذا الكلام سيكون موضوع عظته في المرة الآتية. واكتفى في هذا الخطاب بان اوضح ما هو الاخاء البشري، بعد المسيح، خارجاً عن تعاليم المسيح.

الجزء الثالث : اعداء الاخاء

مدينة الله ومدينة البشر

ان الله سمح، كما يقول القديس اغوسطينوس، ان يوجد في الكون مدينة الله ومدينة البشر، او كما يقول القديس اغناطيوس مؤسس الرهبانية اليسوعية، عسكر المسيح وعسكر الشيطان، كي يتسنى للخير ان يظهر ويكون ذا استحقاق في مكافحة الشر. ان عسكر الشيطان منذ ابتداء الدين المسيحي، اراد ان يحارب عسكر المسيح، ويدعي ايجاد الاخاء خارجاً عن المبادىء المسيحية

وهنا افاض الخطيب المفضال في ذكر الهرطقات والمذاهب المختلفة التي ظهرت بعد مجيء المسيح، فكانت نتائجها لا الاخاء والحب بل البغض والحقد والظلم

تعليم فلاسفة القرن ١٨ جعل اوربا بحراً من الدم

ففي القرن الثامن عشر قام الفلاسفة الكذبة، من امثال فولتر وروسو، وتركوا كل الاديان، بحجة نزع التنافر من بين الناس، وحاولوا ان يؤسسوا اخاء بشرياً جديداً على تعاليم العقل والفلسفة وحدها. واسكرتهم المبادىء التي جاهرت بها

الثورة، وهي: الحرية والاخاء والمساواة. فكانت نتيجة مبادئهم الخارجة عن الدين، ان قُطعت بالمقاصل رؤوس الملايين، واصبحت اوربة بحراً من الدم، بسبب البغض الذي ثار في القلوب

الاشتراكية تهدد مصالح الامم

ثم جاءت الاشتراكية اللادينية، في القرن التاسع عشر، فنبذت الدين واسست الحكومات اللادينية. فكانت نتيجة ذلك الضغائن بين طبقات الشعب والمفاسد التي تهدد الامم في اعظم مصالحها واسماها.

عاقبة البلشفية الخراب

اخيراً جاءت البلشفية، لا دين لها، فكانت عاقبتها خراب البلاد الروسية وانتشار الجور فيها، وموت شعبها جوعاً، بعد ان كانت توزع القوت على انحاء اوربة

هذه هي، باختصار، تعاليم الاخاء البشري ونتائجها، خارجاً عن الدين المسيحي. فكأني بالبشرية تصرخ وتعيد كلام القديس اغوسطينوس القائل: ان قلبي لا يزال قلقاً مضطرباً حتى يرتاح فيك يا الله!

لا اخاء الا بالدين المسيحي

فالرجوع الى الدين المسيحي هو الواسطة الوحيدة للرجوع الى الاخاء الحقيقي

العظة الثانية

في

الاخاء المسيحي

ألقيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٢٢ شباط سنة ١٩٢٩

موجز العظة

المقدمة

نور من السماء

الجزء الاول : اساس الاخاء المسيحي

صعوبة الحقائق النظرية وسموها – اساس الاخاء المسيحي : اب واحد، اخ واحد، فادٍ واحد، وطن واحد، شريعة واحدة .

الجزء الثاني : مثال الاخاء المسيحي

يسوع مثالنا – ما الرسل والرهبان والراهبات والمرسلون سوى جنود الاخاء المسيحي – عدو الاخاء « الانانية » .

المقدمة

نور من السماء

بدأ الخطيب بان لخص للحاضرين عظته السابقة، حيث برهن عن فشل الاخاء البشري، القائم على الفلسفة الطبيعية. ثم ابتهل الى السيد المسيح كي يمن على الانسانية بالاخاء الحقيقي فتتبع وصيته الالهية، تلك الوصية الجديدة التي كان العالم قد جهلها تمام الجهل والتي اسسها السيد المسيح على تعاليم واضح سام، واعطانا في ذاته مثالاً عن ممارستها، وزاد على ذلك قوة تجعلنا ننتصر على الانانية الغريزية.

الجزء الاول : اساس الاخاء المسيحي

صعوبة الحقائق النظرية وسموّها

ان جميع الناس يذوقون كثيراً من المصاعب في فهم الحقائق النظرية والاسرار السامية. وان جميع الناس، من مسيحيين وغيرهم، يعترفون بسمو الحقائق الادبية التي يتضمنها الانجيل، حتى ان فولتر، الذي اشتهر بانكاره الحقائق الايمانية، كان مع ذلك يعظ بتلك الحقائق الادبية ويقول: انه لو لم تكن موجودة، لخرب الكون وتلاشت الهيئة الاجتماعية. وكان نابليون الكبير يبرهن عن لاهوت السيد المسيح بسمو المبادىء الانجيلية الادبية. والقديس منصور دي بول يقهر التجارب ضد الايمان بالتأمل

في الانجيل ومبادئهِ الادبية تأملًا جعله قدوة الحنان والمحبة -

اب واحد، اخ واحد، فادٍ واحد، وطن واحد، شريعة واحدة

فالاخاء المسيحي قائم على اسمى التعاليم واجلاها : يجب على المسيحي ان يحب جميع الناس لأن لهم اباً واحداً هو الله، ولان لهم اخاً واحداً هو المسيح، ولأن المسيح افتدانا جميعاً وفتح امامنا باب وطن واحد هو السماء، ولأن الطريق الى هذا الوطن واحد هو شريعة الاخاء بالمحبة والعدل.

وهنا افاض سيادة الخطيب في شرح البراهين الدالة على اننا ابناء اب واحد مؤيداً كلامه بشهادات عديدة من الانجيل المقدس ورسائل القديس بولس. واوضح كيف ان هذا التعليم ازال الحواجز بين الشعوب واوجب على المسيحي ان يحب الناس من جميع الملل والاديان والطوائف. ثم شرح كيف ان السيد المسيح، باتحاد اللاهوت مع الناسوت، جعلنا كلنا اخوة له، وجرّأنا على ان ندعو اله السماء ابانا، بتلك الصلاة السامية التي نكررها في كل يوم وهي « ابانا الذي في السماوات »

ثم ابان الخطيب بمثلين شخصيين مؤثرين للغاية، عن محبة ابناء الوطن الواحد، بعضهم لبعض، دون نظر الى دين او طائفة في ديار الغربة خصوصاً في ارض المنفى. ومن هذين المثلين أنتج وجوب محبة المسيحيين لجميع الناس لانهم في ديار منفى يحنون الى وطن واحد وهو السماء. وانهى هذا القسم بوجوب

الاخاء حسب شريعة المحبة والعدل، الموجزة بهاتين الآيتين : انا اعطيكم وصية جديدة وهي ان يحب بعضكم بعضاً ... لا تفعلوا بالناس ما لا تريدون ان يفعلوا بكم ...

الجزء الثاني : اساس الاخاء المسيحي

يسوع مثالنا

يجب على كل منا ان يتخذ المثال ضرورة لتطبيق التعليم . وهذا المثال العظيم هو السيد المسيح ذاته، اولاً بتجسده، فانه احب البشر، واحبهم للغاية، رغم ابتعادهم عنه بعداوة الخطيئة . ثانياً بتبشيره واعماله، حيث انه بشّر الجميع، خصوصاً المساكين وعمل الخير مع الجميع دون تمييز بين اليهود والسامريين والوثنيين ابناء فونيقية، ثالثاً بموته على الصليب فداء لاخصائه الذين تبعوه ولاعدائهِ الذين صلبوه وللبشرية التي اهانته .

ما الرسل والرهبان والراهبات سوى جنود الاخاء المسيحي

وقد رأينا هذا المثال يدفع الرسل الى طواف الارض كلها باذلين النفس لتنوير الاذهان وتهذيب الارادة وضم الجميع تحت لواء هذا الاخاء المسيحي : « من يمرض ولا امرض انا، ومن يشكّك ولا احترق انا » . رأينا هذا المثال يقذف بالعساكر الجرارة من المرسلين، يغادرون اوطانهم وعيالهم وملذاتهم ويضحون براحتهم وبنفوسهم في سبيل خير برابرة افريقية واهالي الهند والصين واليابان واميركة . رأينا هذا المثال يجرّ الالوف المؤلفة

من رهبان وراهبات تخصصوا لخدمة اليتامى والضعفاء والعجَّز والمرضى والموبوئين بأفتك الأوبئة، فوجدوا في امثال راهبات المحبة أمًّا تحنو عليهم وتنحني على شقائهم بحنان لم تعرفه الامُّ الطبيعية. فانتشرت الروح المسيحية في جميع أقطار الكون، وتوصلت الى حادثة يجب ان يسطر ذكرها بماء الذهب في تاريخ البشر الا وهي الغاء العبودية.

عدو الاخاء «الانانية»

ثم افاض الخطيب في ذكر الصعوبات التي يلاقيها الانسان، رغماً من التعليم المسيحي وأمثال السيد المسيح، في الانانية الموروثة عن الخطية الاصلية. وأنتج ضرورة المساعدة الالهية الفائقة الطبيعة. وهذه المساعدة اوجدها السيد المسيح بالنعمة التي تعطى لجميع البشر بواسطة الصلاة والاسرار الالهية.

العظة الثالثة

في

الرذائل المضادة للاخاء المسيحي

وهي الكبرياء والحسد ونتائجها

ألقيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في اول اذار ١٩٢٩

موجز العظة

المقدمة

اسباب عدم الاخاء

الجزء الاول : الكبرياء والحسد

الكبرياء مبلبلة الكون - الحسد كبرياء سافلة

الجزء الثاني : بنات الكبرياء

البغض والانتقام والغضب - البغض والانتقام - الغضب

المقدمة

اسباب عدم الاخاء

واصل صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك موضوعه في وجوب الاخاء والمحبة بين المسيحيين لجميع الناس، وبحث عن السبب في عدم المحافظة على هذه الوصية الثمينة، فوجده في رذائل اساسية ورثناها من الخطيئة الاصلية. وقسم موضوعه الى البحث اولاً عن هذه الرذائل الاساسية، ثانياً عن نتائجها.

الجزء الاول: الكبرياء والحسد

الكبرياء مبلبلة الكون

ان الرذائل التي تسبب نفي الاخاء المسيحي هي، بنوع خاص، الكبرياء والحسد. اما الكبرياء فنتائجها وخيمة على البشرية وعلى المتكبرين انفسهم، مثل الملائكة الذين تكبروا فبلبلوا السماء وسقطوا تحت لعنة الله وصاروا شياطين، ومثل ابوينا الاولين اللذين خطئا خطيئة الكبرياء ليصيرا الهين، فطردا من الفردوس واورثانا الويلات التي لا تزال لاحقة بنا الى الان.

واسهب بامثلة تاريخية عديدة مبيناً نتائج الكبرياء في الحروب الكونية والدولية، ثم نتائجها السياسية وما يتبعها من الحروب الاهلية، ونتائجها الداخلية في الاختلافات المحلية

بالقرى والمنازعات الدائمة في العيال، وبين مختلف الطبقات في الهيئة الاجتماعية فجعلت الحرب بين الغني والفقير والعامل والرأسمالي. وكل ذلك يؤدي الى القتل والمجاذر البشرية، فيغرق الاخاء المسيحي في بحر الكبرياء الشيطاني.

الحسد كبرياء سافلة

اما الحسد، فما هو الا نوع من الكبرياء السافلة التي تجعل الحسود حزيناً جباناً، يكتئب لسعادة السعداء، ولو لم يزد ذلك في سعادته، ويفرح بتعس التعساء، ولو لم يخفف ذلك من تعسه. فيقوده الحسد الى الوشاية والنميمة والكذب واهاجة الناس بعضهم على بعض. فشغله الشاغل قائم بالقاء الخلاف والنزاع ليقتتل الناس. وبقدر ما هو يشتهي تعس الغير بقدر ذلك تقرضه دودة الحسد الداخلية فلا يبرح ابداً تعساً شقياً.

ثم بين الخطيب نتائج الحسد الوخيمة بمثال قايين الذي قتل اخاه هابيل بريئاً. ووصف الحسد ونتائجه بين الاولاد الصغار وتلاميذ المدارس واهل الصناعات والفنون والتجارة والسياسة بين مختلف الطبقات. وطلب الى السيد المسيح ان يرفع هذه الافة من بين المسيحيين.

الجزء الثاني : بنات الكبرياء

البغض والانتقام والغضب

ان ما لا تصل اليه الكبرياء والحسد رأساً ، من جهة نفي الاخاء المسيحي ، تصل اليه هاتان الرذيلتان برذائل تتولد عنها ، وهي البغض والانتقام والغضب . فهذه الرذائل الثلاث هي نتيجة الكبرياء بنوع اخص .

البغض والانتقام

وبعد ان شرح البغض ومضادته لشريعة المحبة انتقل الى الكلام عن الانتقام المنتشر سمه في بلادنا فبيّن ان الانتقام هو منافٍ للروح المسيحي تماماً ، وان ما يدعيه البعض من وجوب التشبه بغيرنا في روح الانتقام – والا فيكون «النصارى خسارة» – هو ادعاء فارغ ، لان وصية المسيح بمحبة الاعداء ومثال المسيح على الصليب عندما صلى من اجل صالبيه « يا أبتِ اغفر لهم » كانا سبباً لانتشار روح السلم والشهامة في الاقطار المسيحية . وهذا الروح كان اساساً للتمدن الحقيقي . وفي اي ساعة تركنا هذا الروح نرجع حالاً الى الهمجية الاولى .

الغضب

وبعد ان تكلم سيادة الخطيب عن مضار الغضب انهى شرحه بامثال من امتازوا في التشبه بالسيد المسيح ، خصوصاً

القديس منصور دي بول والقديس فرنسيس دي سال، وابتهل الى السيد المسيح ان ينشر لواء المحبة على جميع المسيحيين كي يتخلصوا من هذه الرذائل بالادوية التي يصفها الانجيل. وهذه الادوية ستكون موضوعاً للعظة الآتية

العظة الرابعة

في

ادوية الرذائل المضادة للاخاء المسيحي

وهي مقاومة الارادة

ألقيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٨ اذار ١٩٢٩

موجز العظة

المقدمة

لا يكفي معرفة الداء بل يجب وصف الدواء

الجزء الاول : إبتداء المسئولية

المسئولية وآراء الفلاسفة بها - لا مسئولية حيث لا معرفة .

الجزء الثاني : وجوب مقاومة الاميال

وجوب المقاومة السلبية - كتاب مدخل العبادة

الجزء الثالث : قهر الرذيلة بالفضيلة

العادة تغلب بالعادة - شفاعة الشهداء الاربعين .

المقدمة

لا يكفي معرفة الداء بل يجب وصف الدواء

بدأ الكلام بالاشارة الى موضوع العظة السابقة، وابان ان الطبيب لا يكتفي بالكشف عن المرض، بل يصف الدواء. فالدواء الشافي للرذائل يقوم بمضادة الارادة عند ابتداء المسؤولية. وقسم سيادة الخطيب عظته ثلاثة اقسام:

الجزء الاول: إبتداء المسئولية

المسؤولية واراء الفلاسفة بها

في الجزء الاول، درس ابتداء المسؤولية، مفنداً رأيين متضادين بمبدئهما، متشابهين بنتائجهما.

الاول رأي «تباع زينون» الذين تشبه بهم كثير من الهراطقة ولاسيما تبّاع جنسينيوس، فحكموا على الانسان بالخطيئة لدى كل حركة أولى تصدر عن الرذائل المتأصلة في البشر. فكانت النتيجة قنوطهم وابتعادهم عن الاسرار والامور الدينية، بحجة عدم استحقاقهم، واستسلموا للفساد فكانوا اكبر المساعدين، في فرنسة، على كفر الفلاسفة الذين اعدوا الثورة الفرنساوية.

والثاني رأي القدَريين، اي اصحاب المقدَّر. وقد اشتهر به، بين المسيحيين، كلفينس الذي قال: بان الانسان لا حرية له

اصلاً، ولا يمكنه ان يستحق الثواب او العقاب، بل ان الله يثيب من يشاء ويعاقب من يشاء، ومن ثم لا لزوم لمحاربة الرذائل، اذ اننا لا نستطيع الانتصار عليها لاننا مسوقون بحكم الله الى الخير او الى الشر. وبما اننا غير مسؤولين على اعمالنا فلم يبق مانع يمنعنا عن ارخاء العنان للشهوات، تاركين الله يرذل من يشاء ويختار من يشاء.

لا مسؤولية حيث لا معرفة

اما التعليم المسيحي الصحيح، فهو ان الانسان ورث من الخطيئة الاصلية الميل الى الفساد. وهذا الميل الذي يهجم بحركات لا ينتبهُ لها الانسان، ويدفعه نحو الرذائل العنيفة من امثال الكبرياء والحسد والانتقام والغضب والبغض، هذا الميل ليس الانسان مسؤولاً عنه، اذ لا مسؤولية دون معرفة وارادة وحرية. لكن هذا لا يمنع ان الانسان، بعد الحركات الاولى، ينتبه لنفسه، وحينئذٍ تبتدىء مسؤوليته ويصير ملتزماً بان يقاوم بارادته الحرة هذه الاميال التي تهيجت فيه.

الجزء الثاني : وجوب مقاومة الاميال

وجوب المقاومة السلبية

في الجزء الثاني شرح سيادة الخطيب القواعد لمضادة تلك الاميال، وذلك اولاً : بالمقاومة السلبية بان لا نطاوع تلك

الاميال، فنسكت، مثلاً، عند ثورة الغضب. واستشهد الخطيب بامثلة عملية من حياة السيد المسيح وعظماء القديسين، خصوصاً القديس منصور دي بول وفرنسيس دي سال.

كتاب مدخل العبادة

وذكر ان هذا القديس، فرنسيس دي سال، الف كتاباً صغيراً بحجمه، كبيراً بقيمته، ليعلم اهل العالم طرق القداسة، وهو كتاب «مدخل العبادة» الذي يجب ان يكون بيد كل انسان. لان القداسة ممكنة لمن هم في العالم، كما هي ممكنة لمن تركوا العالم، بشرط ان يسلكوا القواعد التي اعطاها السيد المسيح، وشرحها الاباء الروحيون باسهاب.

الجزء الثالث : قهر الرذيلة بالفضيلة

العادة تغلب بالعادة

ان الحرب السلبية لهذه الرذائل ليست بكافية، بل يجب علينا ان نغلب العادة بالعادة، فنقهر الرذيلة بالفضيلة المضادة لها: نقهر الكبرياء بالتواضع، والحسد بالغيرة المسيحية، والبغض بالمحبة، والانتقام بالمغفرة، والغضب بالوداعة.

وقد اسهب الخطيب في شرح كل من هذه الفضائل معززاً شرحه ببراهين وامثال عملية واردف كلامه قائلاً:

واعتذر لكم عن هذا الاختصار، واحضكم على درس

هذه الفضائل بالتفصيل والاسهاب في كتاب ثمين يجب على جميع طلاب الكمال المسيحي ان يتعلموا فيه دروس الفضائل السامية بجميع دقائقها . وهذا المؤلف هو كتاب « الكمال المسيحي » الذي الفه الاب رودريكس اليسوعي . ولا نعرف احداً درس النفس البشرية كما درسها هذا الاب الروحي الشهير .

شفاعة الشهداء الاربعين

وبعد ذلك انهى الخطيب عظته بالكلام عن الشهداء الاربعين الذين تحتفل الكنيسة بتذكار عيدهم في اليوم التالي ، وقد اخبر عنهم التاريخ انهم كانوا ، في وسط العذابات نفسها يصلون من اجل مضطهديهم ! . . .

العظة الخامسة

لا تقتل

أُلقيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٥ اذار ١٩٢٩

موجز العظة

المقدمة

نفور الطبيعة من الموت – اساس القتل الخطية الاصلية

الجزء الاول : العدل والمحبة

احترام حياة الانسان توجبه علينا شريعة العدل وشريعة المحبة – للانسان حق استثمار الحياة – احبب قريبك كنفسك – قصاص مخالفي هذه الشريعة .

الجزء الثاني : احترام حياة الصغار

قتل الطفل والجنين فظاعة عظيمة – الاقتداء بالقديس يوسف

المقدمة

نفور الطبيعة من الموت - اساس القتل الخطية الاصلية

ابتدأ سيادة المطران اغناطيوس مبارك عظته الخامسة وموضوعها « لا تقتل » فبين خطورة هذه الوصية باختصارها، فهي، مع انها مؤلفة من كلمتين، نتيجة لسائر العظات السابقة، وهي ايضاً باختصارها موضوع المجلدات الضخمة من القوانين الجزائية في العالم المتمدن. ثم بيّن نفور الطبيعة البشرية من الموت، فكم بالاحرى من القتل. مع ذلك نرى القتل حادثاً يومياً، يتكرر في جميع البلدان. فلا نقدر ان نشرح هذا التناقض بين الطبيعة والواقع، الا بسقطة الخطيئة الاصلية التي اعمت العقل وحكّمت الرذائل بالارادة فاصبح من الضروري لفهم شريعة الله « لا تقتل » ان نشرح موجبات انزال هذه الوصية

الجزء الاول : العدل والمحبة

احترام حياة الانسان توجبه علينا شريعة العدل وشريعة المحبة

ان احترام حياة الانسان توجبه علينا شريعة العدل وشريعة المحبة.

فهي شريعة عدل اولاً بنسبة الى الله، لان الله اعطى الانسان كل سلطة على الكائنات، وبموجب الفصل الأول من سفر التكوين أذن له ان يقتات من ثمار الارض ولحوم

الحيوانات، لكنه حفظ لذاته حياة الانسان. فعندما يعتدي الانسان على حياة غيره، يتعدى على حق الله ذاته.

للانسان حق استثمار الحياة

ثانياً هي شريعة عدل نسبة الى الانسان لان الانسان، ولو لم يكن رب حياته فهو مستثمرها، فالتعدي على حياة القريب ينزع حقه من هذا الاستثمار، وكل حق يستلزم تجاهه واجباً تقف عنده حرية الانسان.

احبب قريبك كنفسك

وهي ايضاً شريعة محبة، وهذه الشريعة قد اختصرها الله بقوله: «احبب قريبك كنفسك». فكما اننا لا نريد ان يقتلنا الناس، لا نقدر ان نقتل غيرنا.

قصاص مخالفي هذه الشريعة

فعلى هذه الشريعة التي غرسها الله في قلب كل واحد منا اسس المشترعون الشرائع المدنية الجزائية، والله جعل قصاص مخالفيها في هذه الدنيا وفي الاخرى: في هذه الدنيا تخس الضمير وقلق البال واضطراب الحياة واخيراً القتل، بموجب القول الشائع: «بشر القاتل بالقتل» وقد بين الكتاب هذا القصاص جسماً في حالة قاين اول قاتل في الكون، ومن مثل قاين اظهر حالة سائر القتلة وقلقهم — وفي الاخرى اعدّ الله القصاص الصارم لسفاكي الدماء.

الجزء الثاني : احترام حياة الصغار

قتل الطفل والجنين فظاعة عظيمة

بحث الخطيب في هل احترام الحياة محصور في الكبار فقط ؟ فبيّن كيف ان فساد العصر جعل قتل الطفل والجنين كأنه مباح ، وهو من افظع الفظائع وبرهن بادلة طبيعية وفلسفية ولاهوتية ان الطفل كالجنين هو انسان كامل نلتزم ان نحترم حياته ، وانتج من هذه البراهين :

اولاً فظاعة الاباء والامهات الذين ينبذون اطفالهم بحجة الفاقة او لغير اسباب مبيناً فضل الكنيسة الكاثوليكية في تأسيسها المآوى للعناية بالاطفال اللقطاء الذين تغلبت الوحشية في امهاتهم على الحنان الطبيعي

ثانياً فظاعة عمل الاطباء الذين يقتلون الطفل ، عند تعسر الولادة للمحافظة على حياة الام ، وشرح تعليم الكنيسة في هذا الشأن

ثالثاً اسمع الخطيب كلمة الويل للواتي يعملن على اسقاط الجنين ، تخلصاً من العار او كثرة الاولاد ، وذكّر الاطباء والصيادلة والحكام بواجب الضمير

الاقتداء بالقديس يوسف

وانهى الخطيب كلامه برفع العقول والقلوب الى العلى بمثال القديس يوسف الذي تخصص هذا الشهر له ، وبيّن كيف

ان القديس يوسف حافظ على عفافه وطهارته بالمحافظة على شرف مريم وحياة يسوع، وطلب من الله ان يقتدي المسيحيون بهذا القديس العظيم ليحافظوا على واجباتهم، بمحافظتهم على عفافهم حسب حالاتهم، وعلى شرف عيالهم وعلى حياة اولادهم وحياة القريب .

العظة السادسة

في

شواذات (لا تقتل)

ألقيت في الكاتدرائية المارونية الجمعة مساء في ٢٢ اذار سنة ١٩٣٥

موجز العظة

المقدمة

« لا تقتل » قاعدة لها شواذ

الجزء الاول : شواذات « لا تقتل »

يجوز دفع القوة بالقوة – الدفاع عن الوطن جائز ايضاً – فوش قرن حب الوطن مع حب الله – واجب الحكومة حفظ الامن والراحة – فيغان مثال الحكام العادلين.

الجزء الثاني : المبارزة والانتحار

المبارزة شر ناتج عن صغر العقل – الانتحار تعدٍ على حقوق الله – شبان شاخوا في زهرة العمر – اودّ ان اضحى فداءً عن شباب رعيتي

المقدمة

«لا تقتل» قاعدة لها شواذ

ذكّر سيادة الخطيب، جماهير الحاضرين بمضمون العظة السابقة، وقال ان الوصية الخامسة «لا تقتل» قاعدة لها شواذ. وبين ان هـذا الشواذ يقوم بالمحاماة العادلة عن الذات وعن الوطن وعن الهيئة الاجتماعية، ولكن يوجد حادثان يعدهما اهل العالم جائزين وهما المبارزة والانتحار، مع ان هذين الامرين، محرمان تحريماً كلياً كسائر انواع القتل.

الجزء الاول : شواذات «لا تقتل»

يجوز دفع القوة بالقوة

اوضح سيادة الخطيب عن الشواذ الجائز؛ مبرهناً اولاً ان جواز المحاماة عن الذات آتٍ عن نص شريعة العدل والمحبة «احبب قريبك كنفسك». فبما ان حب النفس هو قاعدة لحب القريب اصبحت المحاماة عن الذات عذراً في مقاتلة القريب عند تعديه على حياتنا

وعليـه فيجوز للانسان ان يدفع القوة بالقوة. وعنـد الاضطرار النهائي، حيث لا يتمكن من المحاماة عن نفسه الا بالقتل، فيكون القتل اذ ذاك جائزاً والشريعة المدنية تعذره والشريعة الالهية لا تؤثمه.

الدفاع عن الوطن جائز ايضاً

ثانياً : كما ان المحاماة عن الذات جائزة ؛ كذلك المحاماة عن الوطن بالحرب العادلة جائزة هي . وهنا بين سيادة الخطيب بصورة مؤثرة هجمة تلك الثورة الوطنية التي تحولت ، باجتيازها لحدود لبنان ، الى ثورة دينية . فهب اللبنانيون للمحاماة عن ذمارهم وعيالهم وديارهم واموالهم . فهل لاحد ؛ في تلك الحالة ان ينسب اليهم الذنب في محاماتهم ؛ ولو بقتل الاعداء الهاجمين عليهم ؟ (١)

هكذا يجب القول عن كل حرب عادلة لحماية الوطن من الغزاة الظالمين .

فوش قرن حب الوطن مع حب الله

وبهذه المناسبة ذكر سيادة الخطيب جماهير السامعين بذلك القائد الشهير الذي ، بكل حق ، ندعوه المحامي عن الحرية الكونية ، وهو المرشال فوش الذي شمل الحزن كل البلاد لنبأ وفاته . فهو الذي قرن البطولة وحب الوطن الى الدين الحقيقي ومحبة الله .

واجب الحكومة : حفظ الامن والراحة

ثالثاً : اما في وقت السلم ، فعلى الحكومات ان تحافظ وتحامي عن الهيئة الاجتماعية وراحة سكان الوطن . وهنا افاض

(١) اشارة الى ثورة الدروز سنة ١٩٢٥ وذبحهم النصارى في لبنان الجنوبي

سيادة الخطيب في الكلام عن واجبات الحكام شارحاً ما هم ملتزمون به في ما نحن بصدد الكلام عنه، وبرهن ان الضعف في معاقبة الاشرار هو الظلم ذاته؛ كما ان الشدة في معاقبتهم هي العدل ذاته والرحمة نفسها.

فيغان مثال الحكام العادلين

وهنا امرّ على اذهان الحاضرين ذكرى ذلك القائد المسيحي البطل، الجنرال فيغان، الذي عرف ان يجمع المحبة المسيحية الى الادارة العادلة، فلم يتأخر عن نصب المشانق والفتك بالفاتكين وسفكة الدماء فاراح البلاد من الشر والاشرار، ونشر فوقها لواء الامن والسلام

الجزء الثاني : المبارزة والانتحار

المبارزة شر ناتج عن صغر العقل

بين سيادة الخطيب فساد مزاعم من يدعون جواز المبارزة والانتحار. فشرح اولاً ان المبارزة هي انتقام شخصي تحرمه شريعة الله، وانها ناتجة عن صغر عقل ولا تعوض عن الشرف المهان. وتمنى لو ان الحكومة تقابل هذا الشر بمنتهى الشدة استئصالاً لشأفته قبل انتشاره في بلادنا.

الانتحار تعدٍ على حقوق الله

وشرح سيادة الخطيب، ثانياً، ان الانتحار تعدٍ على حقوق

الله الذي حفظ حياة الانسان لحكم عزته الالهية. والانتحار جبانة ازاء الهيئة الاجتماعية وخصوصاً ازاء عائلة من ينتحر، وهو جهل يجعل المنتحر ينتقل من شقاء هذه الحياة الى شقاء الهلاك الابدي في الاخرى. وشكر الخطيب الله لان الانتحار غير منتشر في بلادنا انتشاره في بلاد اخرى.

شبان شاخوا في زهرة العمر!

لكن انتحاراً افظع بدأ ينتشر بيننا وأخذ يذهب بشبيبتنا ويهدد الهيئة الاجتماعية باشد الويلات، وذلك بواسطة بعض المخدرات، وبارتياد بيوت نساء الشر حيث تصاب الشبيبة بمختلف الامراض القتّالة. لذلك بتنا نرى في هذه المدينة شباناً وفتياناً قد شاخوا وهم في زهرة العمر، فبدوا بوجوه مصفرّة وعيون غائرة، واضاعوا قواهم العقلية والادبية والروحية وراحوا يجرون حياة ذابلة ذاوية. فهذا ليس هو انتحار فرد بل انتحار شبيبة بكاملها.

«اود ان اضحى فداء عن شباب رعيتي»

وهنا صاح سيادة الخطيب بصوت ملؤه التأثر والحنان الابوي وقال: ايها المسيحيون، ادعوكم جميعاً الى مناهضة هذه الآفة الوبيلة! فهبوا كلكم هبة رجل واحد لمناصرة شبيبتنا التاعسة ورد هذا الشر الذي كاد يعم شبان بيروت وابتدأ ينسلّ الى لبنان! ان راعي هذه الابرشية يود لو ان يضحى

به فداء عن ابناء رعيته. وكما ان القديس اغوسطينوس طلب الى الله ان يقبله ضحية عن شعبه كي ينقذ من شرور الحروب هكذا انا التمس منك، يا قدوة التضحية، ان تضحي براعي هذه المدينة، وتخلص شبابها! انت الذي نزلت من السماء الى الارض، يوم البشارة، وبفضل تعليمك وتضحيتك خلصت العالم الروماني من فساد ذاك العصر، ألهم شبيبتنا ان ترجع الى تعاليمك وحفظ وصاياك، فتعيش بفضل تعاليمك وحفظ وصاياك سعيدة في هذه الدنيا، وتكون سعيدة في الآخرة، مكافأة على سيرها بحسب هذه التعاليم.

العظة السابعة

السيد المسيح في آلامه قدوة الاخاء والمحبة

ألقيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٢٩ اذار سنة ١٩٢٩

موجز العظة

المقدمة

اعلى درجة في الاخاء بذل النفس

الجزء الاول : المسيح ضحى نفسه من اجل ابيه

سر الفداء

الجزء الثاني : المسيح ضحى نفسه عن احبائه

« ما من حب اعظم من هذا . . . »

الجزء الثالث : المسيح ضحى نفسه عن اعدائه

« يا ابت اغفر لهم » - المسيح مثالنا الاعظم في الاخاء

المقدمة

اعلى درجة في الاخاء بذل النفس (١)

افتتح سيادة الخطيب الكلام بهذه الآية : ما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه. وبيّن ان اعلى درجة في الاخاء والحب هي بذل النفس لان علامات المحبة قائمة بالتضحية بما نملكه من مال وراحة ووقت ومناصب. لكن اعز شيء الى الانسان انما هو ذاته. فالتضحية بالذات هي اعظم علامات الحب. وان السيد المسيح ضحى بذاته، اولاً من اجل ابيه، ثانياً من اجل احبائه، ثالثاً من اجل اعدائه.

الجزء الاول : المسيح ضحى نفسه من اجل ابيه

سر الفداء

اولاً : ان تضحية المسيح بذاته من اجل ابيه هي سر الفداء: لان الخطيئة التي ارتكبها الانسان هي شرٌ غير متناهٍ لا يعوّض عنهُ الا بكفّارة غير متناهية. لذلك اصبح الانسان عاجزاً ان يعوّض عن خطيئته، لان جميع اعماله متناهية ما عدا الخطيئة، لانها موجهة الى الاله الغير المتناهي والذنب فيها

---

(١) هذه العظة كانت بمثابة اكليل لسائر عظات الصوم التي القاها سيادة المطران اغناطيوس مبارك في كاتدرائية القديس جرجس

يقاس بقياس عظمة المهان. فبمحبة فائقة لمجد ابيه اخترع الاقنوم الثاني، الحكمة الالهية، سر التجسد، ليتم الفداء. وهكذا عوّض عن الانسان، لانه انسان، وجعل تعويضه غير متناهٍ لانه اله.

وهنا شرح سيادة الخطيب نوعية هذه التضحية بشرح آية القديس بولس القائل: انك يا رب لم تسرّ بالمحرقات والذبائح، فقلت هاءنذا آتٍ يا الله لاعمل ارادتك. فكفر السيد المسيح عن الكبرياء بالتواضع، وعن اللذة الحسية باماتة الجسد.

الجزء الثاني: ضحى المسيح نفسه عن احبائه

«ما من حب اعظم من هذا...»

ثانياً: شرح سيادة الخطيب تضحية السيد المسيح ذاته من اجل احبائه. احبه الرسل والاباء والانبياء، احبه صلّاح العهد القديم والجديد، فضحى بذاته من اجلهم كي يفتح ابواب السماء المغلقة في وجوههم. وما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه فداء عن احبائه.

الجزء الثالث: ضحى المسيح نفسه عن اعدائه

«يا ابت اغفر لهم»

ثالثاً: عارض سيادة الخطيب قول السيد المسيح موجهاً اليه الكلام قائلاً: انه يوجد حب اعظم من هذا الحب، وهو

ان يبذل الانسان نفسه من اجل اعدائه وهذا ما عمله السيد المسيح: فان جميع البشر كانوا بالخطيئة الاصلية والفعلية اعداء السيد المسيح . وهو من اجلهم جميعاً قد تألم ومات وكما انه قد ضحى بذاته من اجل البشرية رغماً عن عدائها له، ضحى بذاتهِ عن اعدائه الخصوصيين الذين اضطهدوه هو و كنيستهُ، ضحى بذاته عن اليهود والكتبة، ضحى بذاته عن هيرودس وبيلاطوس والجماهير التي كان تسخر به وهو على الصليب، ضحى بذاته من اجل الفلاسفة الكذبة الذين يقاومون دينهُ وتعاليمهُ. وهذه التضحية عبّر عنها بالكلام الذي وجهه الى ابيه من اجل صالبيه : « يا ابتِ اغفر لهم لانهم لا يدرون ماذا يصنعون »

المسيح مثالنا العظيم في الاخاء

والتفت الخطيب الى سامعيه وطلب منهم ان يرفعوا لحاظهم الى هذا المثال العظيم سيدنا يسوع المسيح على الصليب، الذي بذبيحته اختصر جميع التعاليم التي كانت موضوع العظات في هذا الصوم : السيد المسيح هو مثال للاخاء البشري، لان محبته عمّت جميع البشر، وهو اكبر مثال للاخاء المسيحي لان تضحيته بلغت اعلى درجة في التضحية، الا وهي التضحية بالذات، وهي افضل مثال لمكافحة الرذائل، بالفضائل السامية التي ظهرت من السيد المسيح في اوقات آلامه، وخصوصاً التواضع تكفيراً عن الكبرياء، والمغفرة تكفيراً عن الانتقام

والمحبة تكفيراً عن البغضة، والصبر تكفيراً عن الغضب، والغيرة على خلاص البشر تكفيراً عن الحسد. وهي خصوصاً اكبر مثال لاحترام حياة القريب الجسدية والروحية. فعوضاً عن اهانة اعدائه له بالخطيئة والاضطهاد، رأيناه يرضى بان يُضحّى به من اجلهم في سفك دمه وموته على الصليب.

ثم قال: لما كان موسى على الجبل، واراه الله مثال الخباء وتابوت العهد وجميع الآنية اللازمة لخدمة الجلال الالهي، قال له: انظر الي هذا المثال واصنع مثله. هكذا الاب الازلي ينظر اليكم جميعاً ايها المسيحيون، ويريكم ابنه الوحيد على الصليب قائلاً لكم: انظروا هذا المثال العظيم واصنعوا مثله!

مواعظ صوم

١٩٣٠

«لا تسرق»

(الوصية السابعة من وصايا الله)

٦٣١

«رقم ستة»

العظة الاولى

حق التملك

أُلقيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٧ اذار ١٩٣٠

موجز العظة

المقدمة

وجوب تهذيب الحياة المسيحية – حق الانسان في التملك

الجزء الاول : التعاليم المضادة حق الملكية

وضع اليد اساس التملك الفردي – الانسان ليس عبد للانسان – استبداد الاسياد بمال الشركاء – للاشتراكية نتائج وخيمة – الاشتراكية الحكومية (البلشفيكية) تشجع الكسل والرذيلة – روسيا اكبر شاهد

الجزء الثاني : تعليم الكنيسة في حق التملك الفردي

التملك الفردي حق طبيعي – حق التملك الفردي هو اساس العمران والتقدم – حالة لبنان : « حدا بيموت من الجوع » ؟

المقدمة

وجوب تهذيب الحياة المسيحية

بعد ان ذكَّر سيادة الخطيب سامعيه بوجوب تهذيب الحياة المسيحية، غير مكتفين بالايمان وممارسة الاسرار المقدسة لان تهذيب الحياة هو غاية، طلب الى السيد المسيح ان يعزز بالنعمة كلامه انارة للعقول وتطهيراً للقلوب وتقوية للارادة، فيصلح المسيحيون حياتهم بتهذيب حقيقي. ثم افتتح سيادته موضوعه الاول «حق التملك» فقال:

للانسان حق بالتملك

في السنة الماضية درسنا حق الانسان في الحياة. ولكن ما تكون فائدتنا من الحق في الحياة، اذا حُرمنا الحق في وسائط الحياة؟ فهل الانسان ملاك فيكتفي، وهو روح محض، بالحقيقة غذاء؟ لا، بل ان الانسان هو في الوقت نفسه جسد يحتاج الى قوت لغذائه، واكسية لعريه، وبيت يأويه، وحقل يستغله، الى غير ذلك من حاجات الانسان المادية. وان ضرورة هذه الامور لحياته، تنتج ضرورة تملكها، وضرورة تملكها توصلنا الى حق تملكها.

لكن حق التملك هذا قد انكره الشيوعيون والبلشفيكيون في ايامنا! اما الكنيسة المقدسة، فقد حافظت على تعليم حق

الملكية الفردية . ونحن في هذا المساء نبحث اولاً في الآراء المضادة لهذه الملكية الفردية ، وفي النتيجة المضادة لتعليم الكنيسة الكاثوليكية ، وننظر في سوء مغباتها الوخيمة . ثانياً نبحث عن تعليم الكنيسة في حق التملك الفردي ، فنرى انه ، هو وحده ، الرأي العادل المطابق لوضع الله تعالى ولسعادة الانسان في حالته الحاضرة .

الجزء الاول : التعاليم المضادة حق الملكية

وضع اليد اساس التملك الفردي

عندما خلق الله الانسان ، سلطه على جميع الموجودات ، ليستعملها في خدمته وذلك واضح في سفر التكوين . فاستعمل الانسان قسماً من المخلوقات ، من مثل ثمار الارض ولحوم الحيوان غذاء له ، فاصبح الانسان مالكاً لجميع الكائنات على الارض وهكذا كان وضع اليد – وهو اساس التملك – الواسطة الاولى لاستعمال التملك الفردي . لكن الكسل والطمع اللذين استوليا على الانسان ، بعد سقطته الاولى ، أديا بالقوي الى التغلب على الضعيف : يحرث الضعيف ارضه ، فيثب القوي مستولياً عليها بقوته ، دون تعب ولا سابق عناء . ذلك هو اول تعدٍ على حق التملك ، لجأ اليه القدماء اغتصاباً وغزواً ، واستعان به المحدثون حرباً واحتكاراً .

الانسان ليس عبد للانسان

وهنا اثبت الخطيب ظلم هذا التعدي الذي تشمئز منه الطبيعة . ثم شرح طمع الانسان في استيلائه على امثاله، فكانت العبودية، مع ان الله لم يستعبد الانسان لاخيه الانسان . وهكذا خنقت العبودية حرية الانسان التي وهبها الله له : فصار العبد غير حر في شغله ولا في انتاجه ولا في عائلته ولا في حياته، بل اصبح آلة في يد مولاه، وهذا ظلم وطغيان حاربهما الانجيل وحاربتهما الكنيسة حتى توصلت الى الغاء العبودية في العالم المتمدن .

استبداد الاسياد بمال الشركاء

وبعد ذلك قام السادة، من امراء واقطاعيين، واستخدموا الفلاحين شركاء وقاسموهم الغلات في بدء الامر، بعدل وانصاف . ولكن، حينما ضعف الروح المسيحي، صار السادة يستولون على حصص الشركاء، ويحرمونهم اياها ويلزمونهم باداء الضرائب والمكوس وحدهم، حتى استفحل الشر وضاق ذرع الفلاحين فقامت قيامتهم بثورات هائلة تكررت في اوربة واميركة، في اواخر القرن الثامن عشر واثناء القرن التاسع عشر . وان بلادنا ايضاً لم تخل من هذه الفتن في اواسط القرن التاسع عشر . وحاول البعض من معاصريهم مضادة ظلم

الاقطاعيين، فسقطوا في ضلال معاكس ونادوا بالاشتراكية، ثم بالبلشفكية.

للاشتراكية نتائج وخيمة

وقد ظهرت الاشتراكية، اولاً، في مظهر عادل، لانها شاءت ان تقسم الارباح بين رأس المال واليد العاملة. وهذه هي الاشتراكية. لكن نتائجها الوخيمة تظهر حين لا تكون ارباح بل خسارات. ومن العدل ان من يقاسم الارباح، يقاسم الخسارات ايضاً. ولكن هل نحكم على عامل يحتاج في كل يوم الى الحصول على قوته وقوت عائلته، ان يحرم اجرته الى ان يفي ما عليه من الخسارة؟ وهل ينتظر قبض مرتبه الى ختام السنة، حتى ترتب الميزانية فيعرف اربح هناك ام خسارة؟ لا لعمري! لان حالة كهذه تقوده هو وعائلته الى الموت جوعاً. فالافضل اذن ان تدفع اليه اجرته، بكل عدل وان يعتني به صاحب رأس المال، عند الربح، ويمده بالمساعدة خصوصاً في وقت حاجته ومرضه. وهكذا يكون قد اعطاه قسماً من الربح، وبقي القسم الآخر احتياطاً للخسارة. لكن الاشتراكية تعدت من قسمة الارباح الى قسمة رأس المال والاملاك والحقول والعقارات.

الاشتراكية الحكومية (البلشفيكية) تشجع الكسل والرذيلة

وهنا بيّن سيادة الخطيب كيف ان هذا التعليم يؤدي

الى مكافأة الرذيلة بمساعدة المسرفين الذين ينفقون اموالهم على موائد القمار والمسكرات والفحشاء ، ومقاصة رجال الفضل الذين يواظبون على الشغل طلباً لنماء ثروتهم وقياماً بمعاش عيالهم ! وهذا ظلم يأباه العقل والطبيعة والانسانية . فمعالجة لهذا النقص اخترع بعضهم ، في هذه المدات الاخيرة « الاشتراكية الحكومية » المعروفة بالبلشفيكية ، حيث تستولي الحكومة على جميع الاملاك ، ويصبح جميع الافراد مستخدمين لديها ، يشتغلون ويكدون وهي توزع الغلال على الجميع بالسوية . ولكن سقط هؤلاء ايضاً في سوء العاقبة التي ارادوا ان يتخلصوا منها في الاشتراكية المتطرفة ، واصبحت البلشفيكية ، كالاشتراكية ، سبباً لتشجيع الكسل والرذيلة . هذا ، عدا ما يؤثر في ارباب الحكومة ، من العوامل العديدة ، كالنفوذ والعلاقات العائلية واسباب العهارة ، في قوم خلت قلوبهم من روح الدين والآداب الصحيحة .

روسيا اكبر شاهد

وامامنا روسية العظيمة ، فهي اوضح مثال لوخامة نتائج البلشفيكية : فان تلك البلاد الواسعة كانت غلالها تكفي جميع اسواق اوربة ، وكانت مساعداتها المادية تصل الى جميع الانحاء الشرقية . اما اليوم فقد امست قاعاً صفصفاً لا تكفي غلاتها نصف ساكنيها ، فمات منهم عدد عظيم . هذه الامثولة جعلت جميع الدول تهب هبة رجل واحد لمحاربة روح البلشفيكية .

ورغم ذلك، نرى بعض المتهوسين من اهل بلادنا – وقد قل لحسن الحظ عددهم – يحاولون ان ينشروا هذه التعاليم السيئة في بلادنا، كأن لم تكفنا تلك النوازل التي نزلت بنا !

الجزء الثاني : تعليم الكنيسة في حق التملك

التملك الفردي حق طبيعي

ان التملك الفردى هو امر واقعي طبيعي، كان من بدء الخليقة ولا يزال الى ايامنا . والشعوب البربرية التي تعيش من صيدها تملّك كل فرد قوسه ونباله ومغارته وخيمته، فهو اذن مالك فردي . والقبائل الرحل، ولو كانت الارض لهم مشاعاً تملّك القطعان وغلاتها ونتاجها . والشعوب المستقرة يملك فيها كل فرد بيته وحقله .

حق التملك الفردي هو اساس العمران والتقدم

واتقاناً للزراعة اخترع المخترعون فن الحراثة . وتحويلاً للمواد الاولى اخترعوا فن الصناعة مستعينين بعدة وسائط . وسداً لحاجة كل فرد غير مالك لما يحتاج اليه، اخترعوا فن التجارة . وتسهيلاً للمبادلة حيث لا تكون الغلال في وقت واحد، اخترعوا النقود، وهكذ وجد رأس مال امام اليد العاملة في الزراعة والصناعة والتجارة ، وتلك هي حركة العالم اجمع . لذلك اصبح التملك الفردي افضل واسطة لحفظ كيان الانسان

وحق الملكية هو حق طبيعي، من الله، وهو الواسطة الوحيدة لنجاح الافراد وحفظ العيال. نعم هذا الذي ينشط في العمل باجتهاد لازدياد ثروة تبقى للانسان ولعياله بعد موته. ولولا ذلك لقنط الانسان وانف من العمل وتركه، وهو الوسيلة الوحيدة للسعادة العامة بسعادة الافراد، بشرط ان يداوى نقصه في اختلاف الطبقات، بدواء الصدقة والاسعاف المتبادل كما يعلمنا الانجيل. وسنرى ذلك في العظة الآتية.

حالة لبنان: «حدا بيموت من الجوع»؟

وهنا انهى سيادة الخطيب كلامه بمقابلة وضعية، بين فيها حالة لبنان حين كان اهله رغم فقرهم، متعلقين باهداب الدين ووصاياه: فانهم كانوا سعداء في ملكيتهم الفردية، يشتغل كل في ارضه ولا يتعدى على غيره، ويساعد المحتاج على قدر ما يمتد اليه امكانه؛ فلم يكن في لبنان، قبل الحرب الكونية، فقراء. وان المثل العامي القائل: «حدا بيموت من الجوع؟» يثبت ما نحن فيه. لكن الحرب ادخلت الفساد الى القلوب، ووسعت الضمائر، بسبب الفتور في الدين وفي حفظ وصاياه. لذلك نرانا ننتقل من ازمة الى ازمة في الجشع الذي استولى علينا وعلى العالم كله.

العظة الثانية

حدود حق التملك ـ الصدقة

ألقيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٤ اذار سنة ١٩٣٠

موجز العظة

المقدمة

مساواة البشر بعضهم لبعض ضرب من المحال – الاشتراكية المسيحية

الجزء الاول : رذل المسيح للغنى

ولد المسيح، وعاش ومات فقيرًا – المسيح صديق المساكين، عدو الاغنياء – « الله هو المال » يقول الاغنياء –

الجزء الثاني : وجوب الصدقة

درجة الكمال المسيحي قوامها : التجرد عن المقتنيات بتوزيعها على المساكين – الفقر اساس الكمال في الرهبانيات – في الكنيسة عسكر جرّار لخدمة الفقراء – الكنيسة امّ الاشتراكية – درجة الكمال الاعتيادية هي عمومية – الصدقة ضرورية لكل انسان – الفقراء يمثلون السيد المسيح – الاشتراكية في بدء الكنيسة – الاشتراكية بعد انتشار الدين المسيحي – « منزول » الامراء والمشايخ في لبنان اشتراكية الموارنة – « يا ايّام العزّ عودي » –

المقدمة

مساواة البشر بعضهم لبعض ضرب من المحال

ان حق التملك الذي تحدثنا عنه في العظة الماضية ، ورأيناه افضل واسطة لسعادة الانسان في هذه الدنيا ، لا يخلو ، كسائر الامور الدنيوية ، من نقص . ونقصه هذا انه يجعل تفاوتاً بين طبقات البشر . ولكن هل المساواة بين جميع الطبقات في هذه الارض ممكنة ؟ ألا يوجد تفاوت بين طبقات الناس وهيئاتهم وقاماتهم ؟ فهل نفسد دماغ الاذكياء لنساويهم بالبله ؟ ونشوه الوجوه الجميلة لنساويها بالقبيحة ؟ ونقطع رؤوس او ارجل طوال القامة لنساويهم بقصارها ؟ ان الاشتراكيين والبلشفيكيين يريدون بمبادئهم ان يصلوا الى المساواة الاقتصادية ، ويدكوا جميع اسس الانظمة في الكون بحجة المساواة . وقد رأينا العواقب الوخيمة التي تؤدي اليها تعاليمهم .

الاشتراكية المسيحية

اما السيد المسيح — وهو الحكمة السامية — فلم يقلب النظام السائد الذي وضعه الله ، بل داوى الحاضر بالحاضر وانشأ تلك الاشتراكية المسيحية الاختيارية حيث فرض على الاغنياء ان يتصدقوا على الفقراء والبائسين .

الجزء الاول : رذل المسيح للغنى

ولد المسيح وعاش ومات فقيراً

ان السيد المسيح رذل الغنى، اولاً بمثله : فقد اراد ان يولد فقيراً، من ابوين فقيرين، وعاش في حياته الخفية فقيراً يبلل آلات النجارة بعرق جبينه، فقيراً في حياته العلنية حيث انه لم يكن له حجر يسند اليه رأسه، فقيراً في موته على الصليب عرياناً . فحق له بعد ذلك ان يرذل الغنى في شخص الاغنياء ؟

المسيح صديق المساكين عدو الاغنياء

فهو ذو القلب الحنون المملوء رحمة حتى نحو الخطأة والعشارين بينما يوجه الطوبى الى المساكين بالروح، نراه لا يوجه الى الاغنياء الا كلمات الويل وبعد ذلك يصرح بآية ترعب القلوب قائلاً : اسهل على الجمل ان يدخل في خرم الابرة من ان يدخل الغني ملكوت الله .

« الله هو المال » يقول الاغنياء

ولا تظنوا ان هذا الحكم دون سبب فالغني بكبريائه يريد ان يسوق الناس الى عبادته . والرب يقول : مجدي لا اعطيه لاحد، والكبرياء قد اسقطت الملائكة من السماء . وبينما نرى الغني يريد من الغير ان يعبدوه، نراه هو نفسه يعبد المال . والله يقول : لا تعبدوا ربين، الله والمال . وان الغنى ايضاً مجلبة

للفساد. وملكوت الله لا يدخله الا الاطهار القلوب. والغنى هو ايضاً واسطة للظلم، وصوت الفقير يستصرخ الله طلباً للانتقام من الظالمين.

فهل يقطع الاغنياء رجاءهم من الخلاص الابدي؟ لا! فان السيد المسيح فتح لهم باباً للخلاص وهذا الباب هو التصدق على البائسين.

الجزء الثاني : وجوب الصدقة

درجة الكمال المسيحي قوامها : التجرد عن المقتنيات بتوزيعها على المساكين

في الدين المسيحي درجتان : درجة الكمال المسيحي، ودرجة المؤمنين العاديين العائشين في العالم.

ان مبدأ الكمال المسيحي اعطاه السيد المسيح بصراحة لذلك الشاب الغني الذي دنا منه طالباً طريق الكمال، فقال له: ان شئت ان تكون كاملاً، فاذهب وبع مقتناك واعطه للمساكين، وتعال فاتبعني. وقال القديس بطرس للسيد المسيح: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فما عساه يكون لنا؟» فمن ههنا نرى ان التجرد عن الغنى والمقتنيات العالمية وتوزيعها على المساكين هو ضروري للكمال المسيحي.

الفقر اساس الكمال في الرهبانيات

لذلك نرى الرهبانيات تؤسس قوانين الكمال فيها على الفقر الاختياري الذي هو احد النذور الثلاثة الملتزم بها كل راهب.

والرهبان لا يتجردون عن اموالهم فحسب، بل عن ذواتهم ايضاً، بالاماتة وقمع النفس، ويتخصصون لخدمة الفقراء.

في الكنيسة عسكر جرار لخدمة الفقراء

وبواسطة هـذا التعليم رأينا في الكنيسة المقدسة جرار العساكر من رهبان وراهبات يكرسون حياتهم لخدمة الفقراء فمنهم من يتخصص لتثقيف عقولهم. ومنهم لخدمـة المرضى الفقراء، ومنهم لتربية اطفالهم، ومنهم لايواء عاجزيهم. واذا رأينا القديس منصور دي بول يثب بعساكره المؤلفة، من رهبان وراهبات، لخدمة جميع انواع البؤس والحاجة فما الفضل الا لذلك التعليم الانجيلي: فان راهبة المحبة لا تكتفي بالمساعدة المادية الخارجية، بل يتدفق من قلبها ايضاً فيض الحنان نحو هؤلاء البؤساء. وبينما الام الطبيعية تغادر ابنها عرضة لمخاطر الموت، تسرع راهبة المحبة وتلتقطه وتربيه بمحبة تفوق محبة الام!

الكنيسة امٌ الاشتراكية

هذه هي الاشتراكية المسيحية الاختيارية! وليست هي اشتراكية المادة والدرهم فقط، بل اشتراكية العطف في النفس واشتراكية المحبة في القلب.

درجة الكمال الاعتيادية هي عمومية

ولكن هل يحكم على الجميع بان يعتنقوا الكمال؟ وكيف يستطيع معظم المسيحيين ان يحرموا عيالهم لوازم الحياة توصلاً الى الكمال ؟ ان الدرجة الاعتيادية هي العمومية في الدين المسيحي. والسيد المسيح لم يفرض عليهم التجرد التام لكي يقوموا بواجباتهم نحو عيالهم . لكنه لم يعفهم من واجب التصدق والاسعاف بدليل قوله للمختارين في يوم الدين : «تعالوا يا مباركي ابي، رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم، لاني جعت فاطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت غريباً فآويتموني وعرياناً فكسوتموني ومريضاً فعدتموني ومحبوساً فاتيتم اليّ» وهو كي يرينا ضرورة هذه الفضيلة للخلاص، يلتفت الى الاشرار ويقول : «اذهبوا عني ياملاعين الى النار الابدية، لاني جعت فلم تطعموني . الخ. وحينما يسأله هؤلاء واولئك: يارب متى رأيناك جائعاً فاطعمناك او عطشان فسقيناك الخ : فيجيبهم : الحق اقول لكم كلما فعلتم ذلك باحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه .

الصدقة ضرورية لكل انسان

فمن هذا التعليم تتضح لنا حقيقتان جليتان ، وهما اولاً ان الصدقة هي من الواجبات الضرورية التي لا مناص منها ، وهي مفروضة على جميع المسيحيين .

الفقراء يمثلون السيد المسيح

والحقيقة الثانية هي ان الفقراء لهم في الكنيسة المقام الاعلى، لانهم يمثلون السيد المسيح على الارض، ومهما عمل لهم يُعمل له. فما اعلى مقامهم في الكنيسة! وعلى هذا التعليم بنى المؤمنون في كل الاعصار والامصار اعمالهم الخيرية.

الاشتراكية في بدء الكنيسة

فرأينا الاشتراكية المسيحية الاختيارية الكاملة في ابتداء الدين المسيحي حين كان جميع المسيحيين يبيعون كل مقتنياتهم ويضعون اثمانها عند اقدام الرسل ليوزعوها على البائسين.

الاشتراكية بعد انتشار الدين المسيحي

وبعد ان انتشر الدين المسيحي، وعادت الاشتراكية الاختيارية غير ممكنة، رأينا الاغنياء من المسيحيين ينزلون عن مقامهم ويخدمون الفقراء: فالقديس لويس ملك فرنسا كان يضع عليه وزرة الخدم ويخدم البائسين، والقديسة اليصابات ملكة هنغريا كانت في الليل تحمل على كتفها الخبز وسائر الاطعمة وتوزعها، هي نفسها، على الفقراء. بفضل هذا التعليم رأينا شريفات فرنسة في القرن السابع عشر، من الملكة ام لويس الرابع عشر الى سائر النبيلات العظيمات يسمعن صوت

القديس منصور دي بول ويتسارعن الى خدمة المرضى والفقراء. بفضل هذا التعليم رأينا الجمعيات الخيرية تفرض على ابنائها ان تشرك المساعدات المادية بالزيارات الشخصية للمساكين والمرضى، وذلك كي تتم الاشتراكية المسيحية باشتراك الصدقة مع حنان القلب.

« متزول » الامراء والمشايخ في لبنان

وبلادنا اللبنانية العزيزة كانت في الماضي سعيدةً، رغم فقرها. وما ذلك الا لان كبار القوم فيها، من امراء ومشايخ كانوا يفتحون «متزولاً» خاصاً يأوي اليه الفقراء والغرباء فيأكلون ويشربون. وكانت سيدة المقاطعة تُعدّ الطعام بيدها للمساكين، وتوزع عليهم الادوية في حالة المرض. فهل تعجبون، بعد ذلك اذا كان للاشراف « زلمهم» يتفانون في خدمة ساداتهم ويندفعون اندفاعاً للمحاماة عنهم؟ فهل يمكن الفقير ان يثور على الغني وهو يقاسمه رزقه بالاسعاف والصدقة؟

اشتراكية الموازنة

وان المتوسطين من شعبنا لم يعفوا نفوسهم من القيام بهذا الواجب، بل كانوا، دون طبل ولا زمر، وبنوع طبيعي — لان الروح المسيحي كان قد تسرّب في عاداتهم تسرّب الهواء المنعش الذي يستنشقه الانسان ولا يشعر به — يفرز كل واحد

منهم، في كل موسم من مواسمهِ حصة الفقير وحصة الوقف ويجعلها على حدة: فمن موسم الفيالج (الشرانق) يرفع شيحة للوقف وشيحة للفقراء. ومن موسم الزيت كيلة للوقف وكيلة للفقراء ومن موسم القمح تمنية للوقف وتمنية للفقراء. وحين كنا نخدم الرعية في احدى قرى الجبل، في بدء هذا القرن، كنا كسائر كهنة الرعايا نجمع هذه الصدقات في كل موسم ونوزعها على فقراء القرية، فكان لكل فقير موسم خصوصي يعيش منه طول العام. لذلك لم يكن في لبناننا فقراء، وذلك بفضل هذه الاشتراكية الاختيارية المسيحية، التي كانت تحمل اهله على التصدق والاسعاف.

«يا ايام العز عودي»

وحينما تمرُّ بخاطرنا هذه التذكارات ونقابلها بالانانية الحاضرة وبخل اكثر الاغنياء وقساوة معظم القلوب، يعود الى ذاكرتنا قول الشاعر العامي: «يا ايام العز عودي!». نعم عودي الينا يا ايام العز بسعادة النفس وفرح القلب والهناء العام! ولكن هذه السعادة وهذا الفرح وهذا الهناء لا يرجع الينا الا برجوعنا الى استنشاق الهواء المسيحي بممارسة تعليمه!

العظة الثالثة

حدود حق التملك ـ واجب العدل

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٢١ اذار سنة ١٩٣٠

موجز العظة

المقدمة

مشاكل الحياة الاقتصادية العصرية

الجزء الاول : المشاكل القائمة بين الافراد

كل ذي ملك يستغل ملكه بواسطة اليد العاملة هو راسمالي – واجبات العامل : الشغل باخلاص وامانة ونشاط – واجبات صاحب راس المال : ١ً دفع اجرة عادلة – ٢ً عليه دفع الاجرة في وقتها – ضرورة انشاء « صندوق نفقة » للعمال – لاون الثالث عشر هو بابا العمال

الجزء الثاني : المشاكل القائمة بين الحكومات والشعوب

ضرورة الحكومة للهيئة الاجتماعية – لا فرق في شكل الحكومة – واجب الافراد نحو الحكومة : دفع الضرائب العادلة – واجب الحكومة انفاق الضرائب في سبيل المصلحة العامة – المعاشات الخارقة العادة سرقة – سرقة قبول الرشوة – سرقة الضرائب الظالمة

المقدمة

مشاكل الحياة الاقتصادية العصرية

رأينا ضرورة حق التملك، ورأينا، مدأواةً لنقصه، ضرورة الصدقة، وهذا اول حد وضعه الله للمتملكين وذلك بان يتصدقوا من اموالهم على الفقراء عموماً، ولكن هنالك فقراء نلتزم بهم بنوع خاص، وهم الذين يخصصون حياتهم لخدمتنا. فهؤلاء نلتزم باعطائهم حقهم وبمساعدتهم عند احتياجهم، وذلك لا من واجب المحبة فقط بل من واجب العدل ايضاً. وهذا يسوقنا الى البحث عن المشاكل العصرية التي درسها البابا لاون الثالث عشر كل الدرس واوضحها للعالم المسيحي، ألا وهي مشاكل اختلاف الطبقات بين الراسماليين والعملة، وبين الحكام والشعب. وهذه المشاكل هي من اعظم المسببات للشرور العصرية وفي حلّها ازالة الازمات الشديدة التي تتعاقب على العالم حيناً بعد حين. وها نحن ندرس ذلك باختصار معتمدين على تعاليم ذلك الحبر العظيم لاون الثالث عشر الذي اصبح اكبر معلم اجتماعي في الاعصار الاخيرة.

الجزء الاول: المشاكل القائمة بين الافراد

كل ذي ملك يستغل ملكه بواسطة اليد العاملة هو رأسمالي

ان المراد بالراسماليين لا اولئك المتفردون بغناهم الواسع

فقط، الذين بوسعهم ان يستعملوا رأس مال كبير للقيام بمشاريع خطيرة، بل نريد ايضاً كل ذي مُلك يستغل ملكه بواسطة اليد العاملة. فالمالك بيتاً للايجار، قد استخدم البنائين والنجارين وسائر من يحتاج اليه قيام البيت من العملة، ثم استعان بالمرمّمين طلباً لبقاء البيت صالحاً للايجار، للحصول على ثمرة منه. فمالك هذا البيت هو ذو رأس مال، والمشتغلون عنده هم العملة. ومالك الحقل يستغل ثماره بواسطة شريك يقاسمه الغلة، او بواسطة عملة يؤدي اليهم الاجرة، فهو راسمالي واولئك هم العملة. وصاحب المعمل الذي حصل على رأس مال كبير يستخدم العملة لاستثمار معمله، وفي ذلك يشترك رأس المال واليد العاملة فتكون الارباح نتيجة اشتراك الفريقين. والتاجر، فرداً كان او شركة، يستخدم رأس مالٍ كبير او صغير ويستعين بالعملة جنياً للربح، وهلم جراً في جميع اشغال العالم. وهكذا في كل الحالات يشترك رأس المال واليد العاملة سعياً وراء الربح.

واجبات العامل : الشغل باخلاص وامانة ونشاط

فما هي واجبات كل طبقة من هذه الطبقات بالنظر الى الاخرى ؟

ان واجبات العامل، في اي حالة كان، ان يعمل لغيره بكل اخلاص وامانة ونشاط كأنه يعمل لنفسه لان له اجرةً مقابل عمله، ولان صاحب رأسمال يقدم له ما يكفيه هو وعائلته، فشغله

اذن لنفسه، ولو كان ظاهره لغيره .

واجبات صاحب راس المال : ١ً دفع اجرة عادلة

واذا اوجبنا على العامل الامانـة والاخلاص والنشاط ، فعلى صاحب راس المال نحو العامل والمستخدم واجبات تقابل عمله عنده . واول هذه الواجبات دفع الاجرة العادلة وهذه الاجرة العادلة هي التي تلاحظ فيها حالة العامل في حاجته هو وعائلته، وقدمه في الخدمة ومهارته وصعوبة العمل نفسه فيجب ان ترداد اجرة العامل بالقياس الى كل حالة من الحالات المذكورة، والا كان صاحب راس المال مخطئاً الى العدل، والتزم بالتعويض وليس له ان يتخذ من توفر اليد العاملة حجة لانقاص الاجرة حتى لا تعود كافية للعامل فان هذه الحجة هي بمثابة ارجاع الناس الى عصر العبودية عصر كان فيه الضعيف طعمة للقوي . واننا ننصح العملة ايضاً ان يتساهلوا في قيمة اجرتهم عند قلة اليد العاملة ، تساهلاً يقابل رخص ثمن الغلال . فاذا بقي العامل في بلادنا وغيرها ثابتاً في تطلباته، مع رجوع اسعار الحاجات الى ما كانت عليه قبل الحرب ، فنصل ، ولا ريب ، الى ازمة البطالة التي يئن منها العالم المتمدن، والنتيجة السيئة الحاصلة من هذا ، تقع على راس العامل : لانه يخسر بالبطالة واسطة معاشه ومعاش عائلته ، كما حدث في اغنى بلدان العالم من مثل انكلترة والولايات المتحدة .

٢ً عليك دفع الاجرة في وقتها

ويجب على ذوي رأس المال، بعد تعيين الاجرة العادلة، ان يدفعوها في كل يوم الى المشتغلين مياومة او في القليل عند ختام الاسبوع، وان يؤدوها في كل شهر الى المستخدمين في بيوت التجارة، والى الخدم والخادمات الذين يتناولون الطعام في بيوت اربابهم، يؤدونها اليهم في كل سنة، على القليل. وهذه الاجرة ينبغي ان تدفع دون انقاص شيء منها، لاية حجة كانت، لان الفاعل يستحق اجرته. وان من يداوم على العمل يستحق الزيادة لا النقصان.

ومن هنا ترون فظاعة الألى يؤجلون اداء اجرة خدامهم، وفي آخر الامر يأكلونها عليهم او يبتلعون قسماً منها. فمتى سادا صاحب رأس المال والعامل بحسب سنة العدل حلت السكينة وكنا في مأمن من تلك الفتن الدموية التي حدثت وتحدث عند شعور الفقير بما يناله من الظلم.

٣ً ضرورة انشاء «صندوق نفقة» للعمال

اما قسمة الارباح النهائية بين صاحب رأس المال واليد العاملة، فقد رأيناها في العظة الاولى مستحيلة عملياً. لكن هذه الاستحالة في قسمة الارباح المذكورة لا تعفي من واجب عدل يفرضه الله وتصرّح به الكنيسة المقدسة بلسان حبرها

العظيم لاون الثالث عشر وهذا الواجب يوجب على الرأسماليين، عند تكرار الارباح، ان ينشئوا «صندوق نفقة» يجمعون فيه قسماً من الارباح مساعدة لعملتهم في اوقات المرض وايواء للايتام من بنيهم، ومعاونة للعاجزين منهم في ايام الشيخوخة

لاون الثالث عشر هو بابا العمال

هذا ما يفرضه الله عليهم، لا من باب المحبة والتصدق فقط، بل من باب العدل، وتحت الالتزام بالتعويض عند عدم القيام بذلك. هذا ما يكشف لنا عن اسباب تلك الصدقات العظيمة التي يتبرع بها اصحاب الملايين في اوربة واميركة مساعدة لهذه المشاريع الخيرية؛ فانهم بذلك يقومون بواجب عدل نحو من شاركوهم بايديهم العاملة في استثمار رؤوس اموالهم. والفضل في هذا مرجعه الى تعاليم البابا لاون الثالث عشر، فان روح تلك التعاليم قد انتشر في العالم المتمدن الذي يريد المحافظة على شرائع العدل السامية.

وهذا البابا نفسه لاحظ ان الخلاف بين الطبقات لا ينتج عن الغنى والفقر فقط، بل عن النفوذ والسلطة، فتخطى في كلامه الى حلّ المشاكل القائمة بين الحكومات والشعوب.

الجزء الثاني : المشاكل القائمة بين الحكومات والشعوب

ضرورة الحكومة في الهيئة الاجتماعية

الحكومات ضرورية للهيئة الاجتماعية : لان الانسان لم يخلق ليعيش منفرداً بل ليكون في هيئة اجتماعية، لكل فرد من افرادها حقوق متميزة عن حقوق غيره . فمتى وقع الاختلاف على هذه الحقوق فمن يفصل فيها ويحكم بالعدل الا الحكومات التي ترأس الهيئة الاجتماعية . واذا تعدى احد الافراد على الآخر ، فليس الا الحكومات تحمي المظلوم من الظالم ، واذا تعدى شعب على شعب فمن يدافع عن الوطن الا الحكومات بعساكرها البرية والبحرية .

لا فرق في شكل الحكومة

فانّى نظرنا الى حالة الكون والهيئة الاجتماعية نرى ان لا بدّ من حكومة تمنع الظلم والتعدي وتهتم بالاشغال العمومية وتصدّ بالقوة تعديات الافراد والشعوب . اما ان تكون الحكومة ملكية مطلقة او مقيدة، او جمهورية ديمقراطية، فهذا تجاه الكنيسة، لا فرق فيه . فلكل نوع من انواع الحكم محاسنه ومعايبه، وليس في هذه الدنيا كمال، ولكن يوجد شرائع سامية تقود الافراد والحكومات في جميع انواع الحكم

واجب الافراد نحو الحكومة : دفع الضرائب العادلة

فواجبات الافراد نحو الحكومة، في الموضوع الذي نحن بصدد الكلام عنه، هي دفع الضرائب اللازمة لمعيشة رجال الحكومة الضروريين، والقيام بالاشغال العامة، والمدافعة الوطنية الداخلية والخارجية. وهذه الضرائب العادلة يجب ان تؤدى بكل اخلاص وامانة، لانها واجب عدل ضروري للقيام بالمصلحة العمومية، ويجب ان تدفع بسرعة، لان الاحتياج اليها متواصل والخدمة لا تقبل التأجيل. وكل تأخير يصدر عن سوء نية هو سرقة يلتزم كل فرد بالتعويض عنها، لان سرقة الحكومة، كسرقة الافراد، حرام.

واجب الحكومة انفاق الضرائب في سبيل المصلحة العامة

واذا اوجبنا على الافراد تلبية الحكومة في اداء الضرائب العادلة، حق لنا ان نطلب من الحكومة انفاق هذه الضرائب في سبيل المصلحة العمومية، لا في مصلحة الافراد من اقارب اصحاب المناصب و« محاسيبهم ». فمن اقدس واجبات الحكومة الابتعاد عن تبذير الضرائب المجموعة وصرفها في غير الفائدة العامة. وليكن خرجها مناسباً لدخلها ومقدرة شعبها. فغير جائز للحكومة ان تكثر من عدد المأمورين زيادة على العدد اللازم للمصلحة العمومية. فان الاكثار سرقة تحسب على من تولوا

الحكم، لان هذا المال هو امانة مقدسة يستودعها الشعب الحكومة للمصلحة العمومية، لا للمصلحة الخاصة!

المعاشات الخارقة العادة سرقة

سرقة هي تلك المعاشات الخارقة العادة التي تفوق مقدرة الشعب في حالته الفقرية، فعلى الحكومة ان تعين مرتبات عادلة تكون بنسبة حالة البلاد التي تحكمها!

سرقة، واكبر سرقة، ان يتسرب المال المجموع للمنافع العمومية في جيوب الافراد ظناً من موظفي الحكومة ان هذه السرقات مباحة بحجة الافراد. فالفقير الذي يؤدي ضريبته ليحصل على العدل والامن والرفاه بالمنافع العمومية من طرقات وريّ وما اشبه؛ هو الذي يُسرَق، عندما يبتلع الموظف هذه الضرائب حارماً الشعب الفقير منافعه ليغتني هو وعيلته! ان صوت هذا الشعب المسروق يصرخ الى العلاء، وغضب الله يحل على اولئك السارقين، آجلًا او عاجلًا!

سرقةٌ قبول الرشوة

سرقةٌ قبول الرشوة؛ لان الموظف يقبض معاشه ليحسن الادارة ويسير بالعدل فلا يجوز له ان يتقاضى بالرشوة اجرة ثانية، فضلًا عن ان الرشوة تقتل العدل وتجعل البطل حقاً والحق بطلًا. وهذه الآفة انتقلت الينا جراثيمها من الحكومة البائدة، ولا تزال بلاياها فاتكة ببلادنا. ولو فحصنا عن سبب تأخرنا

في رقي احكامنا لوجدناه ناتجاً عن انتشار الرشوة في كثير من دوائرنا !

الضرائب الظالمة سرقة

سرقة ايضاً كل ضريبة تضر بالفقير والعامل والمسكين الذين تحرمهم قوت عيالهم واطفالهم ! فعلى ارباب الحكم ان يجعلوا الضرائب على قياس الدخل حتى لا يظلم الفقراء ويتنعم الاغنياء بامتيازات ظالمة .

ارتقى سليمان الشاب سدة الملك، وهو يجهل شؤون الادارة والحكم، فطلب من الله الحكمة، فوهبه الله الحكمة والعدل والهناء والغنى، فاصبح الذهب لديه كالتراب . هكذا نطلب اليك يا الله ان تهب الحكمة لاصحاب النفوذ بمالهم وذوي السلطة بحكمهم : ان تهب الحكمة للاغنياء كي يسيروا مع الطبقة العاملة بالعدل والمحبة، وان تهبها للحكام كي يسوسوا شعبهم ويوصلوه في هذه الدنيا الى غاية كل حكومة رشيدة، وهي انتشار الامن والعدل والرفاهية العامة .

العظة الرابعة

احترام حق التملك (لا تسرق)

القيت في كاتدرائية بيروت الجمعة مساء في ٢٨ اذار سنة ١٩٣٠

موجز العظة

المقدمة

السرقة هي حرمان صاحب الملك حقه ظلماً

الجزء الاول : السرقة

« لا تسرق » شريعة طبيعية – آحاب وايزابل – الرباء الفاحش سرقة – سرقة اختلاس المحامين لاموال موكليهم – فظاعة الاحتكار في ضروريات المعيشة

الجزء الثاني : تعطيل ملك الغير

هذا ايضاً سرقة – ناتان وداود – انت هو الرجل

المقدمة

السرقة هي حرمان صاحب الملك حقه ظلماً

بعد ان حددنا حق التملك واوجبنا على المتملكين ان يتخلوا عن جزء من ملكيتهم لغيرهم، حق لنا الان ان نحافظ على هذه الملكية بتمامها وكمالها، طالبين احترامها، مذكرين المسيحيين بتلك الوصية السابعة التي اوحى بها الله على جبل سيناء، وهي : لا تسرق !

السرقة هي حرمان صاحب الملك ملكه عنوةً وظلماً. وهذا الحرمان، تارة يفيد السارق فيغتني منه، وهي السرقة المعروفة عند العامة، وتارة يحرم المالك ملكه دون ان يستفيد السارق من هذا الحرمان، وهو تعطيل ملك الغير

ففي هذا المساء نشرح السرقة بفرعيها :

الجزء الاول : السرقة

«لا تسرق» شريعة طبيعية

وضع الله هذه الشريعة وغرسها في قلب كل ذي بشر. فهي من جملة الشرائع الطبيعية التي يفهمها الانسان دون تعليم ويعرف شرّها دون درس. اذا اعتنى الفلاح بحقله وكد وتعب وأتى غيره يجني الثمرة، نشعر كلنا بظلم هذا التعدي ووجوب عقاب المعتدي. واذا عاد التاجر بعد مكابدة اهوال الاسفار،

ليعيش مع عائلتهِ براحة، فانقض لص بطال وسرق في لحظة واحدة جميع المال الذي جمعه ذاك في اعوام طوال، نشعر بظلم هذا العمل ونحكم على السارق بانه مستحق لاشد قصاص. ذلك شعور طبيعي فينا. وكلما تعدى احد على غيره، سمع في داخله صوتاً يقول له: لقد اخطأت! عوّض! فهذا الشعور الطبيعي قد اوضحه الله بشريعة وضعية حين اعلن على جبل سيناء وصاياه العشر، ومن جملتها الوصية السابعة: لا تسرق

ان احترام حق التملك لضروري حفظاً للسكينة في الهيئة الاجتماعية، والا سادت الاباحية وعمت المنازعات وكثرت فظائع القتل وحدث تشويش في الكون عظيم، لان السرقة يرافقها القتال غالباً. فمما سبق يتضح شر السرقة وضرورة احترام **ملك القريب.**

آحاب وايزابل

وهنا ذكر سيادة الخطيب مثال آحاب وايزابل في قتل نابوت الازراعيلي لسرقة كرمه، وقال ان السرقة الواضحة مكروهة لدى الناس، وهذا لا يحتاج الى برهان واطالة شرح، وان نصف الشرائع المدنية قد سُنت لمعاقبة امثال هذه السرقات. لكن هنالك ايضاً سرقات يعدها اصحابها شريفة، وكراهتها لا تظهر امام الناس، والحكومات كثيراً ما تغض الطرف عنها، مع انها هي افظع السرقات رغم تسترها.

الرباء الفاحش سرقة

سرقةٌ الدّين بالرباء الفاحش : ان المال ، كما صار معروفاً ومشهوراً ، له ثمرة . واللاهوت المسيحي يسمح باخذ فائدة معقولة : لان المال لم يعد يخزن في الصناديق ، كما كان يفعل في القديم ، بل يستخدم للزراعة والتجارة والصناعة وله ارباح في يد من يستعمله . فصاحب راس المال الذي يقرض غيره ، يحق له ان يأخذ قسماً من هذه الارباح ، بحسب القاعدة التي وضعناها في عظتنا السابقة عند اشتراك راس المال واليد العاملة . ولكن هذا لا يعني ان صاحب المال يحق له ان يأخذ مقابل ماله ارباحاً غير معقولة . ان الفائدة القانونية المعروفة في بلادنا ٧ في المائة . وعند تكاثر الاشغال وتعسر وجود المال اجاز اللاهوتيون ان تبلغ الفائدة الى عشرة بل الى اثني عشر في المائة فقط . ومهما تعددت الاسباب وكثرت الحجج ، فلا يجوز لصاحب المال ان يتعدى هذا المعدل ، لانه ثمرة افضل عقار واغل ارض .

من هنا ترون فظاعة اولئك الذين اغتنموا ازمة الحرب العالمية فأدانوا مالهم بفائدة ٥٠ بالمئة ، بل مئة بالمئة . ولم يكتفوا بذلك بل ارتهنوا عقارات مديونيهم وكتبوا سندات عليهم وعلى اقارب مديونيهم في بلاد الهجرة . وبعد الحرب طالبوهم بهذه الامور الثلاثة ، فاصبحت مئتهم ستمائة واكثر ، وفي بعض

المعاملات وصلت الى الف الكن ذوي الاملاك من الجبليين «ردوا لهم الرجل» وعاملوهم بالمثل اذ انهم رهنوا عندهم عقارات غير موجودة او غير ذات قيمة. فاذا طالب الدائنون بديونهم كما ذكرت، فيكونون قد ارتكبوا جريمة السرقة، واذا لم يفِ المدينون ما استدانوه بحق وعدل، فيكونون قد ارتكبوا الجريمة نفسها. ولا يحتجن هؤلاء واولئك باحكام المحاكم المدنية، فان ظروفاً كثيرة لا يتيسر فيها للشرع ان يساعد العدل.

سرقة اختلاس المحامين لاموال موكليهم

سرقةٌ فعلُ اولئك المؤتمنين، من محامين وغيرهم، على اموال موكليهم، اذا هم استفادوا من هذه الوكالات فاختلسوا تلك الاموال بخيانة لا تغتفر! انهم الى العدل والامانة لمخطئون

سرقة فعل اولئك الذين يسببون الحريق المفتعل استيفاء لقيمة الضمانات من شركاتها!

وهنا افاض الخطيب في شرح هذه الامور وأبان كيف ان السرقة حرام، سواء كانت من الافراد ام من الشركات. واوضح حقوق الشركات التجارية وواجباتها، واستطرد الى الكلام عن ارباح التجارة عموماً، فبين فظاعة الغش في البضاعة والمتاجرة والاسعار، وشرح باسهاب قواعد الارباح التجارية وقاسها على ارباح العقارات بعد اضافة سائر المصاريف الى

رأس المال، وما زاد عن ذلك فهو ربح حرام وسرقة محتجبة.

فظاعة الاحتكار في ضروريات المعيشة

واستفاد الخطيب من الموضوع فعطف على شرح فظاعة الاحتكار وخصوصاً في المواد الضرورية للمعيشة، واظهر ذلك ببرهان حسي، فصور هول هذا الاحتكار في الحرب الكونية لانه كان السبب الاكبر في موت ثلث اللبنانيين جوعاً. واذ كانت جثث الاموات تملأ الطرقات، وانين المنازعين يرن في آذان المحتكرين، وكان اولئك المحتكرون الطغام يولمون الولائم ويقيمون المراقص للسفاحين الاولى سمحوا لهم باتيان تلك الفظاعة. فكأني بهم يشربون في كؤوسهم الذهبية دماء الفقراء وفي سهراتهم على الموتى يرقصون!

وان هنالك سرقة لا يستفيد السارق منها، فهي قائمة بتعطيل ملك الغير ظلماً.

الجزء الثاني: تعطيل ملك الغير

هذا ايضاً سرقة

تعطيل ملك الغير هو سرقة حقيقية لا يعذرها عدم الاستفادة منها. بل ان هذا التعطيل الذي لا ينال منه المعطل نتيجة، يدل على رداءة في قلبه وحب للضرر محض لا نجد له عذراً في شرائع العالم جمعاء.

وهنا بسط سيادة الخطيب الحالة الحاضرة بالاختلافات

السياسية التي تحدث في بلادنا بسبب الانتخابات فتجر ذيولاً من التعطيل بين الاحزاب والافراد، خراب لا نتيجة منه سوى ايقاع الضرر في القريب. فتكلم عن قطع نصوب التوت ومختلف الاشجار، واتلاف المزروعات واحراق البيادر ونسف البيوت بالديناميت، والشكاوي الزورية وجرّ الخصوم الى المحاكم سعياً في انزال الضرر وتشفياً وانتقاماً! كل هذه الامور سرقة حقيقية، نلتزم بالتعويض عنها، كما سنرى، ولا عذر لنا بأننا لم نستفد منها.

ناتان وداود

واذ رأى سيادة الخطيب دلائل الاستحسان والسرور على وجوه سامعيه، خاف ان يوزع كل واحد منهم تلك الاحكام على جيرانه ومعارفه ولا يختص نفسه بشيء منها، فذكرهم بقصة ناتان عندما اتى الى داود الملك وضرب له مثال ذلك الغني الذي له مواشٍ كثيرة، وعندما نزل به ضيف بخل بغنمه وبقره فاخذ نعجة جاره الفقير، ولم يكن له سواها، وهيأها للوافد عليه. فغضب داود جداً وقال لناتان: «حيّ الرب ان الرجل الذي صنع هذا يستوجب الموت بعد ان يرد عوض النعجة اربعاً»! فقال ناتان لداود: انت هو الرجل...!

انت هو الرجل

هكذا اقول لكل واحد منكم انت هو الرجل! فمن

منا لم يطمع ! من منا لم يُفحش في الربح ؟ من منا لم يتعدّ ؟ من منا لم ينتقم ؟ اذن فليضرب كل واحد صدره وليقل في نفسه : انا هو الرجل !

وهنا اشار سيادة الخطيب الى اتساع الضمير في ايامنا ، والى التعديات المتكاثرة التي سببت لنا هذه الازمات المتوالية وان انحباس المطر وهجوم جحافل الجراد قصاص من الله ! فلنصرخ جميعنا بصوت منسحق ومقاصد صالحة للتعويض عن التعديات ، قائلين : ارحم يا رب ارحم شعبك ولا تسخط علينا الى الابد !

العظة الخامسة

المعاونة على الظلم

(خرق حق التملك)

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٤ نيسان سنة ١٩٣٥

موجز العظة

المقدمة

المعاونة على الظلم نوعان : ايجابية وسلبية

الجزء الاول : المعاونة الايجابية

المشاركة اخص انواع المعاونة الايجابية – مسئولية الآمر قبل المنفّذ – مسئولية المشيرين كبيرة – واكبر منهـا مسئولية المرتئي – على المجالس الروحية اتباع العدل ايضاً في احكامها – الراشي والمرتشي لصان – ايواء المذنبين معاونة على الشر

الجزء الثاني : المعاونة السلبية

«ما شفت ولا قشعت» – الناطور في الحقل والحارس في المدينة – موظفو التجارة كموظفي الحكومة – الاكليريكيون كالعلمانيين : واجب الكاهن – واجب الاسقف مثال عالي الكاهن يرعب القلب – لا نقدر .

المقدمة

المعاونة على الظلم نوعان : ايجابية وسلبية

افتتح سيادة المطران اغناطيوس مبارك عظته الخامسة باختصار العظة السابقة وموضوعها : لا تسرق . وقال ان السرقة الظاهرة والخفية ليست هي وحدها خرقاً لحق التملك، بل ان كل من عاون في ذلك عملاً او قولاً او اشارة ، عُد سارقاً ، ولو لم يستفد هو من السرقة. وان المعاونة على الظلم نوعان: معاونة وضعية او ايجابية ، وهي التي تحدث بواسطة فعل او قول او اشارة وضعية ، ومعاونة سلبية وهي التي تحدث عن اهمال من هم ملتزمون بالمحافظة وعلى هذين النوعين محور كلامنا اليوم.

الجزء الاول : المعاونة الايجابية

المشاركة اخص انواع المعاونة الايجابية

اوضح نوع من انواع المعاونة الايجابية المشاركة. والمشاركة قائمة بان يجتمع اثنان او اكثر لسلب مال الغير ، بحيث يعاون الواحد الآخر باحد الافعال الضرورية للسرقة ، من مثل حراسة الباب او حمل السلم ، كي يتسنى للآخر اتمام العمل ، او بان يشتركوا في تزوير سند وملاحقته امام المحاكم تحصيلاً لقيمته ، ثم يقتسمون الارباح . فهذا النوع هو السرقة الفعلية نفسها ، لكنها مشتركة بدلاً من ان تكون فردية.

والملاحظة المهمة في هذا النوع وفي سائر انواع المعاونة التي نتكلم عنها، هي ان كل فرد من المعاونين وخصوصاً من المشتركين، بما ان السرقة لا تتم من دونه، هو مسؤول عن كلها، لا عن بعضها الذي ربحه. وهذه الملاحظة مهمة لموضوعنا الآتي عند كلامنا عن التعويض الذي بدونه لا مغفرة للخطايا المنافية للعدل.

مسئولية الآمر قبل المنفذ

اما الامر فلا يجعل الآمر يأخذ حصته من ارباح السرقة، مع انه هو المسؤول الاول والعلة الفعالة. وهنا ذكر سيادة الخطيب بتلك الحوادث المشؤومة التي حدثت في الجنوب، عند بدء الاحتلال، وفي الفتنة الاخيرة، واجتاحت القرى ونهبت البيوت وقتلت السكان. فعاقبت الحكومة بعض الفاعلين، وأعفي عن المتنفذين الآمرين وهذا دليل على ان العدل البشري قاصر!

ان عدل الله يطالب الامر قبل المنفذ، ولا يعفي المنفذ من المسؤولية لان واجبه عدم الطاعة في هذه الحالة. ثم اورد الخطيب امثلة المستخدمين الذين يغشون تجاريا في البضاعة او في الاثمان، اطاعة لاربابهم، والذين يسببون الحريق المفتعل، خضوعاً لمن أمروهم بـه. ان الذنب الفظيع يقع على هؤلاء الآمرين، ولو لم يعفَ المأمورون من الذنب، اذ ليس عليهم، كما

سبقنا فقلنا ، واجب طاعة في هذا الشأن .

مسئولية المشيرين كبيرة

الآمر هو العلة الاولى والفعالة، اما المشير، ولو كان العلة الفعالة، فهو العلة الثانية لانه لم يبدأ بالتفكر في الشر، بل أتى اليه قاصد الشر واستشاره، وبموجب مشورته فعل، ولولا هذه المشورة لتنحى عن العمل .

وهنا افاض الخطيب في الكلام عن المشيرين المسؤولين قدام الله، وابتدأ بمثل الكاهن في كرسي الاعتراف ، مبيناً ما عليه من الواجبات الدقيقة عند بذل المشورة وخصوصاً في الخطايا المنافية للعدل . وطلب من المؤمنين التائبين ولاسيما التجار ان يعترفوا للكاهن في ساعة لا يكون هو فيها مرتبكاً في كثرة المعترفين، بل يأتوا اليه في ساعة فراغ اراحة لضمائرهم وخوفاً من ان الحصول على الحلة يُعدُّ عليهم سرقة ايضاً ، وعكف على مثل الطبيب الذي يشير باسقاط الجنين وما شاكل من الذنوب، ومثل المحامي الذي يستعين بمهنته الشريفة متخذاً اياها وسيلة للربح الدنيء . وانتهز سيادته هذه الفرصة فشرح واجبات المحامين الا وهي الدفاع عن الحق ورفض المحاماة عن الظلم والتعدي .

واكبر منها مسئولية المرتئي

ومن هذه الامثال السابقة ظهر ان المشير لا يُلزم المستشير

باتباع مشورته، اما المرتئي، فهو برأيه يوجب العمل، ولهذا تكون مسؤليته اكبر. والمرتئي هذا، هو صاحب الوظيفة وفيها يبدي رأيه، وبحسب رأيه يصدر الحكم او تسن الشريعة فالقاضي بين زملائه يرجح الاكثرية، والويل له اذا لم يفعل بموجب اقتناع ضميره، بل اكراماً لصديق او خضوعاً لمتنفذ، والنائب - وبين يديه مقدرات البلاد في شرائعها - رأيه يرجح سن هذه الشرائع، والويل له اذا لم يتبع شرائع الحق والعدل، وتبع صوت المصلحة الخصوصية بالتطبيقات المعروفة. كذلك الحكم على الوزير في مجلس الوزراء، وعلى سائر المسلطين؛ من رؤساء وامراء وملوك، فان شريعة الله في العدل والحق هي فوق جميعهم، والويل لهم اذا تعدوها فان الملك داود ينبههم الى ذلك بقوله: فالآن ايها الملوك اعدلوا، واتعظوا يا قضاة الارض (مز٢)

على المجالس الروحية اتباع العدل ايضاً في المحاكم

واضاف سيادة الخطيب قائلاً: لا تظنوا اني اضع قواعد العدل لمسلطي العالم فان المسلطين بالروح هم اعظم من غيرهم التزاماً بمراعاة شرائع العدل في مجالسهم فاعضاء الديوان والاسقف واعضاء مجلس ادارته الروحية مسؤولون امام الله بان يسيروا في طريق العدل والحق دون محاباة، لانهم في مقدمة من عهد الله اليهم بحفظ الوديعة المقدسة. اذن فاعذرونا ياخوتي اذا لم نجاركم في ما تطلبونه منا احياناً، اذا لم يرتح ضميرنا الى

عمله . فشريعة الله فوق صداقة البشر .

الراشي والمرتشي اصان

وان المرتئي يريد غالباً ان يراعي ضميره فيأتيه المتملق بوعده او وعيده ، بصداقته او نفوذه ، بهديته او رشوته ليحمله على مخالفة ضميره ووجدانه . ان هذا المتملق لاكبر معاون على الشر . ولهذا حكمت الشرائع الالهية والشرائع البشرية على الراشي والمرتشي وعدتهما لصين متساويين .

ايواء المذنبين معاونة على الشر

وان انواع المعاونة هذه تكون قبل العمل وتوجد ايضاً معاونة وضعية بعد حدوث التعدي ، وهي الاحتضان . فالمحتضن هو الذي يحمي المعتدي ليخلصه من القصاص واداء التعويض عن تعديه . (وهنا ارتفع صوت الخطيب في الكلام عن الاحتضان والمحاماة عن المجرمين بحجة الطائفية والقرابة والحزبية) فنرى المتنفذين ، بحجة احد هذه الاسباب ، يؤاوون المذنبين ويجعلونهم تحت حمايتهم . واذا اسلموهم الى الحكومة ، فلا يكون ذلك الا بشروط تكفل لهم النجاة . واذا هم لم يؤاووهم ، عمدوا الى رسائل التوصية يبعثون بها الى الحكام . لذلك اصبح المجرم في مأمن من العقاب لوجود من يحامي عنه ويحتضنه . وهذه آفة جعلت بلادنا في تقهقر متواصل ، لان الفضيلة اصبحت عندنا مرذولة ، والرذيلة معززة . وقد اشتهر ذلك القول الذي

اصبح كقاعدة لجميع المتنفذين عندنا ، وهو: « فلان رذيل لكن لا بأس لانه معنا »

الجزء الثاني : المعاونة السلبية

« ما شفت ولا قشعت » !

جميع ما ذكر في القسم الاول يفترض فعلًا وضعياً لمعاونة المعتدين . اما المعاونة السلبية فقائمة بان يعرف الانسان الشر قبل وقوعه ، ويسكت عنه ولا ينبه المعتدي ، او يراه يرتكب التعدي ولا يردعه او يعرف بالتعدي ولا يخبر عنه . فهنا ثلاثة انواع من المعاونة السلبية ، وهي السكوت وعدم الاعتراض وعدم الاخبار . وهذه المعاونة يرتكبها كثير من البشر ، عندما يُطلبون لاداء شهادة رسمية امام المحاكم ، فينكرون ما عرفوه . وهكذا يكونون كأنهم اختلقوا ما لم يعرفوا . وان كلمة « ما شفت ولا قشعت » عند من رأى وسمع ، لهي شهادة زورية ومعاونة فظيعة للتعدي ، وهي كاختلاق شهادة كاذبة يدعي بها الشاهد حدوث ما لم يحدث . ونحن لا نعفي من اداء هذه الشهادة اذا طلبت منا ، لا بحجة القرابة او الصداقة ، ولا بداعي الشفقة لان الحقيقة فوق الجميع . وخارجاً عن الشهادة الرسمية ، لا يرتكب ذنب المعاونة السلبية الا المتوظفون المسؤولون عن المحافظة ، والمؤتمنون المسؤولون عن دائرة امانتهم .

الناطور في الحقل والحارس في المدينة

ومن هذه القاعدة يتضح ان الناطور في الحقل، والحارس في المدينة يخطأون ويشاركون في السرقة اذا لم يردعوها او لم يخبروا عنها. كذلك المختارون ورجال البوليس والجندرمة والمديرون والمحافظون وجميع الموظفين الملكيين المسؤولين عن المحافظة على الامن وراحة البلاد، عليهم ان يمنعوا ويعترضوا، او في القليل ان يخبروا عن ذنوب الظلم والتعدي. واذا هم غضوا الطرف عن المعتدين، باية حجة كانت، عدوا شركاء في سرقاتهم وتعدياتهم.

موظفو التجارة كموظفي الحكومة

وما قلناه في موظفي الحكومة، نقوله في مستخدمي التجارة لدى الشركات والافراد فمدير المحل التجاري ومفتشه ومستخدمه البسيط يخطأون الى العدل بالمعاونة السلبية كلما لحظوا سرقة او تزويراً او عملاً ما يضر المحل، ولا يخبرون عنه

الاكليريكيون كالعلمانيين : واجب الكاهن

وما قلناه عن العلمانيين، نقوله بنوع اخص عن الاكليريكيين فان الكاهن، ولاسيما كاهن الرعية، يجب عليه ان يتسلّح بجرأته الكهنوتية كي يحارب الشر والفساد والتعدي والظلم، في افراد ابناء رعيته وفي عمومهم، بتنبيه الاشرار ليرتدوا عن شرهم، وبالمواعظ والارشادات العمومية التي يجب عليه ان يسمعها

لعموم ابناء رعيته، والا فاذا هو جبن وترك الاشرار يعيثون فساداً دون ادنى تنبيه منه، فانه يكون شريكهم في الشر.

واجب الاسقف

وما يجب على الكاهن يجب بالاحرى على الاسقف. وهذا ما يفسر لكم، يا اخوتي، السبب الذي من اجله نلتزم بان نسوّد وجهنا ونظهر في مظهر القساوة بامور عديدة، اتماماً لواجبنا الرعائي. وهـذا هو السبب الذي من اجله ايضاً نرفع صوتنا حين يتسنى لنا ذلك، كي نسمعكم الحقيقة ولو جاءت جارحة قال القديس بولس: ان المسيح ارسلني لابشر، والويل لي ان لم أبشر.

مثال عالي الكاهن يرعب القلب

وان مثال عالي الكاهن يرعب قلوبنا ويعلمنا اي جرأة يجب ان تكون فينا اتماماً لواجبنا. فعالي كان حبراً تقياً ورعاً، لكنه كان ضعيفاً ازاء ولديه. فكانا يصنعان الشر ويتعديان على الفقراء ويظلمان المساكين، وهو صامت لا يسمعهما تنبيهاً وقد نبههما الله بلسان صموئيل الفتى ليصلح هـذا الضعف فلم يُصلح، فانقض غضب الله عليه وعلى شعب اسرائيل بسببه وكسر العدو اسرائيل شر كسرة وقتل ابنا عالي ووقع تابوت العهد في يد العدو، وحين بلغ الخبر عالي، سقط عن كرسيه وانفكت رقبته ومات.

لا نقدر

هذا المثل وخلافه يخيف قلوب الرؤساء في جبنهم وضعفهم فأحرِ بهم ان يكرروا قول الرسل، حين حرّم عليهم رؤساء اليهود ان يتكلموا، فاجابوا: «لا نقدر الا ان نتكلم بما رأينا وبما سمعنا!» فمتى ساد العدل بعمل الواجب بين الرؤساء والمرؤوسين، ومتى قادت روح الواجب جميع الافراد من اي طبقة كانوا، عندئذٍ تتطهر البلاد من فسادها وتسود الراحة والسكينة والعدل والامن، فيتسنى لاصحاب الضمير حينئذٍ ان يريحوا ضمائرهم في هذه الدنيا لينالوا الراحة الابدية في الاخرة

﴿ ✝ ﴾

العظة السادسة

التعويض عن السرقة

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٠ نيسان سنة ١٩٣٠

موجز العظة

المقدمة

« لا تغفر الذنوب ما لم يرد المسلوب »

الجزء الاول : اساس التعويض

المال يصرخ الى صاحبه

الجزء الثاني : القواعد العامة للتعويض

وجوب ارجاع العين، او الثمن عند اتلاف العين – ومع العين الثمرة – ضرورة الرد لصاحب المال، لا للفقراء الا عند جهل الاول – جواز التعويض سراً – الافلاس الحقيقي يعفي من التعويض الكامل – لا عذر للمفلس المحتال !

الجزء الثالث : تعويض المعاونين على الظلم

الشريك والآمر والمشير عليهم واجب الرد – على الكاهن والاطباء والمحامين والمرتشين السهر على مشوراتهم – الرد يلزم المحتضن – تنقية الضمير قبل عمار البيوت

المقدمة

« لا تغفر الذنوب ما لم يرد المسلوب »

بعد ان ذكّرنا سيادة المطران اغناطيوس مبارك بمواضيع عظاته السابقة التي درس بها في هـذا الصوم المبارك شرائع الحق والعدل، قال: واذا خولفت هذه الشريعة فهل يكفي مخالفها ان يندم ويعترف؟ كلاّ، بل ان هذه الوصية تتطلب تعويض المال المسروق او الحق المخروق، سنداً الى المبدإ القائل: « لا تغفر الذنوب ما لم يرد المسلوب » لذلك نشرح في هـذا المساء اساس التعويض، والقواعد العامة للتعويض، ونختم ببضع ملاحظات في ما يختص بتعويض المعاونة على الظلم.

الجزء الاول: اساس التعويض

« المال يصرخ الى صاحبه »

في الاول بين سيادة الخطيب ضرورة التعويض « فلسفياً » فشرح هذا المبدأ: « المال يصرخ الى صاحبه » وبما ان حق التملك هو حق الهي وطبيعي، فصار من الضروري، حفظاً للنظام في الكون، ان يرجع المال الى صاحبه، والا اختل كل نظام. و« لاهوتياً » فسرد الشرائع الوضعية التي اوضحها الكتاب المقدس في الشريعة الموسوية وفي كلام داود النبي « ... ترجع النعجة اربعاً » وفي العهد الجديد خصوصاً برسائل القديس بولس

و« قانونياً » لان التعويض مفروض في جميع شرائع العالم حتى في الحكومات التي لا دين لها، لان الشرائع المدنية قد استقت هـذا المبدأ من الشريعـة الطبيعية التي غرسها الله في قلب كل انسان.

الجزء الثاني : القواعد العامة للتعويض

وجوب ارجاع العين، او الثمن عند اتلاف العين

شرح سيادة الخطيب القواعد العامة للتعويض، فبين ان الرزق المتلف يجب، كالرزق المسروق، ان يرد الى صاحبه لان صاحبه قد حرمه ظلماً. فمن الضروري ان يعاد اليه. وهنا بين فظاعـة اولئـك الذين يخربون البيوت ويتلفون المزروعات ويسببون المضرات الهائلة بالحريق المفتعل، ويعفون انفسهم من كل تعويض، بحجة ان الشريعة المدنية لا تطالهم. ان يد الله اطول من يد البشر، وهي قادرة أن تعاقبهم في هذه الدنيا وفي الآخرة! ثم اوضح الخطيب ضرورة ارجاع الشيء المسروق عينه، بموجب المبدأ السابق « المال يصرخ الى صاحبه » الا اذا كان قد تلف، فيرجع ثمنه العادل بحكم المرشد والخبيرين.

ومع العين الثمرة

ومع ارجاع العين ترجع الثمرة، بموجب هذا المبدأ « المال يثمر لصاحبه » فان كان المسروق نقوداً، فترجع مع فائدتهـا العادلة، وان بيتا فيرجع مع اجرته، وان حقلاً فيرجع مع ثماره

وان بضاعة فترجع مع ارباحها .

ضرورة الرد لصاحب المال لا للفقراء الا عند جهل الاول

ويجب ان يكون الرد الى صاحب المال، لا الى غيره . فمن يوزعون بعض الدراهم على الفقراء، ظناً منهم انهم بذلك يفون ما عليهم، فقد ضلّ ظنهم : لانه لا يجوز لنا ان نسرق لنعمل الاحسان ، حفظاً لهذا المبدأ « لا تعمل السيئات لتأتي الخيرات» فاذا كان الشخص المسروق معروفاً ، فيجب ان يرجع المال اليه، واذا كان الشخص مجهولاً لكنه منحصر في دائرة كالمبيع بالاثمان الفاحشة في قرية او مدينة، فعلى السارق بهذا المبيع ان يخفض من اسعاره، على مدة تعادل المدة التي اختلس فيها باسعاره الفاحشة .

وبهذه الواسطة يرجع، ولو على وجه التقريب، ما اختلسه الى الاشخاص انفسهم . واذا كانت الاشخاص مجهولة تماماً ، غير منحصرة في دائرة، فعندئذٍ، وعندئذٍ فقط، نقدر ان نريح ضمائرنا بتوزيع المال المختلس على الفقراء والمشاريع الخيرية .

جواز التعويض سراً

ولكن هل يجب علينا ان نفضح انفسنا بالتعويض على اشخاص يظنون فينا الصلاح ولا يمرّ في بالهم اننا تعدينا عليهم؟ لا، لا لزوم لذلك ، بل نحن نستطيع ان نعوض عليهم سراً وبواسطة، دون ان يعرفوا مصدر التعويض . فالشرط الضروري

ان يرجع المال الى صاحبه، باي طريقة كانت.

وهنا سرد الخطيب عدة حوادث وقعت تحت يده بتعويضات عديدة بعد الحرب، بواسطة الاعتراف. فكان هذا التعويض سبباً لرجوع من كانوا يستهترون بالاعتراف، فعادوا الى ممارسة هذا السرّ الالهي قائلين: لو لم يكن للاعتراف الا هذه المنفعة لكفاه ذلك برهاناً على انه رسم الهي!

الافلاس الحقيقي يعذر من التعويض الكامل

وقد يحدث ان يستدين الانسان او يختلس او يتعدى، فيخسر كل ما عنده او قسماً كبيراً منه بآفة سماوية كالجراد او انحباس المطر، او بضربة بشرية كاجتياح ثوار او بأزمة مالية كالازمة الحاضرة؛ فيعجز طبيعياً عن التعويض الكامل. فالشريعة عندئذٍ تلزمه بان يعوض مما بقي له، وهذا هو الافلاس الحقيقي. ولكن اذا وفقه الله ورجع فربح ما يقدر ان يعوّض به، فرغماً من الاتفاقات السابقة واعفاء الشريعة المدنية له، يبقى ملتزماً بموجب الشريعة الالهية ان يعوّض، ما دام في قيد الحياة اذا حصل ما يكفي التعويض.

لا عذر للمفلس المحتال

واذا عذرنا المفلسين الحقيقيين في الردّ الحالي، فالمفلس المحتال لا عذر له أصلاً، ولو احتمى وراء الشرع المدني بحيل سجل بها ما يملكه لزوجته او اولاده او اصدقائه. ان عين الله

ناظرة اليه والى ظلمه ! ولا يعفى من الرد، لان الشرع كثيراً ما يقتل العدل. فعلى الضمير ان يتبع شريعة العدل ويعمل بموجبها.

الجزء الثالث : تعويض المعاونين على الظلم

الشريك، والآمر، والمشير عليهم واجب الرد

شرح سيادة الخطيب قواعد الرد بالنظر الى المعاونين، فبرهن ان المشاركة تلزم الشريك برد السرقة كلها : لان كل شريك كان علة فعالة للسرقة بكاملها ولولاه لما وقعت. ولكن له حق بان يرجع على شركائه بحصة كل واحد منهم. اما الآمر فهو المسؤول الاول بالرد، كما كان هو المسؤول الاول بالسرقة. فاذا لم يرد المأمور ما اختلسه، فعلى الآمر اذ ذاك، بدرجة اولى، ان يعوّض. والمشير كذلك، فانه يلتزم بالرد، بدرجة اولى، ولو كان هو العلة الثانية، لانه، كما رأينا، هو العلة الفعالة. فعليه ان يلحّ على من استشاره بالتعويض، فاذا لم يعوض هذا، التزم هو نفسه بالرد والتعويض.

على الكاهن والاطباء والمحامين والمرتشين السهر على مشوراتهم

وهنا جدد سيادة الخطيب تنبيهه للكهنة والمرشدين في سر التوبة والاطباء والصيدليين والمحامين كي يسهروا على مشوراتهم، لئلا يلتزموا هم انفسهم برد ما اختلسه مستشيروهم دون ان يستفيدوا هم منه شيئاً.

وهكذا المرتئي، قاضياً كان او نائباً او عضواً في ديوان او مجلس ايًّا كان. فكما انه كان سبباً في ظلم الغير، فهو ملتزم بسبب احكامه ان يعوض عما سببه من الاختلاس. والمتملق بالوعد او الوعيد او الرشوة، الذي يحمل المرتئي او الفاعل على الاختلاس، مسؤول بدرجة اولى. واذا هما لم يعوّضا، فلا يعفى هو نفسه من الرد

الرد يلزم المحتضن

والمحتضن الذي بتوصياته ونفوذه أنقذ المجرم من رد ما اختلسه، ملتزم بالرد اذا لم يقدر ان يحمل من احتضنه على الوفاء عن ذمته. هكذا قولوا عن المعاونين السلبين الساكتين او الغير المعترضين او الغير المخبرين، كبيرة كانت وظائفهم او صغيرة، فانهم ملتزمون بالرد، اذا لم يرد من سكتوا عنه.

وهنا انهى سيادة الخطيب كلامه بتذكار شخصي، حين كان يلقي رياضة في احدى الرعايا، وكان يلح على بعض المتمولين بان يتقدم من سرّ التوبة، فدنا منه احد الحاضرين وهمس اليه: دعه، فاذا هو اعترف اعترافاً صحيحاً خرب بيته، لان ماله كله حرام بحرام!

تنقية الضمير قبل عمار البيوت

فيا اخوتي الاعزاء، ما اكثر عدد الذين يطبق عليهم هذا الكلام. فهل يعفينا خراب بيوتنا من تنقية ضمائرنا؟ من منا

يحمل معه شيئاً الى الآخرة؟ ان اموال الدنيا تبقى في هذه الدنيا. وان المسيحي العاقل هو الذي يرتب اموره قبل فوات الحين، ويفضل خسارة الدنيا على خسارة الآخرة. وماذا ينفع الانسان ان ربح العالم كله وخسر نفسه.

فعليكم، يا اخوتي ابناء هذه المدينة المباركة، الذين كثرت معاملاتهم وثقلت ضمائرهم ببعض الاختلاسات والتعديات والارباح الفاحشة، عليكم ان تستفيدوا من الوقت الحاضر وتعوّضوا؛ ما دام لكم زمان، ولا تؤخروا ذلك الى آخر ساعة؛ مدعين بما تخولكم اياه الوصية. فان من لا يدبر اموره في حياته؛ يجعل نفسه في خطر ان لا يدبرها ورائه بعد موته!

مواعظ صوم

١٩٣٢

في

وصايا الكنيسة

القيت كلها في كاتدرائية بيروت المارونية

وعد الخدامة

٦٦٣١

في

تسلية الليلة

تنبيه: لا تعيروا قيد الاستعمال في أول تشرين

العظة الاولى

في

سلطة الكنيسة في سن الشرائع

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٢ شباط سنة ١٩٣٢

موجز العظة

المقدمة

« كلمنا الله اولاً بانبيائه، ثم بابنه الحبيب واخيراً بكنيسته »

الجزء الاول : سلطان الكنيسة

المسيح اعطى كنيسته سلطان التعليم، وسلطان توزيع الاسرار وسلطان الحل والربط، وبالتالي سلطان سن الشرائع – منذ المهد استعملت الكنيسة سلطتها في سن الشرائع – وعد المسيح بمساعدة الكنيسة – خليفة الصياد على عرش امبراطرة روما – « لا تقدر تستولي على ضميري » (بيوس السابع) – سلطة البابوات الادبية لاعظم من سلطانهم الزمني – موسوليني دكتاتور ايطاليا يخضع للبابا – لا سيف للكنيسة ولا مدفع بل حقيقة ومحبة .

الجزء الثاني : غاية شرائع الكنيسة ووصاياها

تطبيق وصايا الله – اصغاء الشعب البيروتي لكلام الخطيب – محبة سيادة الخطيب لابناء ابرشيته – شبيبة بيروت تحب المسيح .

المقدمة

سلطة الكنيسة في سن الشرائع

كلمنا الله اولاً بانبيائه ثم بابنه واخيراً بكنيسته

ابتدأ صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك مساء الجمعة الاولى من الصوم ١٢ شباط مواعظه، وكانت الجماهير محتشدة حسب العادة حتى ضاقت بهم الكنيسة على رحبها. فذكر المؤمنين بعظات السنين الماضية التي بها شرح وصايا الله ثم بين كيف ان هذه الوصايا تصبح بلا حياة اذا لم يوجد من يشرحها. فان الله قد كلمنا، حسب قول مار بولس الرسول، اولاً بأنبيائه واخيراً بابنه الحبيب فأتى سيدنا يسوع المسيح لا ليحل بل ليكمل (متى ١٧٥) فكمل هذه الوصايا الالهية بتعليمه الانجيلي الذي ادهش بسموه في بساطته، عقول اكبر الفلاسفة. لكن سيدنا يسوع المسيح صعد الى السماء بعد افتداء البشر. ولكي لا يبقى تعليمه مجهولاً او فاقد الحياة بعد كتابته اسس كنيسته لتشرح تعاليمه وتكمل عمله الى منتهى العالم.

فاقتضى ان تسن هذه الكنيسة شرائع ووصايا هي موضوع كلام الخطيب في هذه السنة تكملةً لشرح وصايا الله. وقد تكلم في عظته الاولى عن سلطان الكنيسة في سن الشرائع والوصايا.

الجزء الاول : سلطان الكنيسة

المسيح اعطى كنيستهِ سلطان التعليم وسلطان توزيع الاسرار
وسلطان الحل والربط وبالتالي سلطان سن الشرائع

بعد ان بسط سيادة الخطيب رحلة سيدنا يسوع المسيح الى قيصرية فيلبس وجلوسه على ذاك النبع الشهير احد ينابيع الاردن ذكر قول السيد المسيح لبطرس . انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ولك اعطي مفاتيح ملكوت السماء فمهما تربطه على الارض يكن مربوطاً في السماء ومهما تحله على الارض يكن محلولاً في السماء (متى ١٦ : ١٣ ...)

فهذا الكلام اسس التعليم في الكنيسة واعطى بطرس كل سلطان فيها ليربط ويحل كما يراه مناسباً . وكمل اعطاء هذا السلطان بعد قيامته عندما قال لبطرس : ارعَ خرافي ارعَ نعاجي (يوحنا ٢١ : ١٥) . ثم اعطى رسله سلطان التعليم تحت رئاسة بطرس : اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعلموهم ان يحفظوا ما اوصيتكم به (متى ٢٨ : ٢٠) ثم اعطاهم سلطان توزيع الاسرار : تلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس (متى ٢٠ : ١٩) ونفخ فيهم وقال : اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه غفرت ومن امسكتم عليه خطاياه امسكت (يوحنا ٢٠ : ٢٣) . — هذا هو جسدي هذا هو دمي اصنعوا ذلك لذكري

(لوقا ٢٢ : ١٩) . وبعد صعود السيد المسيح الى السماء وحلول الروح القدس يوم عيد العنصرة خرج الرسل برئاسة بطرس وابتدأوا يستعملون سلطانهم بالتبشير والتعليم وشرح الوصايا الانجيلية وتوزيع الاسرار الالهية

منذ المهد استعملت الكنيسة سلطتها في سن الشرائع

وفي ايام الرسل عندما كثر عدد المؤمنين اقتضى لبطرس اولاً ثم لباقي الرسل في البلدان التي نشروا فيها التعاليم الانجيلية ان يسنوا انظمة وقوانين لحسن سير الكنيسة المقدسة، والقوانين الاولى الرسمية التي وصلت الينا هي قوانين ذلك المجمع الانطاكي الاول الذي صار التوفيق فيه بين مؤمني اليهود ومؤمني الامم. وهكذ منذ الفي سنة والكنيسة موجودة على الارض تستعمل سلطانها وتنظم قوانينها وادارتها لخير المؤمنين حتى اصبح نظامها وترتيبها آية في الحكمة يحسدنا عليها سائر ارباب السلطات الزمنية

وعد المسيح بمساعدة الكنيسة

واذا لم يكن للكنيسة واسطة لحسن سير هذا النظام الا طول المدة فهذا كاف، لان المملكة الرومانية اشتهرت بحسن ادارتها وسن قوانينها اكثر من سبعماية سنة وهذا الدوام كان كافياً لتستولي بحنكة رجالها وحكمة قوانينها على العالم المعروف باسره . لكن السوس والفساد نخرا عظامها فسقطت وتلاشت ككل سلطة زمنية . لكن الكنيسة فوق دوامها كل هذه المدة

لا ننسى ان قوة الهية تدربها «وها انا معكم طول الاجيال حتى منتهى الدهر». وهذه القوة هي التي ساعدتها على الدوام، ساعدتها على الحكمة في نظامها وسن شرائعها، ساعدتها على الانتصار في وسط الاضطهادات والصعوبات التي تكتنفها

خليفة الصياد على عرش امبراطرة روما

هذه القوة جعلتها ان تنتصر على الدولة الرومانية صاحبة السيف والسطوة بدون سيف ولا سلاح فظهرت امامنا اعجوبة تحير العقول. الدولة الرومانية التي اضطهدت الكنيسة اخذت الكنيسة موضعها وجلس خلفاء بطرس على عرش القياصرة في رومية العظمى

هذه القوة جعلت الكنيسة تنتصر على الارتقات العديدة التي ظهرت في الاجيال الاول والاجيال المتوسطة

«لا تقدر تستولي على ضميري» (بيوس السابع)

وحتى لا يظن البعض ان الكنيسة تنتصر وتسود بواسطة السلطان الزمني الذي كان للاحبار الاعظمين، سمح الله بان تخسر هذا السلطان فيزداد نفوذها وترداد سلطة الاحبار الاعظمين الادبية

فبيوس السابع خسر سلطانه الزمني بطمع نابوليون الاول الذي اخذ البابا اسيراً وطلب منه امضاء معاهدة ضد مصلحة الكنيسة فاجابه البابا: استوليت على املاكي واستوليت على

شخصي وحريتي ولكنك لا تقدر ان تستولي على ضميري . وقد سقط ذاك النسر المنتصر من علو سمائه وذهب اسيراً الى جزيرة القديسة هيلانة، وعائلته لم تجد من يحميها الا حنان بيوس السابع، وبقيت سلطة البابا الادبية معززة

سلطة الباباوات الادبية لاعظم من سلطانهم الزمني

وفي اواسط الجيل التاسع عشر عندما استولت الدولة الايطالية على مملكة البابا الزمنية منّ الله علينا باعظم الباباوات نفوذاً وحكمة وسياسة وسلطة ادبية . فمن منا لا يذكر عظمة بيوس التاسع في آلامه، وعظمة لاون الثالث عشر في سياسته، وعظمة بيوس العاشر في غيرته، وعظمة بنادكتوس الخامس عشر في حنكته . وكان ملوك الارض يطمحون الى الاستيلاء على ملك البابا لما كان ملكاً فيحتقرون سلطته الزمنية لانها كانت ضعيفة فسمح الله بان يتجرد من هذه السلطة فكبرت سلطته الادبية وامتدت اكثر من ذي قبل على العالم كله حتى اصبح مقام البابا محجة جميع الامم وجميع الملوك

موسوليني دكتاتور ايطاليا يخضع للبابا

وعندما اراد الديكتاتور موسوليني في ايامنا بعد معاهدة لاتران الشهيرة ان يستفيد من ضعف البابا لتجريده شرعاً من السلطان الزمني بتلك المعاهدة فيخضع الجمعيات الكاثوليكية لمآربه او يلاشيها، كفى للبابا بيوس الحادي عشر ان يرفع صوته

تجاً، فدوت لاحتجاجه انحاء الكون كلها واخذت الاحتجاجات
ى والتهديدات تتساقط على راس ديكتاتور ايطالية فالتزم
ن يخضع . وقد رأيناه في هذه الايام يسعى بعد ان نال علامة
رضا ليقابل البابا وليقدم خضوعه ويقر بسلطته الادبية التي
لا مثيل لها في الكون (١)

لا سيف للكنيسة ولا مدفع بل حقيقة، ومحبة

فسلطة الكنيسة هي سلطة ادبية تأمر بواسطتها بدون ضغط
ولا سيف فتخضع العقول لحقائقها والارادات لوصايا مؤسسها
والقلوب لمحبتها ومحبة معلمها وقد توصلت الى ما لم تتوصل اليه
قوة بشرية بان يضحي الوف من الشهداء بحياتهم اثباتاً لايمانهم
والخضوع لكنيستهم

وهذه السلطة التي لاحد لها في المكان الا منتهى المسكونة
ولا حد لها في الزمان الا منتهى الاجيال تستعملها الكنيسة
لسنّ الشرائع والوصايا وليس لها غاية في ذلك الا خلاص النفوس

الجزء الثاني : غاية شرائع الكنيسة ووصاياها

تطبيق وصايا الله

ليس لوصايا الكنيسة غاية الا تطبيق وصايا الله والوصايا
الانجيلية . فوصية الله مثلاً تأمرنا بتقديس يوم الرب فطبقت

---

(١) قد تمت هذه المقابلة فعلاً

الكنيسة ذلك بوصيتها اذ بدلت السبت بالاحد تذكاراً لقيامة السيد المسيح وامرت بالبطالة وحضور الذبيحة الالهية

أمر السيد المسيح باماتة الجسد، فطبقت الكنيسة شريعة هذه الاماتة لتسهلها على المؤمنين بالقطاعة الاسبوعية والصيامات السنوية

امر السيد المسيح بان نأكل جسده ونشرب دمه لحياة نفوسنا فطبقت الكنيسة هذه الشريعة بشريعة المناولة الفصحية

وهكذا قل عن سائر الشرائع والوصايا الكنسية فليس لها غاية الا تطبيق الشرائع الالهية لخلاص النفوس، فمن هذه القوانين قوانين خاصة لفئات معلومة وهي موضوع الحق القانوني الذي ليس هو موضوع شرحنا الآن. ومنها وصايا عامة لكل الفئات بدون استثناء من رؤساء ومرؤوسين وهذه هي التي ستكون موضوع العظات في هذا الصوم

اصغاء الشعب البيروتي لكلام الخطيب

وختم سيادة الخطيب قائلاً: عودتمونا في السنين الماضية ان تصغوا لكلامنا وتستفيدوا من هذه التعاليم الخلاصية فنرجو ان تواصلوا هذا الاصغاء وهذه الاستفادة رغم بعض امثولات قاسية نلتزم ان نوجهها اليكم فانها دلالة على محبتنا لنفوسكم لان الجرّاح بقدر ما يكون محباً بقدر ما يبضع بقساوة العضو الزمن لنجاة الحياة

محبة سيادة الخطيب لابرشيته

فنحن اذا استعملنا القساوة احياناً فما ذلك الا لازدياد محبتنا لانكم لو دخلتم قلبنا لوجدتموه مضطرماً بحب ابناء هذه الابرشية وهو مثل قلب الام التي ترى ابنها يرتمي في النار ليحترق او في النهر ليغرق فتسمع صيحتها وتخاطر بنفسها لتخلص ابنها هكذا نحن يا اولادي الاعزاء عندما نرى شبيبتنا ترتمي في نيران الفساد ولجج الضلال كيف نقدر ان لا نسمع صيحتنا ونخاطر بحياتنا لخلاص نفوسهم فاننا نريد ان نحملهم جميعاً كشخص واحد على جناح الطهارة والمحبة لنوصلهم الى السعادة الابدية . وكأني بالسيد المسيح ينظر الى مدينة بيروت كما نظر الى اورشليم ويصرخ باعلى صوته : يا اورشليم يا اورشليم كم مرة اردت ان اجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها

شبيبة بيروت تحب المسيح

فانتم يا اولادي الاعزاء نريد ان نجمعكم تحت جناحي المحبة والطهارة لنحميكم من مخالب الشيطان الذي يزأر حولكم كالاسد ليفترسكم (رسالة القديس بطرس الاولى ٥ : ٨) . لكنك يا سيدي والهي اضفت كلمة وجهتها الى ابناء اورشليم فلا توجهها الى ابناء بيروت وهي كلمة « لم تريدوا » . لا يا سيدي لا يستحق ابناء بيروت هذا التوبيخ وها ان مدينتهم لا تزال اليوم تهتز

وتنتفض بتلك التظاهرة الفخمة التي ابدتها امس شبيبة بيروت في ملاقاة بطريرك لبنان (١) .

فهذه التظاهرة ليست احتفاء بشخص، لكنها دليل عاطفة دينية وعاطفة محبة لك يا سيدي يسوع المسيح الذي يمثلك شخص ذلك الشيخ الجليل . فعند ما نرى هذه العاطفة بمظاهرها الفخمة لا نقدر الا ان نصرخ باعلى صوتنا فلتحيَ الشبيبة البيروتية ! وليحي الدين المسيحي ! وهذه العاطفة هي اكبر دليل على ارادتهم فهم يريدون ان يؤمنوا بك وان يحبوك من كل قلوبهم وان يحفظوا وصاياك ووصايا كنيستك وان يلتفوا حولك ويحتموا بجناحيك لراحة ضمائرهم وسعادة قلوبهم في هذه الدنيا وخصوصاً لراحتهم وسعادتهم في الآخرة

---

(١) هي المظاهرة العظمى التي جرت لسيدنا البطريرك انطون بطرس عريضه في نزوله اول مرة الى بيروت

العظة الثانية

سماع القداس ايام الاحاد والاعياد

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٩ شباط سنة ١٩٣٢

موجز العظة

المقدمة

« بدلت الكنيسة يوم السبت بالاحد تذكاراً لقيامة الرب في هذا اليوم »

الجزء : الاول ضرورة البطالة للحياة الجسدية

« بعرق جبينك تأكل خبزك » – الفيلسوف كاتون والعبد – تحريم الاشغال العبدية – العبد اخ للمسيح – عبودية اليد العاملة – الكنيسة ودفاعها عن العملة .

الجزء الثاني : ضرورة البطالة للحياة العائلية

يوم الاحد هو يوم المحبة العائلية – ركبة الاب استاذ اولاده

الجزء الثالث : ضرورة البطالة للحياة الروحية

غاية البطالة الاولى تقديس النفس – البطالة لكل شيء ما عدا الله !!! – المراهنة والدوبله سببٌ لخراب البيوت – « يغذون خيلهم من دم البشر » – المجلس النيابي خان واجبه وخان الشعب الذي انتخبه – صديق الشعب الحقيقي ومحاميه – وجوب مقاطعة المراهنات

المقدمة

بدلت الكنيسة يوم السبت بالاحد تذكاراً لقيامة الرب في هذا اليوم

ذكر الخطيب صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك موضوع العظة الماضية واردف قائلاً : بما ان غاية وصايا الكنيسة هي تحديد وتطبيق وصايا الله فقد جعلت وصيتها الاولى « اسمع القداس ايام الآحاد والاعياد » تطبيقاً لوصايا الله الاولى التي بها يأمرنا باكرامه وعبادته وحفظ يوم الرب

يوم الرب كان يوم السبت في العهد القديم فبدلت الكنيسة السبت بالاحد تذكاراً للحادث العظيم الذي قلب وجه الكون واثبت لاهوت السيد المسيح اثباتاً لا مردّ عليه وهو حادث القيامة الذي تصنع له الكنيسة اعظم عيد سنوي فتستعد له بالصوم والرياضات الروحية، الا وهو عيد الفصح . وارادت ان يتجدد ذكره كل اسبوع فجعلت يوم الاحد الذي هو يوم القيامة، يومَ الرب في العهد الجديد وامرت ان يحفظ بالبطالة والتقديس . ونكتفي اليوم باول جزء من هذه الوصية وهو شريعة البطالة وضرورتها . فنرى ضرورة البطالة : ١ً للحياة الجسدية ٢ً للحياة العائلية ٣ً للحياة الروحية

الجزء الاول : ضرورة البطالة للحياة الجسدية

بعرق جبينك تأكل خبزك

خلق الله الانسان سعيداً في الفردوس الارضي يأكل من اثماره دون تعب ولاشقاء . ولكن آدم لم يلبث ان اخطأ وطرد من الفردوس وحكم عليه بالشغل ليجني ثمرته فيعيش «بعرق جبينك تأكل خبزك» . لكن الله ترك له حرية الشغل لتكون ثمرة شغله له . على ان الانسان افسد النظام الالهي فأخذ القوي يستعبد الضعيف واصبح شغل العبد لسيده الذي كان يشغله ليلاً ونهاراً وفي كل ايام الاسبوع بلا شفقة ولا رحمة . ويعتبره كالحيوان فلا يرأف بحياته لسهولة تمكنه من الاستبداد بغيره من العبيد .

الفيلسوف كاتون والعبد

وكانت حياة العبد لا لخدمة السيد فقط بل ايضاً لتسليته ولذته . فكان السيد يأمر العبيد بالاقتتال ليتسلى بقتل بعضهم البعض الآخر كأنّ لا قيمة لحياتهم . وكان العبد اذا مرض او شاخ يُرمي، حسب شريعة كاتون الفيلسوف الروماني الشهير، في احدى زوايا الحقل دون قوت ولا كسوة حتى يموت جوعاً

تحريم الاشغال العبديّة

فشفق الله على الانسان وحرّم بنوع خاص، في شريعة البطالة التي امر بها، الاشغال العبدية، اعني الاشغال الشاقة التي

كانت تفرض على العبيد . اما الاسياد فكانت راحتهم دائمة اذ انهم لم يكونوا يشتغلون الا بما يريح الجسم والعقل . وعليه اصبحت الاشغال المحرمة تلك الاشغال التي تضني الجسد . اما الاشغال العقلية كالقراءة والكتابة والفنون الجميلة المختصة بالعقل اكثر من الجسد فلم تحرَّم

العبدُ اخٌ للمسيح

وقد استقت الكنيسة من تعليم معلمها الالهي في المحبة والتواضع تلك المساواة المسيحية التي جعلت العبد اخاً للسيد المسيح حتى توصلت الى حادث يجب ان يكتب بماء الذهب وهو الغاء العبودية في العالم المسيحي

عبودية اليد العاملة

لكن « استعباداً » آخر تولد في الاعصر الاخيرة اعني استعباد رأس المال . وهي عبودية لليد العاملة تترك الحرية للعامل ويجني ثمرة شغله اذ يأخذ اجرته، لكنه اذا لم يشتغل لا يعيش .

الكنيسة ودفاعها عن العملة

فرتبت الكنيسة بواسطة الاحبار الاعظمين انظمة وقوانين لحفظ حقوق العامل تجاه راس المال . واخص هذه القوانين شريعة البطالة يوم الاحد لراحة جسد العامل مع تمكنه في ذلك اليوم هو وعائلته، بازدياد الراتب اليومي او الاسبوعي، من المعيشة

يوم الاحد دون شغل . وعليه بموجب هذه الشريعة، اصبح كل عامل، مقيد او حر، يشتغل لذاته في ملكه او لغيره باجرته، ملتزماً بالبطالة لراحة جسمه ولحفظ حياته الجسدية

فترى من هنا كيف ان الله، والكنيسة من بعده، يشفقان على الانسان، حتى في راحة جسده، لان الجسد خلقه الله مثل النفس . ويريد الله لقيام الكون ان نحافظ على حياة الجسد كما نحافظ على حياة النفس

الجزء الثاني : ضرورة البطالة للحياة العائلية

يوم الاحد هو يوم المحبة العائلية

في هذا القسم ذكر الخطيب احتياج ابي العائلة الى شفاء غليله من الحنان والمحبة نحو اولاده . فبين ضرورة انقطاعه عن الاشغال الخارجية لينفرد، يوم الاحد، للمعيشة بينهم، فيبادلهم المحبة ويتاح لهم ان يعرفوه اباً . اذ انه في ايام الاسبوع، يخرج باكراً قبل قيام اولاده من النوم ويرجع غالباً بعد رقادهم . وبالوقت ذاته ينسي له يوم الاحد ان يتمم واجباً لا يقدر ان يتممه في ايام الاسبوع وهو واجب تهذيب اولاده وتعليمهم

ركبة الأب استاذ اولاده !

وهنا بين سيادة الخطيب جمال تلك الايام التي كان يذهب فيها الآباء والامهات مصحوبين من اولادهم الى الكنيسة لسماع

القداس وبعد تتميم هذا الواجب الديني ترجع العائلة الى البيت وبينما تهتم الام بتهيئة غذاء العائلة يجمع الاب اولاده الصغار على صدره وركبتيه والكبار حوله ويعلمهم الصلوات والتعليم المسيحي ويقص عليهم اخبار العهد القديم والجديد. فكم من ولد تعلم واجباته الدينية وتاريخ العهد القديم والجديد وهو طفل صغير على ركبة والده. فهل نجد اليوم عائلات مسيحية تتمم هذا الواجب وتقضي يوم الاحد في تعليم الاولاد؟ كيف نقدر ان نجد هذه اللذة بين العيال وليس للاب جلد في هذه الايام على ان يبقى في بيته، واذا رافق اولاده فالى السينما او المسارح لحضور الروايات الخلاعية، فتصبح البطالة مفسدة للاولاد بدلاً من ان تكون لتثقيفهم وتهذيبهم

الجزء الثالث : ضرورة البطالة للحياة الروحية

غاية البطالة الاولى تقديس النفس

ان الله امر بالبطالة لراحة الجسد والعيشة العائلية لكن الغاية الاساسية من هذه البطالة هي تمكين الانسان من تقديس نفسه بتقديم واجبه لله، لان الله هو الذي خلقنا وهو الذي يحفظنا في الوجود ولولا عنايته الحافظة لما قدرنا ان نحيا لحظة عين. فواجبنا الاصلي ان نكرس له كل دقيقة من حياتنا دون استثناء. لكن الله شفق علينا وترك لنا ستة ايام من سبعة لنهتم بشؤوننا وأمر ان نخصص له يوماً واحداً لنقدم له واجب

العبادة ونرفع عقلنا اليه بالصلوة مقرين باختصاصنا به وربوبيته علينا مقدمين له ذاتنا شاكرين له نعمه الغزيرة نحونا طالبين منه المغفرة عن خطايانا مستمدين منه النعم اللازمة لنا . فكان من واجبنا ان نخصص نهار الاحد لهذه الافعال، وبدون البطالة لا يمكننا ان نتمم تلك الواجبات

البطالة عن كل شيء ما عدا الله !!!

فاذا فحصنا حياة المسيحيين في هذا الزمان نراها خالية من كل ما هو لله . فالبعض لا يبطلون الاحد بحجة طلبهم لازدياد الرزق ناسين ان الرزق هو من الله وان الله لا يبارك عملاً يحرّمه في يوم الرب، فيركض هولاء وراء الرزق والرزق يركض من امامهم . واذا فحصنا سبب خراب بيوت عديدة نراه في عدم احترام شريعة البطالة يوم الاحد

ومن المسيحيين من يستعمل بطالة الاحد لا لمجد الله واكرامه بل لاهانته بالسكر والملاهي والخلاعة . فعوضاً عن ان تكون البطالة لخلاص نفوسنا تصبح واسطة لهلاكنا، وعوضاً عن ان تكون لسعادة عيالنا تصبح لتعاستها وشقائها، باستسلامنا الى تلك المراهنات الذميمة في سباق الخيل وخلافه

المراهنة والدوبله سببٌ لخراب البيوت

فيا اخوتي لا نقدر ان نخفي عليكم حزن قلبنا لما سمعناه في هذا الاسبوع تكراراً على جميع الافواه مندّداً عليه في

كل الجرائد، وهو تكريس فظاعةٍ هي سبب لخراب البيوت في هذه المدينة، فظاعة المراهنة بما يسمونه « الدوبله » باذن رسمي من قبل مجلسنا النيابي

فقد قصد بعض اغنيائنا ان يخصصوا قسماً من ثروتهم لتحسين نسل الخيل باعطاء الجوائز للمبرزين في السباق . ولربما كانت النية حسنة في ابتدائها لكن هذا السباق اصبح بالمراهنات وبما يسمونه الدوبله سبباً لخراب البيوت وموت العيال جوعاً

« يغذون خيلهم من دم البشر »

كنا نود لو ان هولاء الاغنياء رافقونا في زيارتنا الرعائية الى بيوت الفقراء اذاً لكانوا رأوا كم من امرأة تنوح وتبكي لان ليس لها ما تسد به جوعها وجوع اولادها، بما ان زوجها خسر في الدوبله كل ربحه في الاسبوع، ورأوا كم من ارملة تستغيث طالبة الاحسان لان ابنها الكبير الذي اتكلت عليه لمعيشة اخوته الصغار قد رمى في المراهنات ما جمعته بالتقتير لوقت الحاجة من شغل يديها واقتصادها اليومي

فاصبحت هذه المراهنات بحجة تحسين نسل الخيل ضربة قاضية على النسل البشري

فاننا لنستصرخ ضمائر اولئك الاغنياء ان يكفوا عن قتل الفقراء بهذه الصورة، لانهم يغذون خيلهم من دم البشر

المجلس النيابي خان واجبه وخان الشعب الذي انتخبه

وقد كنا ننتظر من مجلسنا النيابي ان يكون معيناً للفقير والبائس ومخلصاً للشعب، الذي حمله على اكتافه الى كرسي النيابة، من هذه الضربة القاضية على امواله وحياته، فاذا به في اكثريته يضحي بهذا الشعب طمعاً او تزلفاً

صديق الشعب الحقيقي ومحاميه

فاننا من اعلى هذا المنبر وامام هذا المذبح وتجاه هذه الجماهير الملتفة حولنا نحتج بكل قوانا على قرار مجلسنا مسجلين الشكر لتلك الاقلية التي قاومت هذا المشروع بكل قواها

ونطلب من الحكومة التنفيذية ان تستعمل ما لها من الحق لرد هذا القرار لنجاة الشعب من ضربة تقضي على امواله وحياته

وجوب مقاطعة المراهنات

واذا كانت الحكومة لا سمح الله لا تعمل واجبها فعلى الشعب كله ان يحتج احتجاجاً فعلياً بمقاطعته هذه المراهنات الشائنة

فان هذه المراهنات وسائر الرذائل التي تكلمنا عنها هي كاعداء تهاجمنا يوم الاحد لتفسد غاية بطالته . فلنتشبه بالمكابيين الذين ضحوا بانفسهم لئلا يفسدوا بطالة يوم الرب واستشهدوا الله

انهم يموتون باستقامتهم لحفظ الشريعة

فنحن يا اخوتي لا نطلب منكم ان تموتوا بل ان تحيوا. فبطالة الاحد هي واسطة لحياة اجسادكم وحياة عيالكم وحياة نفوسكم، وهذه البطالة متى تمت حسب ارادة الله وغاية وصيته تكون واسطة لراحتكم وسعادتكم في هذه الدنيا وراحتكم وسعادتكم في الآخرة

العظة الثالثة

تقديس يوم الاحد بالقربان المقدس

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٢٦ شباط سنة ١٩٣٢

موجز العظة

المقدمة

مقدمة الذبيحة الالهية

الجزء الاول : امكان سر القربان المقدس

ما الجوهر وما العرض في الطبيعة – الله يعمل في القربان المقدس ما يعمله في الطبيعة بتحويله الجوهر وترك الاعراض – في الطبيعة اسرار كثيرة لا يصل الى فهمها عقل الانسان

الجزء الثاني : حقيقة رسم القربان المقدس

محبة يسوع لنا رسمت سر القربان – وعد يسوع باعطائه جسده مأكلًا – معنى كلام يسوع حرفي لا مجازي – التلاميذ فهموا المعنى الحرفي – تحقيق الوعد : «هذا هو جسدي» – من اولى بالتصديق المسيح ام البروتستانت ؟ – ايمان الكنيسة بهذا السر منذ البدء – تاريخ الكنيسة هو تاريخ القربان المقدس – نيومن وويزمان – طهارة الرهبان والراهبات والمسيحيين هي اعجوبة القربان المقدس في اجسادهم

مقدمة

مقدمة الذبيحة الالهية

ذكّر سيادة المطران اغناطيوس مبارك سامعيه بموضوع العظة السابقة «بطالة الاحد» وكرر عليهم ان السبب الاكبر لهذه البطالة هو تقديس يوم الاحد وتكريسه للرب. وقد حددت الكنيسة هذا التقديس بحضور الذبيحة الالهية واردف قائلًا: بما ان الذبيحة الالهية هي ذبيحة القربان المقدس وهي موضوع الوصية الاولى من وصايا الكنيسة وموضوع الوصية الخامسة «مناولة القربان المقدس» فلاجل فهم هاتين الوصيتين نريد ان نشرح لكم كمقدمة لهما ما هو القربان المقدس فنكرس ارشاد هذا المساء لهذه الحقيقة مبينين اولاً امكان هذا السر، جواباً على الطبيعيين الذين ينكرون امكانه وثانياً حقيقة رسم هذا السر ضد البروتستانت الذين ينكرون حقيقة رسمه تاركين للمرة القادمة شرح الذبيحة والمناولة

الجزء الاول: امكان سر القربان المقدس

ما الجوهر وما العرض في الطبيعة

ان القربان المقدس هو سر وجود جسد ودم سيدنا يسوع المسيح تحت اعراض الخبز والخمر باستحالة جوهر الخبز والخمر الى جوهر جسد ودم سيدنا يسوع المسيح مع بقاء اعراض الخبز والخمر

فلاجل فهم هذا السر شرح الخطيب باسهاب ما هو الجوهر وما هي الاعراض وكيف ان الجوهر يكون واحداً وتختلف الاعراض في الامور الطبيعية التي نراها امامنا وكيف ان الاعراض تكون واحدة مع اختلاف الجوهر، مفصلاً ذلك بتشابيه عديدة مأخوذة عن الطبيعة مبرهناً لسامعيه بذلك ان الجوهر يتغير وتبقى الاعراض كما ان الاعراض تتغير ويبقى الجوهر.

الله يعمل في القربان المقدس
ما يعمله في الطبيعة بتحويل الجوهر وترك الاعراض

فلا عجب اذا كان الله يعمل في القربان المقدس ما يعمله كل يوم في الطبيعة بان يغير جوهر الخبز والخمر الى جوهر جسد ودم سيدنا يسوع المسيح مع بقاء الاعراض ذاتها، لان ليس عند الله امر عسير. اما كيف يكون ذلك فاذا لم نفهم هذه الكيفية فهذا لا يمنع وجود التغيير لان العقل الانساني المحدود لا يمكنه ان يدرك الله الغير المحدود. والغريب، ليس هو ان لا يدرك الانسان كل ما في الله، بل ان يدرك كل اسراره لاننا عندئذٍ نحصر غير المتناهي في المتناهي

في الطبيعة اسرار كثيرة لا يصل الى فهمها عقل الانسان

مع ذلك كم من اسرار في الطبيعة حولنا. هل يفهم احد حتى الآن ما هي الكهرباء؟ فهل عدم فهم ماهيتها يسمح لنا

بنكران وجودها وقد اصبحت من ضروريات حياتنا ؟ من منا يدرك ما هي الحياة ؟ فهل عدم فهم ماهية الحياة يسمح لنا بنكران وجودها

فكل يوم نأكل ونشرب وبمدة اربع وعشرين ساعة او ثمان واربعين ساعة على الكثير يتحول الغذاء من خبز وماء وخمر وما شاكل الى جسدنا ودمنا وسائر اعضاء جسمنا . فالله الذي يصنع هذا التحويل بقوة الطبيعة اعني بقدرته الفائقة، يصنع هو ذاته هذا التحويل في القربان المقدس بقدرته الفائقة لان قدرة الله لا تحصر بالزمان فطوله وقصره سيان عنده

فالله الذي خلق الانسان الاول بكلمة واحدة هو القدير الذي يخلق الانسان بعد ان يكونه في احشاء امه ويكمله في تسعة اشهر . وقدرة الله هي هي ان حصرناها او لم نحصرها بمدة محدودة لان الله هو فوق الزمان والمكان

فترون من هنا يا اخوتي ان الاستحالة التي تتم في القربان المقدس هي ممكنة بقدرة الله كما هي ممكنة في الطبيعة بقدرة الله

فهل تم هذا الممكن وهل صنع السيد المسيح هذه الاعجوبة واراد ان تكمل في كنيسته

هذا ما يجب ان نبينه لكم في القسم التالي تتميماً لموضوعنا

الجزء الثاني : حقيقة رسم القربان المقدس

محبة يسوع لنا رسمت سر القربان

نبه سيادة الخطيب سامعيه بان كلامه موجه في هذا القسم الى المسيحيين المؤمنين بلاهوت السيد المسيح . ثم تساءل الخطيب لماذا صنع يسوع هذه الاعجوبة . فأجاب بما ذكره القديس يوحنا في انجيله « انه احب خاصته واحبهم الى الغاية » . فالمحبة تفسر وحدها هذه الاعجوبة

وعد يسوع باعطاء جسده مأكلا

فالسيد المسيح ابتدأ بان وعد بهذا السر كما فصله القديس يوحنا في الفصل السادس من انجيله : بعد اعجوبة تكثير الخبز اخذ يسوع يبرهن لسامعيه انهم يحتاجون الى الخبز السماوي . وحملهم على طلب هذا الخبز قائلا : « انا الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان اكل احدٌ من هذا الخبز يحيا الى الابد . والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي لحياة العالم . فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا ان يعطينا جسده لنأكله »

معنى كلام يسوع حرفي لا مجازي

فلو كان يسوع يقصد المجاز بكلامه لشرح عبارته لئلا يأخذها اليهود بغير معناها . لكنه قصد اطعامهم جسده ودمه الحقيقيين . لذلك رجع فاثبت كلامه بنوع من القسم قائلا :

« الحق الحق اقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في انفسكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الابدية . . . لان جسدي مأكل حقيقي . ودمي مشرب حقيقي . من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وانا فيه » (يوحنا ٦ : ٥٤)

التلاميذ فهموا المعنى الحرفي

وان كثيراً من تلاميذه لما سمعوا قالوا : « ما اصعب هذا الكلام من يستطيع سماعه ! » فاراد يسوع ان يزيد في اثبات حقيقة كلامه فقال : أهذا يشككم . فكيف اذا رأيتم ابن البشر صاعداً الى حيث كان اولاً . ومن ذلك الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه

فلو كان يقصد يسوع المجاز لارجعهم شارحاً كلامه كما شرح لهم معنى خمير الفريسيين الذي هو الرياء وقد فهموا به خمير الخبز . التفت يسوع نحو الاثني عشر وقال لهم « العلكم انتم ايضاً تريدون ان تمضوا » كانه يقول : لا ارجع عن كلامي لانه حقيقي ولو ذهبتم كلكم . فاجاب سمعان بطرس : « يا رب الى من نذهب ؟ ان كلام الحياة الابدية هو عندك وقد آمنا نحن وعرفنا انك انت المسيح ابن الله . كأنه يقول له : يا سيدي لم نفهم كلامك لكننا نؤمن بصحته لانك ابن الله فلا يمكننا ان نشكك او نرتاب بصحة ما تقول

تحقيق الوعد : هذا هو جسدي »

فما لم يفهمه التلاميذ في ذاك الحين فهموه بعد العشاء الفصحي عندما اخذ سيدنا يسوع المسيح خبزاً وبارك و كسر واعطى تلاميذه قائلًا : « هذا هو جسدي » ثم اخذ كاساً فيها خمر وشكر وبارك واعطى تلاميذه قائلًا : خذوا واشربوا منه كلكم هذا هو كاس دمي ... اصنعوا ذلك لذكري . ففهم التلاميذ عندئذٍ كيف ياكلون جسده ويشربون دمه تحت شكلي الخبز والخمر . وما كانوا يظنونه غير ممكن صار ممكناً بقدرته الالهية

من اولى بالتصديق المسيح ام البروتستانت ؟

فالمسيح يؤكد لنا حقيقة وجود جسده ودمه تحت شكلي الخبز والخمر ومبتدعو المذهب البروتستاني يؤكدون عكس ذلك فمن نصدق ؟

وقد اسندوا نكرانهم هذا الى ايمان الكنيسة الاولي مدعين ان الرسل والمؤمنين في الاجيال الاولى لم يفهموا هذه الحقيقة كما حددتها الكنيسة الكاثوليكية . فرد الخطيب هذا الزعم سارداً تاريخ ايمان الكنيسة منذ الرسل الى ايامنا، مستشهداً بالقديس بولس الرسول في رسالته الاولى الى الكورنثيين الفصل الحادي عشر حيث يستفيض في شرح هذا السر

ويختم كلامه قائلًا : « فأي انسان اكل خبز الرب او شرب

كأسه وهو على خلاف الاستحقاق فهو مجرم الى جسد الرب ودمه ... لانه يأكل ويشرب دينونة لنفسه اذ لم يميز جسد الرب»

ايمان الكنيسة بهذا السر منذ البدء

ثم استشهد بالآباء القديسين في الاجيال الاولى حتى الجيل الخامس وتاريخ الكنيسة الاولى . بما يراه الزائر في دياميس رومية من صور وتماثيل ورموز مما يدل على حقيقة اعتقادهم بهذا السر الالهي

استشهد باتهام الوثنيين للمسيحيين بانهم يأكلون طفلاً بلحمه ودمه في مجتمعاتهم كما يذكر ذلك مؤرخوهم

واستشهد بالطوائف التي انشقت منذ الاجيال الاولى عن الكنيسة الكاثوليكية وبقيت رغم انفصالها عنها محافظة على اعتقادها بحقيقة وجود سيدنا يسوع المسيح في سر القربان المقدس

فلو كان ما يدعي البروتستانت ان الكنيسة الكاثوليكية اخترعت هذا السر في الاجيال الوسطى فكيف قبل هولاء الهراطقة هذا الاختراع وهم منفصلون عنها

فايمان الكنيسة الاولى هو ايمانها في كل العصور لانها اخذته عن الرسل والرسل اخذوه عن السيد المسيح . فيصبح القربان المقدس محور حياتها الروحية . فالفلاسفة يبرهنون في كل الاجيال عن امكانه واللاهوتيون عن حقيقته والخطباء يفيضون في وصف محبة يسوع برسمه والشعراء يتغزلون بهذه المحبة

ويصيغون له افضل التراتيل والمهندسون يشيدون له اجمل الهياكل والنحاتون والمصورون يخترعون له اشرف الرموز والعالم المسيحي كله يلتف حوله ويحتفل به ويسجد له ويعبده

تاريخ الكنيسة هو تاريخ القربان المقدس

فكأن تاريخ الكنيسة منذ تأسيسها حتى ايامنا ما هو الا تاريخ القربان المقدس والايمان به

نيومن وويزمان

وهذا ما حمل علماء اوكسفورد سنة ١٨٣٠ برئاسة نيومن وويزمان على ان يبحثوا ويدققوا في الانجيل والقديس بولس والآباء الاولين وايمان الكنيسة الاولى وكتب الاراطقة الاولين ويتأكدوا بطلان مزاعم البروتستانية في ادعائها ان ايمان الكنيسة الكاثوليكية هو خلاف ايمان الكنيسة الاولى فحققوا بهذا البحث ان ايمان الكنيسة الكاثوليكية هو ايمان الكنيسة الاولى وارجعوا عبادة القربان المقدس في كنائسهم حتى اصبحت معابد لندرة البروتستانية تحتفل بالقربان المقدس كما تحتفل بها كنائس رومية الكاثوليكية. وقد كمل قسم كبير من هولاء العلماء طريقهم في هذا الارتداد وتركوا المذهب البروتستاني، وهم العلماء والاساقفة في مذهبهم، ثم دخلوا المدارس الاكليريكية الكاثوليكية وتعلموا لاهوتها. وسيموا كهنة ثم اساقفة ورقوا

بعدئذٍ الى الرتبة الكردينالية . فكانوا في ايامهم من اكبر عمد الكنيسة الكاثوليكية وبفضل غيرتهم وتبشيرهم اصبح الكاثوليك في انكلترة يعدون بالملايين ولهم مقام رفيع في المملكة بعد ان كانوا قبل ذاك التاريخ لا يتجاوزون المئات وهم اذلاء مضطهدون ومحرومون الحقوق المدنية

طهارة الرهبان والراهبات والمسيحيين
هي اعجوبة القربان المقدس في اجسادهم

وانهى سيادة الخطيب كلامه ذاكراً مفاعيل القربان المقدس في الكنيسة الكاثوليكية مفسراً لسامعيه اعجوبة اذهلت العالم منذ نشأ الدين المسيحي الى ايامنا، وهي اعجوبة الطهارة في ضعف الجسد، فبين ان طهارة المؤمنين الاولين وطهارة الرهبان والراهبات وطهارة الشبان والعذارى في وسط اخطار العالم لا تفهم الاّ بالقربان المقدس خمر العذارى وخمير الطهارة

العظة الرابعة

استماع القداس والمناولة الفصحية

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٤ اذار سنة ١٩٣٢

موجز العظة

المقدمة

غاية القربان المقدس ١ً تقدمة ذاته ذبيحة عنا ٢ً جعله ذاته قوتاً لنفوسنا

الجزء الاول : استماع القداس يوم الاحد

الذبيحة اكبر عمل ديني يعمله الانسان – الكون كله لو قدم ذبيحة لما كفر عن خطية واحدة – تجسد ابن الله ليفي للعدل الالهي – رسم المسيح ذبيحة القربان ليشترك بها المؤمنون – الاشتراك بذبيحة القداس هو اكبر عمل ديني يعمله القداس – ضلال العبادة البيتية – بيتي بيت الصلاة يدعى وانتم . . .

الجزء الثاني : المناولة الفصحية

غاية المسيح الاخيرة ان يكون قوتا لنفوسنا – شروط المناولة : طهارة القلب – غيرة المسيحيين الاولين – شريعة الكنيسة بالمناولة الفصحية – المسيح فصحنا الجديد وخمر العذارى

المقدمة

غاية القربان المقدس :

١ً — تقدمة ذاته ذبيحة عنا ٢ً — جعله ذاته قوتاً لنا

ذكّر صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك سامعيه بموضوع العظة السابقة وهو حقيقة الاستحالة السرية بوجود سيدنا يسوع المسيح في القربان المقدس وقال : ان غاية القربان المقدس ليست فقط حضور السيد المسيح فيما بيننا لكن بنوع اخص تجديد تقدمة ذاته ذبيحة عنا وجعله ذاته قوتاً لنفوسنا وقد طبقت الكنيسة المقدسة هاتين الغايتين عندما امرتنا في وصيتها الاولى ان نسمع القداس في الآحاد والاعياد وفي وصيتها الخامسة ان نتناول القربان الاقدس اقله في عيد الفصح

الجزء الاول : استماع القداس يوم الاحد

الذبيحة اكبر عمل ديني يعمله الانسان

شرح سيادة الخطيب مطولاً خلق الانسان واختصاصه بالله وبيّن ملكية الله عليه . فاقراراً بهذه الملكية لم يكن بكثير على الانسان ان يضحي بذاته، خصوصاً وانه اخطأ . فتكفيراً عن خطيته ليس بكثير ان يذبح ذاته لله كفارة عن خطيته . لكن الله امره باحترام حياته لذلك استعاض الانسان عن ذبيحة نفسه بذبيحة الحيوانات التي سلطه الله عليها فاصبحت الذبيحة

اكبر عمل ديني يعمله الانسان لانها تتضمن اعظم فعل عبادة اذ تمثل ملاشاة الانسان اقراراً بملكية الله عليه، واعظم فعل تكفير لانها تدل على تضحية الانسان بذاته كفارة عن خطيئته. فبفعل العبادة تتضمن اعظم شكر لمواهب الله واصبحت افضل صلاة لجلب النعم لان الاقرار بالنعمة يزيدها وبقدر ما تكون الذبيحة غالية وثمينة بقدر ذلك تكون مقبولة

الكون كله لو قدم ذبيحة لما كفر عن خطيئة واحدة

وقد عزز سيادة الخطيب هذا المبدأ بشرح ذبيحتي هابيل وقايين وذبيحة ابرهيم وقال: مهما قدم الانسان من الذبائح حتى لو تلاشت البشرية باجمعها لما قدرت ان تكفر عن الخطيئة التي تقاس على مقام المهان لا المهين. فالمهان هو الله غير المتناهي لذلك اصبحت الخطيئة غير متناهية وتطلب تكفيراً غير متناه. ومن اين للانسان ان يعمل عملاً غير متناه.

تجسد ابن الله ليفي العدل الالهي

فباعجوبة الهية حل ابن الله بتأنسه هذا المشكل اذ اتحد الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية باقنومه الواحد وقدم ذاته على الصليب تقدمة مقبولة عن البشر لانه انسان ممثل البشرية واعطى لذبيحته قيمة غير متناهية لانه إله. فتمت الكفارة غير المتناهية ورضى العدل الالهي وفتحت امام البشر ابواب السماء.

رسم المسيح ذبيحة القربان ليشترك بها المؤمنون

فذبيحة الصليب هي كافية ووافية للعدل الالهي . لكنّ المؤمنين لا يستفيدون منها الا باشتراكهم بها . وما اصعب الاشتراك من بعيد على طول الاجيال . ومن قريب لم يشترك فعلياً الا العدد القليل لان معظم الذين كانوا موجودين حول يسوع يوم صلبه كانوا من اعدائه او من غير المؤمنين به .

فباعجوبة اخرى اشبه باعجوبة التجسد رسم السيد المسيح سر القربان المقدس وقال لتلاميذه اصنعوا ذلك لذكري ليمثل ويجدد كل يوم وفي كل ساعة ذبيحة الصليب .

الاشتراك بذبيحة القداس هو اكبر عمل ديني يعمله الانسان

وهنا استفاض الخطيب بشرح هذا التمثيل والتجديد حسب تعليم اللاهوت، وبين ان من يحضر ذبيحة القداس كانه يحضر ذبيحة الصليب ذاتها . ولهذا من يشترك بذبيحة القداس فانه يشترك باكبر عمل ديني يمكن ان يصدر من انسان . وهذا ما جعل الكنيسة ان تأمر مؤمنيها باستماع القداس يوم الاحد حتى يقدسوا يوم الرب باعظم عمل ديني بحضورهم الذبيحة الالهية .

ضلال العبادة البيتية

فكم يضل اولئك الذين يهملون حضور القداس بحجة تتميم واجبات العبادة في بيوتهم ؟ فما هي عبادتهم المنفردة الا

عمل صغير بالنسبة لعمل يسوع العظيم في الذبيحة الالهية ، وضلالهم اعظم اولئك الذين يهملون الذبيحة بحجة الراحة او النزهة او الصيد .

بيتي بيت الصلاة يدعى وانتم . . .

وبين هنا سيادة الخطيب فظاعة هذا الاهمال لان الغاية الاولى من راحة الاحد تقديس النفس . ثم بين مفصلًا الشروط اللازمة لنيل الفائدة من حضور القداس وهي الايمان والاصغاء والخشوع والاشتراك الفعلي بغايات الذبيحة . والتفت الى سامعيه مستنتجاً بصوت يقصف كالرعد فظاعة اولئك الذين يحضرون ذبيحة القداس للفساد والدنس بالنظرات والملابس والحركات المنافية للآداب فانهم قد استحقوا توبيخ السيد المسيح اكثر من الباعة في الهيكل : بيتي بيت الصلوة يدعى وانتم جعلتموه مغارة للصوص . . . الويل لمن تأتي الشكوك على يده فخير له ان يعلق في عنقه حجر الرحى ويزج في البحر . متى رأيتم الرجاسة في الهيكل قولوا ان خراب اورشليم قد قرب . فان الخراب الروحي والادبي قد تكاثر في ايامنا بسبب كثرة الرجاسة في الهياكل من قبل الشبان والبنات

الجزء الثاني : المناولة الفصحية

غاية القربان الاخيرة ان يكون قوتاً لنفوسنا

ان الغاية الأخيرة والعظمى من رسم سر الافخارستيا بعد حضور يسوع بيننا وذبيحته لاجلنا هي ان يكون قوتاً لنفوسنا. وقد امرنا بقوله خذوا فكلوا ... خذوا فاشربوا ... من يأكل جسدي ويشرب دمي يحي فيَّ وانا فيه.

شروط المناولة : طهارة القلب

فلكي نستفيد من تناول سيدنا يسوع المسيح يجب ان نقتبله بالطهارة والاستعداد المبني على الايمان والخشوع والصلوة. وبدون طهارة القلب لا يمكن للانسان ان يستفيد من المناولة كما دلنا المسيح ذاته بغسله ارجل تلاميذه قبل اعطائهم هذا السر. وبما ان يوضاس لم يتطهر داخلياً كان هذا السر معجلاً لفظاعة خيانته ويأسه وهلاكه. والقديس بولس الرسول يحرض المؤمنين على ان يختبر الانسان نفسه قبل قبول هذا السر والاَّ لأكل وشرب دينونة لنفسه. ولا عجب لان الطبيعة تدلنا بنوع واضح على ان الخبز الذي هو قوت الحياة الجسدية يصبح سماً قاتلاً في المرض. هكذا خبز الروح يصبح سماً قاتلاً اذ اقتبلناه في حالة المرض الروحي

غيرة المسيحيين الاولين على ادمان المناولة

وهنا درس سيادة الخطيب تاريخ المناولة في ابتداء الكنيسة حيث كان المؤمنون الاولون يتقدمون يومياً لقبول هذا السر وبطهارة قلوبهم وحسن استعدادهم كانوا يزدادون حياة روحية حتى اصبحوا اولئك الابطال الذين سفكوا دمهم لاجل ايمانهم

شريعة الكنيسة بالمناولة الفصحية

وفيما بعد عندما انتشر الدين المسيحي في اربعة اقطار العالم خفت الغيرة وكثر الفتور بين قسم من المسيحيين حتى اهملوا واجب المناولة. فاضطرت الكنيسة ان تسن شريعة خصوصية تلزم ابناءها بتناول القربان المقدس اقله مرة في عيد الفصح. ترغب الكنيسة حسب ارادة مؤسسها ان يتناول المؤمنون كل يوم وبالاخص كل احد عند حضورهم الذبيحة الالهية لكنها تأمر امراً جازماً بان يتناول المؤمنون في عيد الفصح تحت طائل الخطأ المميت والحرم. وارادت بهذه الوصية في ايام الفصح ان تستعيض عن خروف الفصح القديم بخروف الفصح الجديد. فخروف الفصح ذبح بامر موسى ليصبغ كل اسرائيلي بابه بدمه فيخلص من ضربة الملاك الذي خنق ابكار المصريين وبأكل خروف الفصح ازداد الاسرائيليون قوة ونشاطاً اذ اكلوه واقفين وعصيهم في ايديهم ولبوا لاول اشارة امر

موسى ونجوا من عبودية المصريين مجتازين البحر الاحمر بعد ان انفصل الى شطرين مارين على الارض اليابسة ذاهبين بقدم ثابتة الى ارض الميعاد التي تدر لبناً وعسلاً

المسيح فصحنا الجديد وخمر العذارى

فالسيد المسيح، خروف الفصح الجديد يخلص كل من اصطبغ بدمه من ضربة الوباء الروحي فهو خمير الطهارة وخمر العذارى . كل من اقتبله نال الحياة واجتاز بحر هذه الدنيا العجاج بقدم ثابتة منتصراً على التجارب والاخطار وعلى الرذيلة والفساد . وبينما تغرق امواج البحر في لججها جماهير الخطأة يكمل المؤمنون الذين يتناولون القربان المقدس بالمحبة والطهارة طريقهم الى ارض الميعاد الحقيقية التي هي السعادة الابدية

العظة الخامسة

الاعتراف السنوي

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١١ اذار سنة ١٩٣٢

موجز العظة

المقدمة

فليختبر الانسان نفسه – المعمودية والاعتراف

الجزء الاول : رسم سر الاعتراف

« من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم » – هكذا فهم الرسل والمسيحيون الاولون – ادعاء البروتستانت باختراع الاعتراف في الاجيال الوسطى فارغ

الجزء الثاني : مطابقة الاعتراف لاحتياجات القلب البشري

ضرورة الصديق – الكاهن اصدق الاصدقاء – حفظ سر الاعتراف واجب كبير

الجزء الثالث : شروط الاعتراف

ندامة وقصد وكفارة – ضرورة الاعتراف اقله مرة في السنة – اباحية امين الريحاني – سفالة اصحاب الجرائد – اغوسطينوس وانطونيوس – شطط جمعية التضامن الادبي – لا نظافة بدون اعتراف – لا يجوز قطع الرجاء

المقدمة

فليختبر الانسان نفسه

لخص سيادة الخطيب ما قاله عن القربان المقدس وغاياته الثلاث وذكر سامعيه بكلمة بولس الرسول : فليختبر الانسان نفسه..... لان من يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه . فالاختبار الذي يتكلم عنه القديس بولس ما هو الا التطهير بواسطة سرّ التوبة الذي رسمه سيدنا يسوع المسيح لمغفرة الخطايا المفعولة بعد المعمودية

المعمودية والاعتراف

ان الله خلق الانسان واعدّه للاشتراك معه بالسعادة . لكن لا يدخل السعادة الا من لا عيب فيه ولا دنس . فبالسقطة التعيسة التي زلّ بها ابوانا الاولان صرنا وارثين عنهما الخطيئة الاصلية ومحرومين من السعادة الابدية . فوضع السيد المسيح سرّ المعمودية لمغفرة الخطية الاصلية . ورسم سرّ التوبة لمغفرة الخطايا المفعولة بعد المعمودية ووضعه باجزائه الثلاثة : الاعتراف، والندامة مع القصد، والكفّارة

وبما ان معظم الاعتراضات تتجه ضد الاعتراف، فقد كرس سيادة الخطيب ارشاده هذا لشرح حقيقة رسم الاعتراف

وموافقته لما يتطلبه القلب البشري، وتكملة الاعتراف لباقي الشروط المطلوبة لسر التوبة. ومن ذلك تظهر ضرورة وصية الكنيسة الرابعة: اعترف اقله مرة في السنة

الجزء الاول: رسم الاعتراف

من غفرتم خطاياهم تغفر لهم

ذكر الخطيب ان السيد المسيح بعد قيامته من بين الاموات واثباته لاهوته بنوع باهر، قال لتلاميذه: «خذوا الروح القدس، من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تمسك لهم (يوحنا ٢٠) وبذلك جعل رسله وخلفاءه قضاة يحكمون على الخطأة ويصدرون الاحكام الرسمية بالحل والربط، بالمغفرة والامساك. وحكمهم هذا نافذ عند الله. على ان القاضي لا يمكنه ان يصدر الحكم بدون استماع الدعوى. فمن يسمعه اياها؟ هل ينتظر الشكوى الخارجية؟ ولكن كم من الخطايا يرتكبها الانسان ولا احد يشتكي منها. وكم من شكاوٍ تصدر وهي باطلة، وكم من شكاوٍ صحيحة لايقدر العدل البشري ان يثبتها. فكم من بريء قيد السجون وكم من مذنب تتبرأ ساحته امام المحاكم الخارجية. وفوق ذلك كم من خطايا يرتكبها الانسان في قلبه، من افكار رديئة وشهواتٍ سرية، من دنس وحقد وبغض وانتقام. فمن المستحيل ان يعرف القاضي

الدعوى بدون اقرار الانسان بخطاياه . وبما ان السيد المسيح اعطى رسله وخلفاءهم سلطة قضائية على مغفرة الخطايا وامساكها فقد اصبح من ضروريات هذه السلطة ان يعترف الانسان للكاهن بخطاياه حتى يتسنى للكاهن ان يصدر حكمه العادل بالحل او الربط والا لما بقي معنى لهذا السلطان

هكذا فهم الرسل والمسيحيون الاولون

وقد فهم الرسل ذلك . والامر واضح من رسالة القديس يعقوب الذي امر المؤمنين ان يعترفوا بخطاياهم . ومن رسائل القديس بولس الذي امر ان يختبر الانسان نفسه قبل ان يتقدم من سر القربان المقدس . واقدم الكتب المسيحية بعد كتب الرسل هو كتاب القديس اكليمنضوس في الجيل الاول حيث يحرض المؤمنين على الاعتراف بخطاياهم اذ يقول : « استفيدوا من الوقت الحاضر لتعملوا توبة ولا تنتظروا يوم الموت لئلا يداهمكم ضعف القوى ولا تتمكنون من الاعتراف بخطاياكم »

ومن بعد ذلك ترداد هذه الحقيقة ايضاحاً بكتابات الاباء الاولين التي وصلت الينا بكثرة بعد الجيل الاول . ومن الجيل الخامس وصاعداً لا تحصى الشهادات لكثرة المؤلفات التي شرح بها اللاهوتيون سر الاعتراف

ادعاء البروتستانت باختراع الاعتراف في الاجيال الوسطى فارغ

فكيف يدعي مؤسسو الشيعة البروتستانية ان الاعتراف

اخترعه الكهنة في الاجيال المتوسطة . وقد نسوا ان الاعتراف باقٍ في الكنيسة الشرقية التي تم انفصالها عن الكنيسة الغربية في الجيل العاشر . فهل يمكن ان تكون اخذته الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية بعد انفصالها عنها ؟ وقبل الجيل العاشر ترى الاعتراف باقياً عند اليعاقبة والنساطرة الذين انفصلوا عن الكنيسة الغربية في الجيل الخامس ونرى ذكر الاعتراف في الكتب التي وصلت الينا من البلاجيين والدوناتيين والمونتانيست والابيونست والنيقولاويين الذين كانوا في الاجيال الاولى . فكل تلك الشهادات تدلنا على ان الاعتراف كان في الاجيال الاولى مثل ما هو اليوم . لا بل كانت الكنيسة تفرض الاعتراف العمومي بعد الاعتراف السري لبعض خطايا كالقتل والزنى وعبادة الاوثان ككفارة عنها . لكنها ابطلت هذه العادة بسبب الشكوك التي صدرت عنها وابقت الاعتراف السري كما رسمه السيد المسيح . وهذا امر مشهور في تاريخ الكنيسة

فمن كل ما تقدم يتضح ان الاعتراف قد رسمه السيد المسيح واقتبله الرسل وعلموه واخذته الكنيسة الاولى عن الرسل وامتد من الكنيسة الاولى الى سائر الاجيال والاقطار

الجزء الثاني : مطابقة الاعتراف لاحتياجات القلب البشري

ضرورة الصديق

في هذا القسم اخذ الخطيب اعتراضات الطبيعيين ، الذين انكروا على السيد المسيح حكمة رسمه سر التوبة بصورة اعتراف زاعمين ان هذا مضاد لميل الطبيعة الغريزية اذ ليس من الحكمة ولا من العدل ان يجبر المذنب على الاعتراف بذنبه . فبين كيف ان الانسان يحتاج الى صديق يفرغ في قلبه سره عندما يسقط في زلة او يرتكب اثماً . ويشعر الانسان براحة طبيعية عندما يضع سره في قلب غيره .

الكاهن اصدق الاصدقاء

فهذا الاحتياج كان مما حمل السيد المسيح على رسم الاعتراف وبذلك سهل وجود صديق صدوق واب حكيم ومرشد مخلص في شخص الكاهن الذي امره ان يكون رجل رأفة وحنان نحو الخطأة لا قاضياً صارماً وديناً مخيفاً وذلك على مثال السيد المسيح الذي كان يضم الخطأة الى قلبه ويسمعهم كلمات المغفرة عند اقرارهم بخطاياهم . وفوق ذلك اراد السيد المسيح ان يكفر الخاطئ باقراره عن الكبرياء التي هي اساس كل خطية . فبالاعتراف لانسان مثلنا ولو كان كاهناً نتذلل ونتواضع اكثر من الاعتراف لله وحده لان الله يعرف خطايانا

فلا نخجل من اقرارنا بها قدامه . فهذا التذلل يصبح احسن كفارة عن كبريائنا ويساعدنا على التبرير من خطايانا .

حفظ سر الاعتراف واجب كبير

ولئلا يلاقي المؤمنون صعوبة في هذا الاقرار خائفين من فضح صيتهم امر السيد المسيح كاهنه بحفظ السر العميق تحت طائل الهلاك الابدي وعززت الكنيسة هذا الامر بالعقوبات الهائلة والحرم الكبير لكل كاهن يبوح بسر الاعتراف او يشير اليه باقل اشارة .

الجزء الثالث : شروط الاعتراف

ندامة وقصد وكفارة

هنا فصل الخطيب وجوب اقتران الاعتراف بالندامة والقصد والكفارة حتى يتم سر التوبة . وشرح تاريخ الاعتراف في الكنيسة من جهة استعمال المؤمنين فبين غيرة المسيحيين الاولين على الاقرار بخطاياهم اقراراً جهورياً . ثم على ممر الاجيال وانتشار الكنيسة دب الفتور في قلب المؤمنين حتى اهملوا هذا السر .

ضرورة الاعتراف اقله مرة في السنة

فالكنيسة المقدسة فرضت كأم حنون ان يعترف ابناؤها اقله مرة في السنة حتى لا تتراكم الخطايا عليهم من سنة الى

سنة وتتأصل العوائد الرديئة فيهم فكانت وصية الكنيسة احسن واسطة لتطهير المؤمنين وتخليصهم من العوائد الرديئة وهذا ما يحمل الرؤساء على تكثير الارشادات والمواعظ والقاء الرياضات في جميع انحاء ابرشياتهم ليهيئوا المؤمنين للتقدم الى الاعتراف والمناولة الفصحية . وما الغرض من ذلك الا ازدياد الفضيلة وكبح الشر والرذيلة

اباحية امين الريحاني

ثم قال سيادة الخطيب :

« وبينما نحن نجتهد في انماء الفضيلة واستئصال الرذيلة واذا برجل (١) لقبوه بالفيلسوف يخطب بالقرب منا ليحمل الناس على الاباحية « بان لا يعفّوا عن الحسان والذهاب الى من يعشقون » في ساعة الضجر ، وينصحهم بالمقابلة لوصية الكنيسة « اعترفوا ولو مرة في السنة » بان يتفلّتوا ولو مرة في السنة من قيود التقاليد والعوائد وان يضربوا بشرائع الآداب عرض الحائط ويبيحوا لذواتهم ما يحلو . واننا لنخجل ان نكمل ما ذكره في هذا الخطاب السافل

سفالة اصحاب الجرائد

« قرأنا لهذا الرجل منذ اكثر من ٢٠ سنة خطباً كفرية

---

(١) امين الريحاني الذي القى خطاباً اباحياً في جمعية التضامن الادبي في بيروت حرّض به على اتباع الشهوات اقله مرةً في السنة !!!

خالية من كل منطق وسألنا احد محرري الجرائد الذي كان ينشرها ما معنى هذه الخطب وما الفائدة منها اذ ان اغلبها كان خالياً من المعنى ويصعب على السامع ان يفهمها . فأجاب صاحب الجريدة ان هذا الرجل « على الموضه » فنحن لا نفهمه اكثر منك لكننا نريد ان نبيع جرائدنا . فوجهنا اليه لوماً شديداً في تلك الايام وانكف عن نشر خطاباته . ولم تطل المدة حتى انقطع ذكر هذا الرجل في بلادنا وبطلت « موضه » كلامه

اغوسطينوس وانطونيوس

« واذا به بعد ٢٠ سنة يظهر على المسارح ويقدم لنا ثمرة تعاليمه الكفرية بهذه الاباحية التي يخجل اكبر المفسودين حتى المجانين بينهم ان يقدموها كمبدأ في الهيئة الاجتماعية . فذكرنا بكلام القديس اوغسطينوس عند ارتداده لدى مقابلته بين فلسفته الطبيعية وبساطة القديس انطونيوس المسيحية . فبساطة القديس انطونيوس رفعته في قداسته الى اسمى درجة من الكمال تشرف الانسان وترفعه الى العلا، بينما فلسفة اغوسطينوس الطبيعية لم توصله « الا الى التمرغ في حمأة الدنس كالخنازير » . هذه هي كلمة القديس اغوسطينوس عن نفسه . لكنه كان يقولها خجلاً باكياً على الفساد الذي هو نتيجة فلسفته الطبيعية . اما هذا الرجل والفيلسوف اللاديني فانه لا يخجل حسب قول اغوسطينوس من ان يتمرغ في حمأة الدنس كالخنازير

بل يريد ان يحمل الناس على اتباعه بالاباحية البهيمية ليغطي رجاسته باوساخ غيره . فلندعه وشأنه لان الانسان متى وصل الى هذا الجنون لا يعود يستحق ان يذكر بين الناس

شطط جمعية التضامن الادبي

« لكننا نخجل اشد الخجل لجمعية تلقب بالتضامن الادبي تدعو مثل هذا الخطيب الحيواني لالقاء اوساخه على مسامعهم . ونخجل اشد الخجل لجمهور رجال ونساء، شبان وبنات احتملوا هذا الكلام ولم يجرأ احد منهم على الاحتجاج لقلة احترام هذا الرجل لسامعيه . ونخجل كذلك لجريدة تدعي انها تحترم ذاتها وتحترم قارئيها وتقدم لهم في اعمدتها مثل هذه الخطب التي يندى الجبين عند قراءتها

« فارفعوا يا اخوتي قلوبكم وعقولكم الى العلاء واطلبوا من الله ان يحفظنا في المقام الانساني الذي وضعنا فيه ولنصل لاجل هولاء التعساء الذين يسقطون من مقامهم بفسادهم، لعل السيد المسيح يعمل اعجوبة مثل اعجوبة لعازر الذي اقامه من الموت بعد ان انتن . واذا كانت النعمة لا تفعل فعلها في قلوبهم فلنبتعد عنهم لئلا تخنقنا روائحهم الكريهة

لا نظافة بدون اعتراف

وانهى الخطيب كلامه بتفنيد مزاعم اولئك الذين يبتعدون عن الاعتراف بحجة نظافة قلوبهم وبرهن لهم ان الانسان بدون

الاعتراف لا يمكنه ان يكون نظيفاً كالفريسيين الذين قال عنهم السيد المسيح انهم مثل القبور المكلسة وداخلهم مملوء خطفاً وشراً

لا يجوز قطع الرجاء

ثم جاوب على اعتراض اولئك الذين يقطعون الرجاء فلا يتقدمون الى الاعتراف بحجة كثرة خطاياهم فأبان لهم بمثل المجدلية والقديس بولس والقديس اغوسطينوس ان القداسة ممكنة بعد التوبة لا بل ان عدد القديسين التائبين يفوق عدد القديسين الذين حافظوا على برارة المعمودية . وختم كلامه بمثل الابن الشاطر الذي عندما رجع الى ابيه معترفاً بخطاياه قبله ابوه بحنان وقبّله والبسه الحلة البيضاء وذبح له العجل المسمن وادخله الى بيته وجمع جيرانه ليفرح ويسر معهم لان ابنه هذا كان ميتاً فعاش وضالاً فوجد

العظة السادسة

الصوم والقطاعة

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٨ اذار سنة ١٩٣٢

موجز العظة

المقدمة

الاماتة احسن كفارة عن الخطايا

الجزء الاول : مبدأ الاماتة

اساس كل خطيئة : اما لذة في النفس (كبرياء) واما لذة في الجسد (شهوة) كل خطية تضاد احدى وصايا الله – يجب اماتة النفس المتكبرة بالتواضع والجسد بالالام – مثال المسيح – اساس الدين المسيحي : الكفر بالذات وحمل الصليب

الجزء الثاني : الصوم والقطاعة

لكل طبقة من الناس ان تتبع دعوتها – غاية الصوم والقطاعة كبح شهوات الجسد – للصوم والقطاعة فائدة اخرى طبية – العاقل من ينظر الى العاقبة – قائدان : المسيح والشيطان – عسكر الشيطان كبير عساكر المسيح جرارة

المقدمة

الاماتة احسن كفارة عن الخطايا

ذكّر سيادة المطران مبارك سامعيه بموضوع العظة السابقة، في الاعتراف السنوي والشروط اللازمة له وهي الندامة والقصد والكفارة، وقال : ان احسن كفارة نقدمها عن خطايانا هي الاماتة التي فرضتها الكنيسة بالصوم والقطاعة . وما هذه الاماتة الا تطبيق المبدأ الاساسي الذي وضعه السيد المسيح بمثاله وتعليمهِ . فنريد ان نشرح لكم في هذا المساء المبدأ الاساسي الذي علمنا اياه سيدنا يسوع المسيح بقوله : من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبه ويتبعني . وبعدئذٍ نرى كيف طبقت الكنيسة هذا المبدأ بوصية الصوم والقطاعة

الجزء الاول : مبدأ الاماتة

اساس كل خطيئة : اما لذة في النفس (كبرياء)
واما لذة في الجسد (شهوة)

ان كل خطيئة تطلب كفارة، والكفارة المناسبة هي تلك التي تضاد الخطيئة فتشفي منها، فكل خطيئة في الكون تصدر من احدى لذتين : لذة في النفس وهي الكبرياء ولذة في الجسد وهي الشهوة الحسّية

وهنا استفاض الخطيب بشرح الخطايا الشهيرة التي ذكرها

الكتاب المقدس كخطيئة آدم وحواء، التي كان مبدأها الكبرياء «تصيران كالهين»، ثم الشهوة الحسية «نظرت الى الثمرة فرأتها شهية للمنظر لذيذة للمأكل فقطفت منها وأكلت واعطت بعلها وأكل»، وخطيئة قاين التي هي الحسد وما الحسد الا الكبرياء. ثم خطيئة الجنس البشري قبل الطوفان بالشهوة الحسية، ثم خطيئة بناة برج بابل وهي الكبرياء، وخطيئة اهل صادوم وعاموره، بالشهوة الحسية، وخطيئتي داود بالشهوة الحسية والكبرياء.

كل خطيئة تضاد احدى وصايا الله

ثم شرح مفصلاً كيف ان كل خطيئة هي مضادة لاحدى وصايا الله، تلك الشريعة المغروسة في قلب الناس. وبيّن في ذلك، كيف ان الكبرياء تحملنا على احتقار الله ونكرانه ورفض خدمته والتمرد على والدينا الممثلين لله، وعلى ضرر القريب بالقتل والحقد والحسد، وكيف ان الشهوة الحسية تحملنا على الزنا والشهوات الدنسة والسرقة للاستغناء من مال الغير لاشباع شهواتنا. وباختصار فأن كل خطيئة مرجعها اما لذة النفس بالكبرياء واما لذة الجسد بالشهوة الحسية

يجب اماتة النفس المتكبرة بالتواضع والجسد بالآلام
— مثال المسيح —

فالسيد المسيح الذي أتى ليكفر عن خطيئة البشر كفارة

كاملة، اخذ الخطة المعاكسة للخطيئة، خطة الاماتة اماتة النفس بالتواضع، واماتة الجسد بالآلام والعذابات. فحياته كلها كانت سلسلة اماتاتٍ وعذابات متواصلة. واذا شئنا ان نمثلها فانها رواية دموية تبتدئ في المذود وتنتهي على الصليب. احضروا معي يا اخوتي وشاهدوا فصول تلك الرواية. ماذا ارى وماذا ترون؟ ارى «طفلاً ملفوفاً بالاقمطة مضجعاً في مذود» وهذه هي العلامة التي يعطيها الملاك ليعرف بها الرعاة مخلص العالم

ماذا نرى؟ ولداً يهرب به ابواه الى ارض مصر حيث يعيش بالفقر والحاجة. نرى شاباً يشتغل في حانوت النجارة، ويبلل آلات عمله بعرق وجهه. نرى سيدنا يسوع المسيح يبشر بانجيله في المدن والقرى عاملاً خيراً شافياً المرضى مقيماً الموتى مطهراً البرص... ورغماً من ذلك نراه مضطهداً يهرب من موضع الى آخر امام اعدائه، «وليس له حجر يسند اليه رأسه»

نرى سيدنا يسوع المسيح مربوطاً على العمود، لحمه يتناثر ودمه يسيل تحت ضرب المجالد، نراه مكللاً بالشوك، يسخر به اعداؤه ويلطمونه على خديه، ويتفلون في وجهه. نرى اخيراً سيدنا يسوع المسيح معلقاً على الصليب، بين لصين كأنه اكبر جرماً منهما، سافكاً دمه، مائتاً في وسط العذابات المبرحة

هذه هي حياة سيدنا يسوع المسيح باختصارها. حياة ذل وعار، وحياة آلام وعذابات، احتملها بصبر فائق، ليفي باماتته عن لذة الخطيئة

اساس الدين المسيحي : الكفر بالذات وحمل الصليب

فحق له بعد ذلك ان يؤسس دينه المسيحي على هذا المبدأ « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني »

فعلى هذا المبدأ سار الرسل الذين جالوا في اقطار الارض كلها ليبشروا بايمان المسيح وتعليمه، رغماً من المضادات والاضطهادات . على هذا المبدأ سار الشهداء الذين سفكوا دمهم حباً للسيد المسيح وكانوا يذهبون الى الموت كذهابهم الى وليمة فاخرة، وقلبهم يطفح بشراً وسروراً . على هذا المبدأ سار الرهبان والسياح والعذارى والبتولات الذين قهروا الجسد بشهواته وآلامه ليقتدوا باماتة سيدنا يسوع المسيح . على هذا المبدأ سار القديسون العظام الذين وصلوا الى القداسة بالجلد والسهر والصوم المتواصل ...

لكنني اقرأ على وجوهكم اعتراضاً : اذا كان الامر كذلك فكيف نقدر نحن الذين في العالم ان نصل الى القداسة في وسط عيالنا واشغالنا . فهل حكم علينا ان لا نقتدي بسيدنا يسوع المسيح طالما لا نقدر ان نوفق بين حياتنا الاعتيادية وهذه الاماتات الخارقة العادة؟

كلا يا اخوتي ان السيد المسيح اتى لخلاص الجميع والكنيسة المقدسة التي اسسها لتكميل عمله وضعت للمؤمنين الذين في العالم خطة الاماتة المطلوبة منهم . ليقتدوا باماتة سيدنا يسوع المسيح في وصية الصوم والقطاعة

الجزء الثاني : الصوم والقطاعة

لكل طبقة من الناس ان تتبع دعوتها

في الدين المسيحي طبقتان . طبقة الكمال وهي التي يدعى اليها القليلون « ان شئت ان تكون كاملاً اذهب فبع كل مقتناك واعطه للمساكين وتعال فاتبعني » . وهذه هي الطبقة التي يدعوها السيد المسيح للاماتات الخارقة العادة . اما الطبقة العادية فهي طبقة المؤمنين الذين هم في العالم ، والذين يدعوهم الله الى القداسة بحفظ الوصايا « ان شئت ان ترث الحياة فاحفظ الوصايا » . فعلى كل طبقة ان تتبع دعوتها . فالذين دعوا الى الكمال يجب ان يتبعوا طريقه والويل لهم ان لم يتبعوها . والذين دعوا الى القداسة في العالم يخلصون بحفظ الوصايا والاكتفاء بالاماتة العادية التي تفرضها وصايا الكنيسة ، وتطبق بواسطتها على المؤمنين العاديين مبدأ السيد المسيح الاساسي « من يريد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني » . فمع حفظ وصايا الله وسائر وصايا الكنيسة التي شرحناها نقدر ان نكتفي بشريعة القطاعة والصوم المفروضة من الكنيسة كل اسبوع وكل سنة لنحمل صليبنا ونميت جسدنا ونقتفي آثار سيدنا يسوع المسيح . فهذه الشريعة سهلة ممكنة لكل المؤمنين . وما غايتها الا التكفير عن اللذات الحسية التي تسبب لنا الخطيئة ، وقطع سبب هذه اللذات بانتصار الارادة على الجسد في المأكل والمشرب

غاية الصوم والقطاعة كبح شهوات الجسد

ان شهواتنا الحسية هي سلسلة متصلة الحلقات . فمتى افلتنا العنان لواحدة منها جرّت في اثرها الاخريات . ومتى تعودت الارادة كبح واحدة منها ، سهل عليها كبح الاخرى بهذه الواسطة . فالحيوان الذي يبطر يخففون له العلف ، وما الجسد الا حيوان يستعصي باللذة الدنسة . فما علينا الا ان نخفف له العلف ، لنكبح جماحه . وعندما تتعود الارادة كبح لذة الحنجرة تتعود الانتصار فيسهل عليها الانتصار على اللذة الدنسة . هذه هي الغاية من اماتة الجسد بالصوم والقطاعة وكل انسان يحتقر مبدأ السيد المسيح ، باحتقاره وصية الكنيسة يتم فيه كلام ذلك الخطيب الشهير الذي قال : ان الانسان مركب من ملاك وحيوان . فعندما يتكبر على الله بمخالفة شرائعه ووصايا كنيسته متشبها بالملاك المتمرد يقاصصه الله بان يتركه يتمرغ في حمأة الدنس كالحيوان

للصوم والقطاعة فائدة اخرى طبية

فالغاية الاولى من شريعة الصوم والقطاعة هي الانتصار على الشهوة الدنسة بعد الكفارة عنها . لكن الكنيسة سبقت الطب العصري بحكمتها الفائقة ووصلت بفرضها الاماتة والصوم الى فائدة صحية يجتهد الاطباء اليوم في الوصول اليها . فكم من طبيب يمنع عمن يعالجهم اكل اللحم كل حياتهم ليتخلصوا من

امراض عديدة عصبية او شريانية تسببها المواد الكثيرة الغذاء وكم من طبيب يفرض على مرضاه الصوم المتواصل بالامتناع عن المأكل والمشرب لشفائهم من حمّيات متعددة او وقاية لهم منها. وكل الاطباء بقطع النظر عن معتقدهم يرون الحكمة الفائقة في شريعة الكنيسة ليس للنفس فقط بل للجسد ايضاً

العاقل من ينظر الى العاقبة

فطالما خلاص النفس وراحة الجسد يتوقفان على الاماتة بالصوم والقطاعة، فلماذا نخاف منها. ان الجبانة تأتينا من شعورنا ببعض الصعوبات. فالطريق الواسعة السهلة تلذ لنا، ولو كانت آخرتها هلاك النفس وقتل الجسد، اكثر من الطريق الضيقة التي نشعر فيها ببعض التعب مع ان آخرتها راحة للنفس والجسد. فالعاقل هو الذي ينظر الى العاقبة، والجاهل لا ينظر الاّ الى امامه فقط.

قائدان : المسيح والشيطان

فالقديس اغناطيوس دي لويولا الذي كان قائداً قبل ان يؤسس الرهبانية اليسوعية شبه العقلاء والجهلاء بعسكرين يقود كل فريق منهما قائد شهير. ففي الطريق الضيقة المملوءة صخوراً واشواكاً نرى سيدنا يسوع المسيح حاملاً راية الصليب، مكتوباً عليها « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه

ويحمل صليبه ويتبعني ». وفي الطريق الواسعة نرى الشيطان حاملاً راية الخطيئة مكتوباً عليها « من يرد ان يتبعني فليفلت العنان لشهواته ويتبعني ».

عسكر الشيطان كبير

ولسوء الحظ نرى عسكراً جراراً يتبع الشيطان وراية الخطيئة لسهولة الطريق : الزناة ، السكيرين ، القتلة ، الظالمين ، الغاشمين ، وكل الذين يتبعون خطة الفساد بالملذات المحرمة والمراقص والملاهي المفسودة . كلهم يتسارعون وراء الشيطان وقد عميت عيونهم بسبب سكرهم في خمرة اللذة فلا يرون آخرة هذه الطريق الواسعة التي تنتهي بالشقاء والتعاسة والامراض المخجلة في هذه الدنيا ، وفي الاخرة تتكردس هذه الانفس افواجاً في جهنم . هذا المنظر يدمي قلوب الرعاة الذين ينظرون الى هذه الاخرة ويصرخون مع النبي قائلين : « يا رب من يخلص ؟ »

عساكر المسيح جرارة

لكن قلوبهم تنتعش فرحاً وسروراً عندما يلتفتون الى الجهة الثانية، فيشاهدون العساكر الجرارة التي تتبع سيدنا يسوع المسيح في طريقه الصعبة : الرسل والشهداء والنساك والسياح والرهبان والعذارى وسائر المؤمنين الذين يحفظون الوصايا ويشتركون باماتة سيدنا يسوع المسيح في اتباع شريعة

الكنيسة، هولاء الذين قال عنهم القديس يوحنا الحبيب في كتاب الرؤيا : « انهم لا يحصى لهم عدد وقد غسلوا ثيابهم بدم الحمل » . فهذا الدم الذي يطهرهم ويسكرهم بخمرة الحب الالهي، يفتح عيونهم ويريهم آخرة تلك الطريق الضيقة التي هي الراحة الدائمة والسعادة الابدية

فاي طريق تريدون ان تتبعوا يا اخوتي ؟ لا اخال احداً منكم يريد ان يتلهى بلذة قصيرة عاقبتها الخراب والدمار في هذه الدنيا والآخرة . بل كلنا بنعمة يسوع وقوة مثله ووضوح تعليمه، نريد ان نحمل صليبنا ونتبع سيدنا يسوع المسيح بروح الاماتة لراحة الجسد ورفع الرأس وشرف النفس في هذه الدنيا وللسعادة الابدية في الآخرة

الخطايا الرئيسية

الكتب كلها في كاتدرائية بيروت المارونية

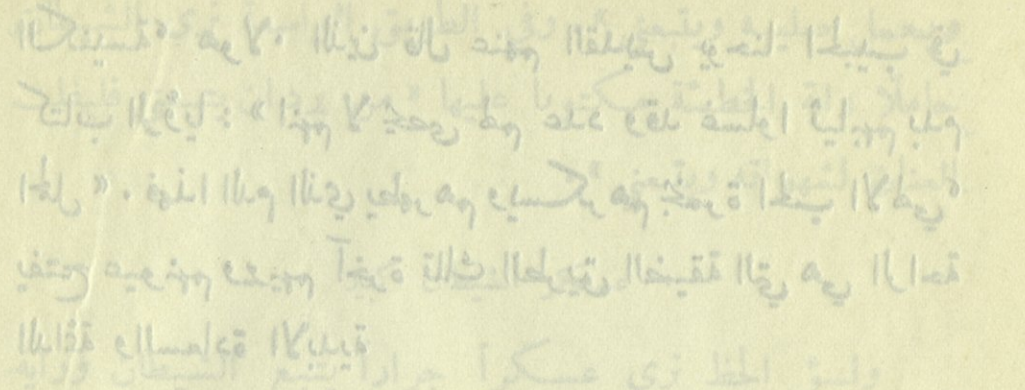

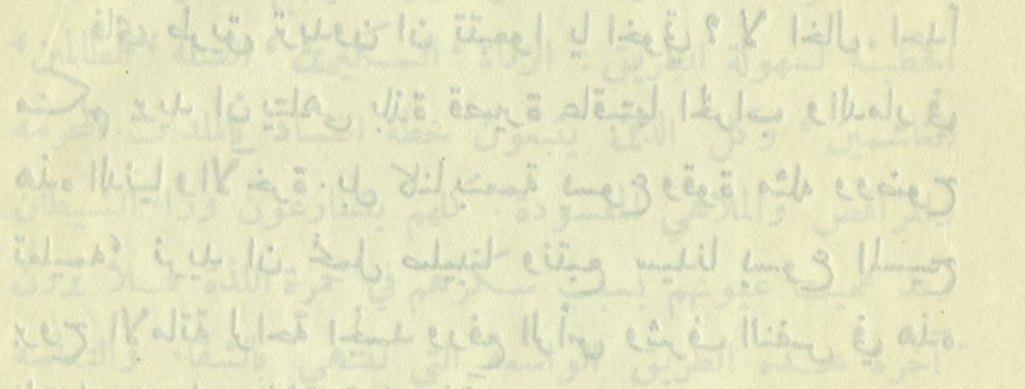

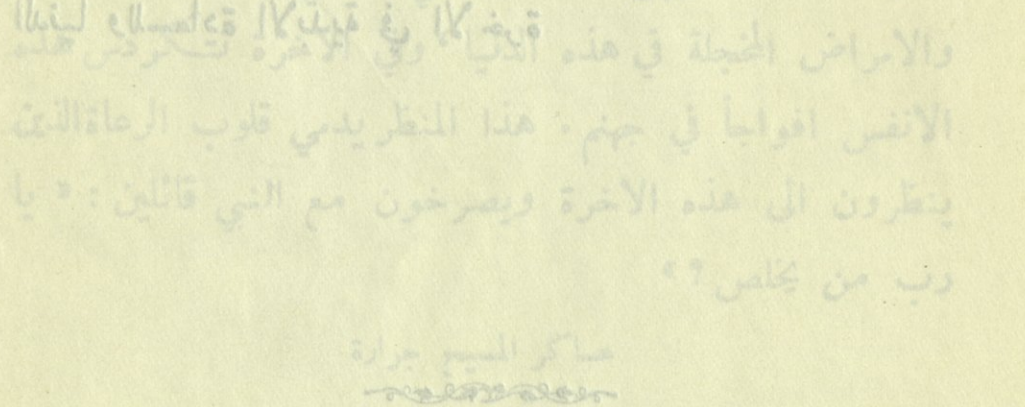

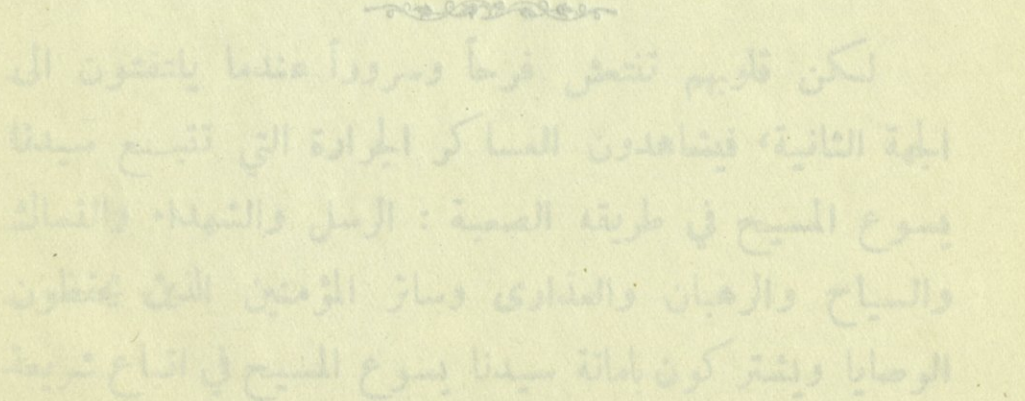

مواعظ صوم

١٩٣٣

الخطايا الرئيسية

القيت كلها في كاتدرائية بيروت المارونية

٩ هد لغدا ه

٦٦٣١

تيسيرها لليلغدا

قيا ف الا ت ع ي قيا ا ت لا ي ف لو لا ت ي ق ا

العظة الاولى

الكبرياء

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٣ اذار سنة ١٩٣٣

موجز العظة

المقدمة

لا سياسة في الكنيسة – مخاطر العصر – الخطايا الرئيسية هي راس تتفرّع منه اذناب عديدة – الكبرياء هي جهل الانسان ذاته

الجزء الاول : مفاعيل الكبرياء التاريخية

الكبرياء اولى الخطايا في الخليقة – خطية آدم وحوا كانتا ايضاً كبرياء – الكبرياء قوضت برج بابل وسببت ضربات مصر – الكبرياء صلبت المسيح – الكبرياء لاشت الدولة الرومانية واسقطت التاج عن راس نبوليون

الجزء الثاني : مفاعيل الكبرياء في ايامنا

جحود الايمان في شبيبة العصر نتيجة الكبرياء – نكران فضل الكنيسة الكاثوليكية نتيجة الكبرياء – الكبرياء تحتقر العمال – الاختلافات في القرى والاحزاب امها الكبرياء

الجزء الثالث : دواء الكبرياء « التواضع »

التواضع معرفة الانسان نفسه – اول مثال للتواضع : يسوع – اكبر العلماء اكثرهم تواضعاً : بستور، نيوتن – اساس الاعمال الخيرية هو التواضع : منصور دي بول – اكبر واسطة لسعادة الفرد والجماعة « التواضع »

المقدمة

لا سياسة في الكنيسة

لربما اتى البعض لسماع خطاب سياسي، ولكن السياسة هي خارج الكنيسة . واذا اضطرتنا الظروف الى التكلم في السياسة فما ذلك الا لمناصرة المظلوم ومساعدة الفقير وحمل ارباب الامر على الشفقة في هذه الايام العصيبة . لكننا اذا اهتممنا قليلًا في مصلحة حياتكم الجسدية فحياتكم الروحية هي اشرف واسمى . لذلك آلينا على نفسنا ان نهتم نحن بها في هذا الصوم المبارك وهي لنا فرصة سعيدة لنشفي غليل قلبنا بالعناية بنفوسكم

مخاطر العصر

وهنا ابان الخطيب مخاطر العصر الحالي وفساد الشبيبة . والتفت الى الكهنة من مرسلين وخدمة رعايا وناشدهم ان يضاعفوا العناية والغيرة في ارشاد النفوس في هذه المدينة ليحفظوا شبيبتنا من مخالب الفساد

الخطايا الرئيسية هي رأس تتفرّع منها اذناب عديدة

ثم بين للسامعين كيف انه توخى هذه الغاية الشريفة في السنين الماضية بشرح وصايا الله ووصايا الكنيسة . وانه لاختتام هذه المرحلة بقي عليه ان يكملها بشرح الخطايا الرئيسية التي هي موضوع عظاته في هذه السنة . فحدد الخطايا الرئيسية قائلًا

انها اصل سائر الخطايا وهي كرأس تتفرّع منه اذناب عديدة . وبيّن هذا التحديد ببعض الامثال. فالخطايا الرئيسية سبعة: ثلاثة مصدرها شهوة النفس وهي : الكبرياء والحسد والغضب، واربعة مصدرها شهوة الجسد وهي : الدعارة والشراهة والبخل والكسل . وكلامه اليوم عن الكبرياء.

الكبرياء هي جهل الانسان ذاته

حدّد الخطيب الكبرياء قائلًا : الكبرياء هي جهل الانسان ذاته وهذا الجهل يجعل الانسان يعتبر نفسه غير ما هو واكبر مما هو ويحتقر الغير بالنسبة الى نفسه فحتى نرى ضرر الكبرياء فلندرسها اولاً في مفاعيلها الخالية اخيراً نفتش على دوائها لنتخلص من اضرارها

الجزء الاول : مفاعيل الكبرياء التاريخية

الكبرياء اولى خطايا الخليقة : في الملائكة

ان الكبرياء هي الخطيئة الاولى في الخليقة . فهي خطيئة الملائكة الذين استعصوا على الله فصاروا شياطين . وهنا شرح الخطيب كيف ان الله خلق الملائكة وزينهم بالقداسة والطهارة والمعرفة . فجهل البعض منهم ذواتهم وهم لوسيفورس واتباعه وظنوا ان هذه الكمالات منهم لا من الله فقالوا بلسان رئيسهم : اني ارفع عرشي فوق العلي فلا اعبد . وكانت النتيجة ان صارت حرب هائلة في السماء بين الملائكة فانتصب ميخائيل والقسم

الاكبر معه صارخين : من مثل الله ؟ وشجبوا لوسيفورس واتباعه فسقط هؤلاء من علو كبريائهم . وقد قال عنهم السيد المسيح : اني رأيت الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق . فخلق الله جهنم ودكّ فيها الملائكة المتمردين . وقد تحولوا من ملائكة النور الى شياطين الظلمة، وخسروا، مع القداسة، السعادة الدائمة

خطيئة آدم وحوا كانت ايضاً كبرياء

وخطيئة ابوينا الاولين لم تكن قائمة باكل الثمرة بل بالكبرياء التي حملتهما على اكل هذه الثمرة . فالشيطان الذي سقط بكبريائه حمل امنا حوا بواسطة الحية على ان تجهل ذاتها وتشتهي ان تصير مثل الله عارفة الخير والشر بواسطة اكلها الثمرة . فخالفت الوصية ودفعت آدم الى مخالفتها، فخسرا وخسّرانا السعادة الارضية في الفردوس، والسعادة الابدية في السماء . فطردهما الله من الفردوس وصارا مع نسلهما عرضة للجهل والشقاء والتعب والموت . وتسلط ميل الشر على النسل البشري فصار عرضة للهلاك الابدي

ولو اننا اردنا ان نسرد تاريخ الكبرياء بفظائعها لسردنا تاريخ البشرية باجمعها . فنكتفي ببعض حوادث لتبيان فظائع هذه الرذيلة :

الكبرياء قوّضت برج بابل وسببت ضربات مصر

الكبرياء في برج بابل بلبلت الالسن وشتتت الجنس

البشري شذر مذر

الكبرياء سببت لفرعون ضربات مصر واخيراً اغرقته هو وجنوده في البحر الاحمر

الكبرياء افنت ثمانين الفاً من الشعب الاسرائيلي بيوم واحد بسبب خطيئة داود

الكبرياء جعلت بختنصر الملك كحيوان مدة سبع سنوات

الكبرياء صلبت المسيح

الكبرياء حملت الكتبة والفريسيين على ارتكاب افظع جريمة وهي صلب المخلص . فبددت شعبهم في اربعة اقطار العالم دون ان يبقى لهم لا نبوءة ولا حبرية ولا ملك، ورغم اجتهاد بعض الدول التي اشتهرت بسطوتها في ان تجمع شملهم في وطن قومي، لا يزالون متشتتين هائمين على وجه البسيطة

الكبرياء لاشت الدولة الرومانية واسقطت التاج عن رأس نابوليون

الكبرياء هي التي لاشت المملكة الرومانية ودكت عرشها . والكنيسة التي قامت قيامة المملكة الرومانية عليها ركزت عرشها حتى منتهى الدهور في رومية عاصمة المملكة

الكبرياء هي التي لاشت الاراتقة واتباعهم فلم يبقَ ممثل لتلك الارتقات التي كادت تغرّق الكنيسة بضلالها

الكبرياء هي التي اسقطت التاج عن رأس نابوليون فأفل نجمه وامسى في جزيرة قفراء في وسط الاوقيانوس بينما بيوس

السابع الحبر المتواضع الذي اراد نابوليون ان يذلله رجع الى عرشه وكان المعين الوحيد لعائلة نابوليون

الكبرياء هي التي حملت غليوم على اشعال الحرب الكونية فأفنت الملايين من الشبان واسقطت المتكبر عن عرشه ولا تزال تجر ذيولها باتعاس البشرية

ولكن ما لي وللتاريخ القديم فتعالوا وتأملوا بضربات الكبرياء في الهيئة الاجتماعية الحاضرة

الجزء الثاني : مفاعيل الكبرياء في ايامنا

جحود الايمان في شبيبة العصر نتيجة الكبرياء

ان الشبيبة الراقية في هذا العصر تتباهى بعلمها وتظن ان هذا العلم يغنيها عن الله . فتكبرت على الله وجحدت الايمان مدعية ان لا حقيقة الا ما يدركه العقل، وجهلت في كبريائها ان عقل الانسان ما هو شيء بالنسبة لعظمة الله . فعوضاً عن ان تشكر فضل الله الذي اوحى لها هذه الحقائق جحدت هذه النعمة وتكبرت على الله وقالت مثل الملاك المستعصي : « لا اعبد » . وبينما هي تنفر من عبادة الله نراها تسجد امام اللحم والدم . فقد نخرها الفساد واصبحت عارية من الشرف ساقطة من مقامها الانساني، تتمرغ، حسب قول مار اغوسطينوس، بحمأة الدنس كالخنازير . فأضاعت بفسادها نضارة الشباب ولون

الحياة وذكاء العقل ، تجر ارجلها في ربيع حياتها الى القبر ، فهي تعيسة في هذه الدنيا معرضة للتعاسة الابدية في الآخرة

نكران فضل الكنيسة الكاثوليكية نتيجة الكبرياء

الكبرياء هي التي جعلت شبيبتنا تجحد فضل الكنيسة الكاثوليكية بانخراطها في الجمعيات الماسونية فماذا كانت النتيجة؟ هربت هذه الشبيبة من شرائع وطقوس عدتها خرافات لتسقط في عبودية مخجلة وتتبع طقوساً يندى الجبين خجلاً لذكرها

الكبرياء تحتقر العمال

الكبرياء هي التي جعلت الاغنياء يحتقرون الطبقة العاملة ، والعمال ينفرون من الاغنياء . وسببت هذه الحرب الاجتماعية فكانت نتيجتها الازمة الخانقة في الكون كله وهي تكاد تذهب بارواح الجميع .

الاختلافات في القرى والاحزاب امها الكبرياء

الكبرياء هي التي ولدت الخلافات في قرانا بالمزاحمة على النفوذ . الكبرياء هي التي اقامت واقعدت الاحزاب الشخصية التي فرقت بين قومنا وجعلتهم يتطاحنون لخراب البلاد . . . فكل الضربات الساقطة على الكون في ايامنا من ادبية ومالية واجتماعية ليست الا وليدة الكبرياء . فهي مرض عضال استولى على البشرية . فصار من الضروري ان نفتش له على دواء وليس من دواء الا التواضع .

الجزء الثالث : دواء الكبرياء التواضع

التواضع معرفة الانسان نفسه

التواضع هو معرفة الانسان ذاته بنقائصه وزلاته وذنوبه فتحمله هذه المعرفة على احتقار ذاته واكرام غيره . فالتواضع هو الواسطة الوحيدة لسعادتنا في هـذه الدنيا وسعادتنا في الاخرة : طوبى للمتواضعين فأنهم يرثون الارض

اول مثال للتواضع : يسوع

فأول مثال للتواضع هو سيدنا يسوع المسيح الذي يقول عنه مار بولس الرسول : انه تواضع حتى الموت موت الصليب ولذلك رفعه الله واعطاه اسماً حتى تجثو لاسم يسوح كل ركبة في السماء وعلى الارض وتحت الارض . فتواضع سيدنا يسوع المسيح جعله يصلب وقد قال عن ذاته : اذا ما ارتفعت جذبت الي كل احد . فبهذا التواضع تم اعجوبة لا يدركها العقل البشري لانـه نشر دينه بمضادته لكل اميال الطبيعة بلا سيف ولا سلطان ولا جنود ولا مال ولا واسطة بشرية الا بصليب سيدنا يسوع المسيح . وهذا الصليب الذي كان آلة الذل والهوان اصبح آية الظفر والمجد والكرامة وآية الحياة الادبية حتى بين الشعوب التي لا تؤمن به .

اكبر العلماء اكثرهم تواضعاً : بستور ، نيوتون

وعلى مثال يسوع كان التواضع واسطة لانارة العقول بتعليم القديسين فأنهم بتواضعهم عملوا لرقي البشرية اكثر من ارباب السيف وفي العلوم المدنية نرى اكبر العلماء الذين افادوا البشرية هم اكثرهم تواضعاً : مثل بستور الذي كان يخر ساجداً للقدرة الالهية عند تأمله بتلك المكروبات الصغيرة التي في صغرها تدل على عظمة الله وعلى ضعف عقل الانسان في معرفتها ، ومثل نيوتون الذي لدى تأمله بكواكب السماء ودقة نظامها في سيرها كان يخر ساجداً مقراً بضعفه صارخاً : « السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر باعمال يديه ! » وكل مشاهير العلماء كانوا كلما توغلوا في العلم ازدادوا احتقاراً لذواتهم اذ كانوا يشعرون انهم يجهلون اكثر مما يعرفون . فالعلم الحقيقي هو مجلبة للتواضع ولا يتكبر الا ذوو العلم الزائف .

اساس الاعمال الخيرية هو التواضع : منصور دي بول

التواضع هو اساس الاعمال الخيرية التي يخترعها المحسنون لسعادة الناس في هذه الدنيا ومساعدتهم لنيل السعادة في الآخرة . ولئلا نطيل الشرح نكتفي بذكر المحسن العظيم الذي جدد في عصورنا المتأخرة عجائب الخير التي عملها السيد المسيح ألا وهو القديس منصور دي بول . فانه اشتهر بتواضعه قبل ان يشتهر باعماله الخيرية . فهذا الكاهن البسيط الذي

كان من اصل وضيع لا مقام سام له في الكنيسة كان ينشر ذله وعاره امام سامعيه ويقاوم العناية الالهية ذاتها لدى وحيها اليه كل عمل خيري . فكان يتضرع الى الله ان يعفيه من اتمامه لانه غير اهل لذلك . وهذا الرجل الوضيع الذي كان يهرب من الكرامة اصبح مستشار الملوك في انتخاب امراء الكنيسة ورغم تواضعه كان يظهر جرأة الاسد لمضادة الكردينال مازاران الذي كان يؤسس اختياره على النفوذ لا على الاستحقاق فكان القديس منصور يقاومه وينتصر عليه بجرأته المتواضعة . هذا الرجل المتواضع الذي كان يعتبر نفسه غير اهل للكهنوت توصل بفضل غيرته المتواضعة الى تأسيس المدارس الاكليركية التي عجز عنها اكبر امراء الكنيسة ، هذا الرجل المتواضع بفقره جعل الملايين تمر بين يديه لعمل الخير فلم يترك مطلباً ولا بؤساً ولا مرضاً ولا الماً بلا مؤسسة خاصة للاهتمام بامره فملأت اعماله الكون كله . وكل مرة كانت تحمله الغيرة بالهام الهي على اقامة مؤسسات جديدة كان يتمنع ويقاوم لظنه ان ذلك فوق طاقته . وكان الله يولد من تواضعه اعظم الاعمال .

وهكذا رهبانه وراهباته ملأوا الكون كله من اعمالهم الخيرية وبينما اعداء الدين يضطهدون رؤساء الكنيسة نراهم ينحنون بكل احترام امام اجنحة راهبة المحبة البيضاء وذلك بفضل روح التواضع الذي اورثه المؤسس .

اكبر واسطة لسعادة الفرد والجماعة : التواضع

فمن هـذا المثال ومن تاريخ الكنيسة اجمع نقدر ان نستنتج ان التواضع هو اكبر واسطة لسعادة الفرد ولسعادة الهيئة الاجتماعية في هذه الدنيا . وهو واسطة لممارسة سائر الفضائل لتهيئة النفس الى السعادة الابدية . امين

العظة الثانية

الحسد

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٠ اذار سنة ١٩٣٣

موجز العظة

المقدمة

الحسد هو الفرح لضرر القريب والحزن لسعادته

الجزء الاول : فظائع نتائج الحسد

الكبرياء بنت الحسد – الحسد هو الخطيئة الثانية التي ارتكبتها البشرية في حسد قايين لهابيل – الحسد طرح يوسف في الجب وقتل ابن الله – البروتستانية اساسها الحسد – الحسد هو سبب لاكثر شرور بلادنا – خراب لبنان سببه تحاسد الطوائف

الجزء الثاني : دواء الحسد « المحبة »

احبب قريبك كنفسك – اعظم انواع المحبة بذل النفس عن الاعداء – « له ان ينمو ولي ان انقص » (المعمدان) – بولس وبونونتورا – واجب المؤمن الفرد محبة قريبه كمحبة الام لاولادها – على الطوائف مع بعضها ان تقتدي بمثال السامري – التفاهم بالمحبة المتبادلة هو اساس العمران

المقدمة

الحسد هو الفرح لضرر القريب والحزن لسعادته

ذكَّر صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك سامعيه بموضوع العظة السابقة عن الكبرياء قائلاً : ان خطيئة الكبرياء نجد فيها شيئاً من الكبر لان الانسان يقصد فيها رفع ذاته فوق غيره . وهـذا جهل كما رأينا . لكنه يوجد نوع آخر من الجهل غايته دنيئة وهي ضرر الغير ، ووسائطه سافلة كالنميمة والوشايات والكذب والاختلاقات للوصول الى هـذا الضرر وهذه الرذيلة الدنيئة بغايتها ووسائطها تسمى الحسد

فالحسد قائم بالفرح لضرر القريب والحزن لسعادته . وهو خطيئة فظيعة ونتائجهـا من افظع واوخم النتائج التي يجب التخلص منها بالابتعاد عن سببها . لذلك نريد ان نريكم في هذا المساء اولا فظاعة رذيلة الحسد بفظاعة نتائجهـا ثانياً ان نفتش على الدواء الشافي من هذه الرذيلة بالمحبة المسيحية

الجزء الاول : فظاعة نتائج الحسد

الكبرياء بنت الحسد

ان الخطيئة الاولى التي ارتكبها الانسان في الفردوس الارضي وهي تجر ذيولها حتى منتهى الدهور بالشرور التي تسلطت على البشرية والتي وصفناها في المرة الماضية هي وليدة

الحسد. فالشيطان حسد الانسان على سعادته في هذه الدنيا والآخرة وهذا الحسد حمله على تجربة الانسان فسقط هـذا في الخطيئة الاولى.

الحسد هو الخطيئة الثانية التي ارتكبتها البشرية :
حسد قايين لهابيل

الخطيئة الثانية التي ارتكبها الانسان هي الحسد. فالجنس البشري كان مؤلفاً من اربعـة اشخاص : آدم وحوا وقايين وهابيل و كانت الارض كلها لهم. فدبّ الحسد في قلب قايين ضد اخيه هابيل ، مع ان هذا كان بريئاً. ذنبه الوحيد هو انه قدم للرب ذبيحة مقبولة اذ انتقاها من اجود غنمه بينما قايين في بخله قدم للرب تقدمة غير مقبولة اذ انتقاهـا من احط اثماره. فحمل الحسد قايين على غش اخيه وطلب اليه ان يرافقه للتنزه. وهذا صدق اخاه بسلامة نية. وتابع الحسد فظاعته بالقتل فهجم قايين على هابيل وقتله. وكمـل الحسد فظائعه بخـداع الله اذ قال قايين : « العلي حارس لاخي » وكانت النتيجة لعنة الله وتعاسة قايين في هذه الدنيا « فذهب تائهاً شارداً في الارض » وقطع الرجاء قائلًا : « ان ذنبي اعظم من ان يغفر » وهلك الى الابد

الحسد طرح يوسف في الجب وقتل ابن الله

الحسد حمل ابناء يعقوب على قصد قتـل اخيهم يوسف

بطرحه في الجب ثم على بيعه للاسماعيليين حتى يتخلصوا منه. فافقدهم الحسد كل الحنان الطبيعي نحو اخيهم ونحو والدهم الشيخ الذي انزلوا شيخوخته الى القبر بالحزن والكدر. لكن الله حوّل حسد الاخوة الى رفع يوسف فكانت رغبتهم في ضرره واسطة لتحقيق احلامه. بان يخروا له يوماً سجداً

الحسد دبّ في قلوب الكتبة والفريسيين فجعلهم يرتكبون اكبر فظاعة وهي قتل ابن الله

البروتستانتية اساسها الحسد

واذا اراكم التاريخ في اوائل الاجيال الحديثة تلك الارتقة التي هزت اعصاب الكنيسة ونكرت كل الحقائق وكل قواعد الآداب واشعلت تلك الحروب الدينية وكادت تذهب بممالك اوربة فتركتها بعد جيلين قاعاً صفصفاً، اعني بها الارتقة البروتستانتية، فكل ذاك الخراب الادبي والمادي قد كان نتيجة حسد لوتيرس لان البابا امر مرسلين من غير رهبانيته بان يعظوا بالغفارين لجمع التبرعات لمساعدة بناء كنيسة مار بطرس الشهيرة. فانكر حقيقة الغفارين ثم سلطة الحبر الاعظم ثم سائر الحقائق وهيج اتباعه لبث دعايته بالسيف. فكان ما كان من الحروب الدينية

الحسد هو سبب لاكثر شرور بلادنا

واذا فحصنا سبب الشرور المتفاقمة في ايامنا وفي بلادنا

نراه في الحسد المتأصل في النفوس :

الحسد هو الذي يحمل الكثيرين على اضرار من يسبقونهم بالغنى محافظة على نفوذهم ، والحسد هو الذي يحمل الاشرار على مضادة عاملي الخير حتى ينزعوا اعتبارهم لدى الناس ولو كانوا اول المنتفعين من خيرهم ، والحسد هو الذي يسبب الاختلافات والمنازعات والشكوك حتى بين الاكليريكيين

وهنا ناشد سيادة الواعظ كهنته ليبعدوا عنهم هذه الحاسة الدنيئة ويكونوا مساعدي بعضهم بعضاً في عمل الخير لخلاص النفوس

خراب لبنان سببه تحاسد الطوائف

ثم التفت الى سامعيه وصرخ قائلاً : أليس التحاسد بين الطوائف هو سبب خراب هذه البلاد ؟ .. ان لبناننا العزيز كان دائماً وطناً لطوائف عديدة وطالما كانت كلها متفقة على مصلحة البلاد نابذة التحاسد والتخاذل ، كان لبناننا دولة عظيمة اشتهر بصولته وسلطانه تحت امرة امرائه الشهيرين كالامير فخر الدين المعني والامير يوسف الشهابي والامير بشير الكبير . لكن السياسة الدولية ادخلت في الجيل التاسع عشر التحاسد والتخاذل بين طوائفه فاصبحت كل طائفة تفتش على اسقاط الاخرى بين السنة الاربعين والستين من الجيل التاسع عشر . وماذا كانت النتيجة : حروب اهلية ومذابح هائلة

كادت تذهب بسائر سكان لبنان. وعندما رجعت الطوائف الى تعقلها واعطاء كل طائفة حقها في النظام الذي سير لبنان مدة ستين سنة، رجع لبنان الى سعادته التي غبطه عليها جيرانه وتاقوا الى الانضمام اليه حتى يشاركوه في هذه السعادة لكننا رجعنا بعد الحرب الكونية الى التخاذل والتحاسد الطائفي فكانت النتيجة الرجوع الى الخراب وهو امر نلمسه كلنا في هذه الايام. فما علينا يا ابناء لبنان الا الرجوع الى التفاهم، الى التضامن بين الطوائف، الى النظر في المصلحة العمومية، الى الرجوع الى السعادة بالمحبة المتبادلة التي هي دواء الحسد

الجزء الثاني : دواء الحسد المحبة

احبب قريبك كنفسك

ان السيد المسيح اعطانا تعليم المحبة وعزز هذا التعليم بمثله الالهي. فأمرنا ان نحب بعضنا بعضاً وان نحب قريبنا مثل نفسنا وان نحب اعداءنا وعندما اعطانا وصية المحبة كأساس لدينه قال لنا : وما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه

اعظم انواع المحبة بذل النفس عن الاعداء

ثم التفت الخطيب الى المصلوب وقال : اسمح لي يا سيدي ان اعترض على كلامك واقول نعم انه يوجد محبة اعظم من

ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه وهي ان يبذلها عن اعدائه وهذا ما صنعته انت يا اله المحبة بموتك على الصليب لاجل اصدقائك واعدائك . فالذين اسلموك الى الموت كانوا اعداءك ومت لاجلهم ، والذين حكموا عليك ظلماً كانوا اعداءك ومت لاجلهم ، والذين سمروك على الصليب وسخروا بك وانت مصلوب كانوا اعداءك ومت لاجلهم ، وكل الخطأة ، ومن من الجنس البشري ليس بخاطئ ، كانوا اعداءك ومت لاجلهم جميعاً . فما من حب اعظم من هذا وهو ان يبذل الانسان نفسه عن اعدائه

« له ان ينمو ولي ان انقص » (المعمدان)

وعلى مثال يسوع سار كل القديسين بالمحبة والابتعاد عن الحسد . ولئلا نطيل الشرح لان تاريخ المحبة هو تاريخ القديسين اجمع نكتفي بمثل يوحنا المعمدان الذي اراد تلاميذه لصغر عقولهم ان يحملوه على الحسد لدى رؤيتهم التفاف الجماهير حول السيد المسيح فقال لهم : يقتضي ان ينمو هو وانا انقص ، فلاجل هذا اتيت

بولس وبونتورا

نكتفي بمثال مار بولس الرسول الذي عندما عرف ان اخصامه يبشرون بالمسيح على غير نسقه كتب الى المؤمنين انه مسرور بان يبشر بالمسيح بحق او بغير حق بشرط ان يبشر به

نكتفي بمثال القديس بوناڤنتورا الذي كلفه البابا تأليف فرض القربان المقدس مع القديس توما اللاهوتي . فعندما ابتدأ القديس توما بتلاوة فرضه اخذ القديس بوناڤنتورا بتمزيق ما كتبه صفحة صفحة مظهراً إعجابه امام البابا ببلاغة توما وفصاحة عبارته وسمو معانيه

واجب المؤمن الفرد محبة قريبه كمحبة الام لاولادها

هذا ما صنعه القديسون وهذا ما يجب ان يصنعه كل مؤمن فالمحبة المسيحية يجب ان تشابه محبة الام لاولادها . فكما ان الام تفرح بخير اولادها وتجتهد ان تظهر صفاتهم وفضائلهم وتختفي لتظهرهم وتضحي بذاتها لاجل خيرهم، هكذا يجب على المسيحي ان يفرح بخير القريب ويفتش على خير القريب ويختفي هو لاظهار خير القريب ويضحي بذاته لاجل خير القريب

على الطوائف مع بعضها ان تقتدي بمثال السامري

هذا هو واجب الافراد . واما واجبنا كطوائف فقد اوضحه لنا سيدنا يسوع المسيح في مثل شهير مثل السامري واليهودي :

ان التنابذ بين الطوائف لاختلاف الدين كان موجوداً في الشرق منذ القديم . وقد وصل الى آخر حدوده بين اليهود والسمراء فكان اليهود يعتقدون من واجبهم قتل كل سامري "

والسمراء يعتقدون من واجبهم قتل كل يهودي

فبينما كان سيدنا يسوع المسيح يعلم محبة القريب سأله احد السامعين : ومن هو قريبي ؟ فاجابه يسوع :

رجل (يهودي) كان نازلاً من اورشليم الى اريحا فوقع بين ايدي اللصوص فسلبوه واثخنوه جراحاً وتركوه بين حي وميت . فمرَّ به لاوي وكاهن من ابناء دينه ولم يكترثا به . ومرَّ به سامري وعوضاً عن ان يجهز على حياته بحسب عوائد قومه شفق عليه وصب على جراحه خمراً وزيتاً واركبه على دابته وذهب به الى الفندق واعطى صاحب الفندق دينارين قائلاً : اعتنِ به وكل ما تنفقه عليه اعطيكه بعد عودي . ثم التفت يسوع الى سائله وقال : من تظنه قريباً لذاك الرجل ؟ فاجاب : الذي صنع معه خيراً . فقال له يسوع : اذهب انت وافعل كذلك

التفاهم بالمحبة المتبادلة هو اساس العمران

وانا ايضاً اقول لكم : يا مسيحيين اذهبوا انتم وافعلوا كذلك . افعلوا الخير بالمحبة بعضكم نحو بعض ونحو سائر ابناء الطوائف لانكم كلكم اخوة وقريبكم هو ابن البشرية من اية طائفة كان . وانتم يا اخوتي الذين حضرتم هذا الاجتماع وانتم من غير الطوائف المسيحية ، اذهبوا انتم وافعلوا كذلك اعملوا الخير بالمحبة المتبادلة . انبذوا التحاسد الطائفي ، ولنعمل كلنا

بالمحبة للمصلحة العمومية . فالتفاهم بالمحبة المتبادلة هو اساس العمران والنجاح والتقدم والسعادة لوطننا العزيز

ولكن ما هي سعادة هذه الدنيا بالنسبة الى سعادة الآخرة ؟ فهذه السعادة الابدية نتوخاها جميعاً ونتوق اليها ونرغب في تحقيقها . فاذهبوا كلكم واصنعوا كذلك . فالمحبة هي اساس السعادة في الدنيا وهي الواسطة الوحيدة للسعادة الابدية في الآخرة . امين

العظة الثالثة

الغضب

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٧ اذار سنة ١٩٣٣

موجز العظة

المقدمة

الغضب هو احتدام حركة الانتقام في الانسان

الجزء الاول : نتائج الغضب الفظيعة

الغضب يجعل الانسان وحشا – الغضب يحول العائلة الى جهنم – معظم الدعاوى في الهيئة الاجتماعية سببها الغضب – غضب المتسلطين خراب الشعوب

الجزء الثاني : دواء الغضب « الوداعة »

الوداعة تحفظ الانسانية في الانسان – الوداعة تحول العائلة الى نعيم – الوداعة تحفظ السلام في القرى والمدن – الوداعة في المتسلطين تحق الحق وتجري العدل – مثال الوداعة يسوع – سار المسيحيون الاولون بالوداعة على مثال يسوع – الوداعة تكتسب بتكرار التمرن : فرنسيس سالوس

الجزء الثالث : الغضب المقدس بالجرأة الادبية

الجرأة الادبية واجبة – فظاعة ذنب الاباء لقلة جرأتهم – ذنب الحكام لعدم مقاصة الاشرار ، وذنب الرؤساء لعدم الدفاع عن الضعيف ، واحد – الله نفسه غضب غضبا مقدساً بالحكم على ادم

وكذلك غضب يعقوب على اولاده، وموسى على شعبه، وصموئيل على شاول، وايليا على احاب وايزابال، وماتتيا على انطيوخوس كان غضباً مقدسا – اله الوداعة «يسوع» يغضب هذا الغضب – كذلك غضب بطرس على سيمون، وبولس على الاخوة الكذبة، وامبروسيوس على توادوسيوس، وفم الذهب على اودوكسيا، وغريغوريوس السابع على هنريكوس الرابع، وبيوس السابع على نبوليون، كان مقدساً – على هذا المثال سار مطران بيروت

المقدمة

الغضب هو احتدام حركة الانتقام في الانسان

ان الخطيئة الرئيسية الثالثة هي الغضب وهي مع الكبرياء والحسد صادرة من شهوة النفس كما رأينا سابقاً . فالغضب ما هو الّا احتدام حركة الانتقام في الانسان يحمله على الخروج عن دائرة العقل فتصدر منه حاسات وحركات وكلام وافعال خارجة عن محجة الصواب فيعمل اعمالا فظيعة يندم عليها فيما بعد . ولكن ماذا ينفع الندم، لان الغضب يكون قد سبب نتائج فظيعة لا يمكن ان يعوّض عنها

فلهذا اردنا في هذا المساء ان نشرح لكم اولا فظاعة نتائج الغضب . ثانياً ان نصف لكم دواءه بشرح فضيلة الوداعة . ثالثاً ان ننهي خطابنا بكلمة عن الجرأة المسيحية او الغضب المقدس حتى لا تتحول الوداعة الى ضعف فنتمم قول الرسول المنقول عن النبي : اغضبوا ولا تأثموا ولا تغرب الشمس على غضبكم .

الجزء الاول : نتائج الغضب الفظيعة

الغضب يجعل الانسان وحشاً

استفاض سيادة الخطيب بوصف حركات الغضوب مبيناً كيف انها تفقد العقل والارادة بفقد الرشد فيرجع الانسان بحاساته وحركاته وسائر اعماله الى الغريزة الوحشية تحت ثورة الغضب ويصل بالفظاظة الى الاهانة والشتم والمسبات والضرب واخيراً ، كما يحدث مراراً ، الى القتل

الغضب يحول العائلة الى جهنم

ثم اخذ سيادته يصف نتائج الغضب في العائلة ، وبعد ان تبسط في وصف غضب الرجل وسوء معاملته لامرأته بيّن شقاء تلك العائلة اذا جاوبت الامرأة بغضبها على غضب الرجل فتصبح حال تلك العائلة بتعاستها كحالة الهالكين في جهنم يلعن الواحد الآخر . فالضربة تحل في الاولاد الذين بسوء التربية ورؤية هذه الامثال العاطلة يتعلمون الفظاظة من والديهم وهناك الطامة الكبرى عندما تشتبك العائلة كلها بالشتائم والاهانات التي تنتهي اخيراً بالضرب واحياناً بالقتل . فالمحاكم الكنسية والمحاكم المدنية لا تغذّى الا من هذه الحوادث في الدعاوى العائلية

اعظم الدعاوى في الهيئة الاجتماعية سببها الغضب

واذا خرجنا من العائلة الى الهيئة الاجتماعية نرى ان معظم الدعاوى الحقوقية والجزائية ما سببها الا ثورة الغضب بالتعديات والملاكمة والقتل والتفظيع واشتباك العيال بعضها مع بعض والقرى الواحدة مع الاخرى حتى تصل الى تلك المجازر والمذابح المشهورة في تاريخ كل البلدان

غضب المتسلطين خراب الشعوب

والضربة القاضية هي عند اشتداد الغضب في نفوس المتسلطين فيستعملون سلطتهم بالقوى التي بيدهم لانتقاماتهم الشخصية فيسببون هلاك الشعوب في ثورة غضبهم بالحروب الشهيرة في التاريخ . فهامان العاتي استحصل على امر من احشورش لابادة كل اليهود انتقاماً لاهانة ظنها صادرة من مردخاي ، ونيكانور في حمقه قسم ان يبيد الشعب الاسرائيلي ويهدم هيكل الله لانه في ثورة غضبه اراد ان ينتقم لاهانات شخصية ، وقيافا اسلم يسوع الى الموت وارتكب اكبر فظيعة بقتل ابن الله لانه استشاط غضباً عندما قال يسوع الحقيقة ، ونيرون الملك اثار ثائر الاضطهاد على المسيحيين واراد ان يبيدهم عن آخرهم في غضبه بسبب نسبة الشعب له حرق رومية ، وتاودوسيوس ذاك الملك المسيحي ارتكب جريمة

فظيعة بقتل النساء والاطفال والابرياء مع المجرمين في تلك المذبحة الهائلة التي امر بها في تسالونيكي انتقاماً لاهانة صدرت لتمثاله من بعض رعاع الشعب

واذا فحصنا سبب حروب كثيرة قتلت الشبان وهدمت المدن وابادت الشعوب نرى انها صادرة عن ثورة غضب حملت الملوك على اعلان الحرب فجرت الويلات على البشرية

فاذا كان للغضب كل هذه النتائج الفظيعة فكم يجب علينا ان نبتعد عنه ونفتش على شفائنا منه بدواء ناجع وهو فضيلة الوداعة المسيحية

الجزء الثاني : دواء الغضب « الوداعة »

الوداعة تحفظ الانسانية في الانسان

ان الوداعة هي تملّك العقل والارادة على الانسان في كل حركاته الداخلية والخارجية ، لئلا يصدر منه سوى ما هو موافق لمقامه الانساني فيملك الانسان روعه بفضيلة الوداعة ويقدر ان يضغط على نفسه حتى يتوازن كلامه وحركاته وافعاله على قياس المعقول

الوداعة تحول العائلة الى نعيم

واذا صدر من الغير اهانة فيقتبلها بطول البال ويقهر عدوه باناته فيخمد ثورة غضبه . فعندما تتسلط الوداعة على

الرجل والمرأة او على احدهما في الاقل فيجاوب فريق على غضب الآخر بطول البال والاناة او اقله بالسكوت ينتفي سبب الشر وتسود السلامة في العيال. فالوداعة هي عربون السعادة، والعائلة التي تسود فيها هي اشبه بسكان النعيم الذين لا يعرفون الاختلافات والمنازعات

الوداعة تحفظ السلام في القرى والمدن

وهكذا قولوا عن الهيئة الاجتماعية متى تغلب العقال بوداعتهم على فظاظة الجهال تسود السكينة ويخيم السلام في القرى والمدن ويتفرغ كل الى اشغاله فتصل الشعوب الى النجاح المادي والادبي بفضل فضيلة الوداعة

الوداعة في المتسلطين تحق الحق وتجري العدل

والوداعة في المتسلطين هي ذاك الحلم الذي يجعلهم يبتعدون عن الانتقام الشخصي فلا ينظرون الا الى الحق والعدل وادارة الرعية بتعقل ورصانة بحفظ الامن وانجاح البلاد. فهؤلاء تكون لهم المدحة من شعوبهم والبركة مع حسن الذكرى في التاريخ

مثال الوداعة : يسوع

فالانسان خلقه الله وديعاً. لكن الخطيئة الاصلية افسدت نفسه وجعلت حركة الانتقام تتسلط على العقل. فأتى سيدنا

يسوع المسيح واعطانا دواء الوداعة ليشفينا من هذا المرض فقال : تعلموا مني انني وديع ومتواضع القلب . فكان وديعاً مع تلاميذه ليعلمهم ويهذبهم ويجعلهم رسلاً يليقون به . كان وديعاً مع الخطأة . ولما كان الكتبة والفريسيون ينتقدونه لمعاشرته الخطأة والعشارين كان يجيبهم ان ابن البشر لم يأتِ لاجل الصديقين بل لاجل الخطأة . كان وديعاً مع الذين لم يسمعوا كلامه كأهل السامرة الذين لم يقبلوه في مدينتهم فطلب منه تلاميذه في جهلهم ان ينزل النار والكبريت عليهم فاجابهم : ان ابن الانسان لم يأت لهلاك البشر بل لخلاصهم . انكم لا تعلمون ما تقولون . كان وديعاً نحو اعدائه في آلامه . وعندما رأى ان كلامه رغم لطفه ووداعته يهيج المتعنتين حفظ الصمت حتى لا يعطي مجالاً لخصومه ان يحتجوا على كلامه . فضرب وكان ساكتاً ، وجلد حتى سال دمه وتناثرت لحمانه وكان ساكتاً ، كلل بالشوك وكان موضوع سخرية الخدم والجنود وكان ساكتاً ، حكم عليه بالموت فقبله بدون اعتراض حمل صليبه ولم يتلفظ بكلمة ، سمر على الصليب ولم يسمع الا عبارة المغفرة : يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يعملون . ومات على الصليب ولم يفتح فاه لتتميم النبوءات

سار المسيحيون الاول بالوداعة على مثال يسوع

فتعلم رسله وتلاميذه هذه الوداعة فكانوا يسرون ويغتبطون

عندما يستحقون ان يجلدوا لاجل يسوع . علم الشهداء هذه الوداعة فعوضاً عن ان يلعنوا مضطهديهم كانوا يصلون لاجلهم ولهذا رأينا دماءهم تسقي الارض فتنبت الالوف من المسيحيين . رأينا الوداعة والحلم في ذلك الملك الشهير قسطنطين الذي تشرب الروح المسيحية من امه القديسة هيلانه ، وعندما اتى المخبرون يشون باهل انطاكية انهم فظعوا بتمثاله ضاربين وجهه مشوهين هيئته مرّ بيده على وجهه قائلاً : لم اشعر بشيء . فكان حلمه هذا مخلداً ذكره اكثر من انتصارته في حروبه .

الوداعة تكتسب بتكرار التمرن : فرنسيس سالس

لكنّ الوداعة ليست سهلة فمن يريد ان يكتسبها يجب ان يكثر من التأمل بامثال سيدنا يسوع المسيح وامثال القديسين ملتجئاً الى الصلاة طالباً ، مثل سليمان ، الحكمة لئلا يخرج عن محجة الصواب . وبالوقت ذاته الوداعة كسائر الفضائل لا تكتسب الا بتكرار التمرن . فلا نظن اننا نصل اليها بفعل واحد . فالقديس فرنسيس سالس الذي اشتهر في الاعصر المتأخرة بوداعته قضى كل حياته يمارس هذه الفضيلة كرياضة لنفسه تقويها كما تقوي الجسد الرياضة البدنية . فكانت موضوع اعتنائه الدائم ومع ذلك بعد ممارستها عشرين سنة وجد يوماً في مأزق حرج باستماعه اهانة احد الامراء فبقي صامتاً ساكتاً . وعند ما سأله تلميذه لاكامي لماذا لا يجاوب الامير بكلمة

لطيفة ليخمد ثورة غضبه اجابه اني رغم ممارستي للوداعة هذه المدة الطويلة شعرت في داخلي بهيجان خارق العادة لدى استماعي هذه الاهانة فخفت ان الفظ كلمة لا تخلو من اثار هذا الهيجان ففضلت السكوت ملافاة للسبب

فاذا كان هذا القديس خاف التكلم بعد ممارسة الوداعة عشرين سنة فكم يجب علينا نحن الضعفاء ان نفضل السكوت عند هيجان بركان الغضب في داخلنا

لكن يا اخوتي لا يجب ان نخلط بين الوداعة والضعف عند الواجب فكما انه يجب ان نداوي الغضب الشرير بالوداعة يجب بالوقت ذاته ان نداوي الضعف الاثيم بالجرأة الادبية او الغضب المقدس

الجزء الثالث : الغضب المقدس بالجرأة الادبية

الجرأة الادبية واجبة

ان الحدّة خلقها الله في الانسان منذ الابتداء حتى تحمله على النشاط في تتميم واجبه نحو الله ونحو القريب ونحو نفسه. فاذا كانت الخطيئة الاصلية افسدت هذه الحدة بالغضب فان هذا لا يمنع ان الحدة هي ضرورية ولازمة عند تتميم الواجب ولدى الصعوبات يجب ان نتسلح بالجرأة الادبية لنقوم بهذا الواجب

فظاعة ذنب الاباء لقلة جرأتهم

فالوالدون الذين يهملون تربية اولادهم حتى لا ينزعجوا هم ولا يزعجوهم فيستسلم الاولاد الى الفساد ولا يردعهم والدوهم، فان الوالدين يرتكبون بقلة جرأتهم واهمالهم هذا فظيعة تفوق فظيعة الغضب

ذنب الحكام لعدم مقاصة الاشرار،
وذنب الروساء بعدم الدفاع عن الضعيف، واحد

والحكام الذين يتهاملون عن اقامة العدل فلا يعطون كل ذي حق حقه فيظلمون الابرياء ويعفون عن الاشرار ليعيشوا في شرورهم وذلك بحجة الصداقة او القرابة او الوسائط او الوساطات او المال وما شاكل، فهولاء يرتكبون بقلة جرأتهم فظائع هي اشبه بفظائع الغضب وعليهم تعود التبعة في خراب البلاد

والرؤساء الذين يشاهدون الظلم ولا يسمعون صوتهم لرفعه عن المظلومين وبقلة جرأتهم يهملون المحامات عن الفقير والبائس واليتيم والارملة، فان هؤلاء الرؤساء يرتكبون بقلة جرأتهم ذنباً يفوق ذنب حدة الغضب

الله نفسه غضب غضباً مقدساً بالحكم على ادم

فكما يجب ان نرتدع عن الغضب المجرم ونداويه بالوداعة في حياتنا الادبية يجب عند الاقتضاء ان نستعمل الجرأة

بالغضب المقدس في تتميم الواجب الاجتماعي

غضباً مقدساً كان غضب الله عند ما عرف بخطيئة ادم فقال له بغضبه عندما طرده من الفردوس : ملعونة الارض بسببك . شوكاً وقرطباً تنبت لك وبعرق جبينك تأكل خبزك حتى تعود الى الارض التي خرجت منها لانك تراب والى التراب تعود

وكذلك غضب يعقوب على اولاده وموسى على شعبه وصموئيل على شاول وايليا على احاب وايزابال وماتتيا على انطيوخوس كان غضباً مقدساً

غضباً مقدساً كان غضب يعقوب عندما عرف بخطيئة اولاده في شاتين فوبخهم في شدة غضبه واستمطر لعنات الله عليهم اذا لم يتوبوا

غضباً مقدساً كان غضب موسى عند نزوله من الجبل حاملاً لوحي الوصايا فرأى الشعب يخر ساجداً امام عجل ذهبي قائلاً : هذا هو الهك يا اسرائيل . فرمى لوحي الوصايا بغضبه وحطمهما واشتد بتوبيخ هارون الذي حمل الشعب على هذه الفظاعة بضعفه . وغضب على الشعب غضباً شديداً لانه نسي الله الذي اخرجه من ارض مصر وظهر له على جبل سيناء بين البروق والرعود

غضباً مقدساً كان غضب صموئيل عند ما امر شاول باسم الرب ان يفني عماليق برجاستهم فخالف شاول امر الرب واستحق

غضب صموئيل الذي قال له من قبل الرب : ان ملكك يفصل عنك ويعطى لآخر

غضباً مقدساً كان غضب ايليا عندما غار غيرة للرب ووبخ آحاب وايزبال على ذنوبهما وحمل الشعب على عبادة الاوثان وبغضبه امر بقتل كهنة باعال ليخلص الشعب من رجاستهم

غضباً مقدساً كان غضب ماتتيا ابو المكابيين عندما قام بولده ورجاله واحتمى في الجبل ليهيء الحرب المقدسة ضد انطيوخوس الظالم الذي اراد ان يفتك بالشعب ويلغي عبادة الاله الحقيقي

اله الوداعة يسوع غضب هذا الغضب

غضباً مقدساً كان غضب اله الوداعة سيدنا يسوع المسيح عندما اخذ سوطاً وطرد الباعة من الهيكل قائلاً : بيتي بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارةً للصوص

كذلك غضب بطرس على سيمون، وبولس على الاخوة الكذبة، وامبروسيوس على تيادوسيوس، وفم الذهب على اودوكسيا وغريغوريوس السابع على هنريكيوس الرابع، وبيوس السابع على نبوليون كان مقدساً

غضباً مقدساً كان غضب بطرس عندما اتى سيمون الساحر يشتري بالمال مواهب الروح القدس فاستشاط بطرس غضباً عليه قائلاً : فلتذهب فضتك معك الى الهلاك وعلّمنا بهذا

الغضب المقدس كيف يجب على الرئيس الروحي ان لا يبيع ضميره بالمال

غضباً مقدساً كان غضب بولس عندما رأى الاخوة الكذبة يفسدون ضمائر المؤمنين بالتعاليم المضلة فصرخ قائلاً : من علمكم خلاف ما علمناكم فليكن محروماً

غضباً مقدساً كان غضب ذلك القديس العظيم امبروسيوس عندما اراد تاودوسيوس ان يدخل الكنيسة يوم عيد الميلاد بعد ارتكابه فظاعة تلك المذبحة الهائلة في تسالونيكي . فلاقاه الى باب الكنيسة وعند وصول تاودوسيوس مع حاشيته الملوكية قال له : قف ايها الملك . ان الذي لطخ يديه بدم الابرياء لا يستحق ان يشترك بذبيحة ذاك الذي سفك دمه لاجل البشر . وهكذا حرمه . وقبل تاودوسيوس الحرم وتاب الى الله و كفر عن خطيئته باعتراف جهوري وعوض على مدينة تسالونيكي بكمية وافرة من المال لاعانة الفقراء والمساكين والارامل واليتامى ، فغطت توبته هذه فظاعة ذنبه وذلك بفضل جرأة امبروسيوس

غضباً مقدساً كان غضب ذاك الحبر الوديع يوحنا فم الذهب الذي اشتهر بوداعته بقدر ما اشتهر بفصاحته الذهبية ، فانه عندما رأى الملكة اودوكسيا تعيث فساداً في الشعب وتحمله على ارتكاب المحرمات المخجلة ، عرف واجبه كراع صالح يريد ان يحمي رعيته من الفساد فرفع صوته محتجا على اعمال

اودوكسيا في منبر كنيسة القديسة صوفيا في القسطنطينية. وكان جزاؤه النفي فمات منفيا مردداً هـذه الكلمة : اني احببت العدل وابغضت الاثم فلذلك اموت في المنفى

غضباً مقدساً كان غضب غريغوريوس السابع ذاك الحبر الاعظم الذي وقف في وجه هنريكوس الرابع امبراطور المانية الذي اراد ان يرهق الشعب بالضرائب لاجل ملذاته ويدوس حقوق الكنيسة ويستولي على املاكها ليزيد ثروته . فقامت قيامة غريغوريوس السابع وبجرأة اشتهرت في التاريخ اوقفه على حده والزمه ان يعود الى الخضوع بتوبة مشتهرة في كانوسا .

غضباً مقدساً كان غضب ذاك الحمل الوديع بيوس السابع امام مدوّخ اوربة ومخضع الملوك نابوليون الاول . فرغم اسره ومرضه وابعاده عن اعوانه وخيانـة الكثيرين من مرؤوسيه المتزلفين وقف في وجه نابوليون محتجاً على تعديه سلطته بتدخله في شؤون الكنيسة التي لا تعنيه

وكم وكم من الامثال العديدة نجدها في الكتاب المقدس وفي تاريخ الكنيسة تدلنا على ضرورة استعمال الغضب المقدس بالجرأة الادبية في تتميم الواجب

على هذا المثال سار مطران بيروت

فالجرأة الادبية نراها في حياة جميع القديسين . ولهذا بعد ان خامرنا شك لدى سماعنا تنديد المتزلفين على رفع صوتنا

لحماية المظلومين ومساعدة الفقير والبائس رجعنا الى مثال هؤلاء القديسين وتأكدنا امام الله بضمير مرتاح ان هذا هو واجبنا والويل لنا لو لم نتممه (١)

لكن يا اخوتي لا ننسب التقصير الى غيرنا فقط بل لنرجع الى ذواتنا ونعرف ان هذه الضربات الطبيعية والمدنية ما هي الا قصاص من الله لفساد العصر الحاضر . فبين درب الصليب وزياح الصليب لنخرّ ساجدين امام يسوع المصلوب ونبكي على خطايانا بتوبة صادقة فنستحق المغفرة ورفع الضربات عنا ولنصرخ كلنا بحرقة القلب وحسرة الندامة : ارحم يا رب ارحم شعبك ولا تسخط علينا الى الابد

---

(١) بخطاب شهير القاه السنة الماضية في عيد القديس مارون ، ضد رئيس الجمهورية شارل دباس .

العظة الرابعة

الدعارة والشراهة

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٢٤ اذار سنة ١٩٣٣

موجز العظة

المقدمة

الخطايا الصادرة عن شهوة الجسد اربعة

الجزء الاول : الدعارة ونتائجها الفظيعة

الدعارة نتيجة الخطية الاصلية – الحيوان افضل من الانسان الداعر – بيوت الفحشاء – مدارس لفساد الشبيبة – مدارس فساد السينما والمراقص – الطوفان ونار سادوم وعاموره . . . سببها الدعارة – جرائم الشبيبة سببها المرأة – بالدعارة انتحرت شبيبتنا – اشفقوا على ذواتكم واولادكم . . . »

الجزء الثاني : العفاف المسيحي

العفاف ضروري في التبتل وفي الزواج – وسائط العفاف : روح الدين وروح الاماتة – روح الدين يجردنا عن ملذات الدنيا – ويحمل الشبيبة على اعتناق الزواج : فالزواج الزواج – الاماتة من جوهر الدين المسيحي – ضرورة اماتة الحواس الباطنية والخارجية – وجوب اماتة الخنجرة – الشراهة تولد الدعارة والسكر . . . – حكمة السيد البطريرك – الميل الدنس لا يخلو منه احد – « انت هو الرجل » – « انزلت مريم ابن الله الى الارض بتواضعها، وجعلته يتجسد في احشاها بطهارتها » (برنردوس)

المقدمة

الخطايا الصادرة عن شهوة الجسد اربعة

اوجز سيادة المطران مبارك العظات الثلاث السابقة عن الكبرياء والحسد والغضب وقال : ان هـذه الخطايا الرئيسية الثلاث هي الصادرة عن شهوة النفس . فبقي ان نشرح الخطايا الرئيسية الاربع الصادرة عن شهوة الجسد . وافظعها الدعارة التي تسندها وتقويها الشراهة . فعليه نريد في هذا المساء ان نبين فظاعة الدعارة بنتائجها ، ودواءها بروح العفاف المسيحي ، الذي من وسائطه روح الدين وروح الاماتة

الجزء الاول : الدعارة ونتائجها الفظيعة

الدعارة نتيجة الخطيئة الاصلية

بيّن سيادة الخطيب كيف خلق الله الانسان ذكراً وانثى لغاية شريفة ينالهـا بالزواج ، وهي دوام النسل لحفظ الجنس البشري ، وكيف افسدت الخطيئة الاصلية هذه الغاية بزيغان الميل الطبيعي وتوجيهه الى الشر دون قاعـدة ولا نظام . ثم قال : ان نتيجة هذا الزيغان كانت خطيئة الدعارة التي يسميها الآباء الروحيون الخطيئة الحيوانية .

الحيوان افضل من الانسان الداعر

لكنّ الحيوان في سلامة طبيعته وبقاء غريزته، على ترتيب خلقهُ الله له، يحفظ نظاماً لا يتعداه. اما الانسان فقد اصبح لا قاعدة له ولا نظام في لذته الحيوانية، لا في الوقت ولا في النوع ولا في المكان ولا في الاشخاص، وصار احط من الحيوان وناهيك عن الخطايا الفظيعة التي نحجم عن تسميتها وما هي الا شاهد على صحة قولنا. وقد زاد الانسان على ذلك اختراعه، بعقله المخلوق للخير، مدارس للشر والفساد لا يعرفها الحيوان.

بيوت الفحشاء مدارس لفساد الشبيبة

أليست بيوت الفحشاء مدارس لفساد شبيبتنا؟ فقد يدعي بعضهم انها ضرورية لدفع الشر عن سائر انحاء المدينة. ولكن رأينا هذه البيوت تجتذب شباننا وتفسد طهارتهم وتقتل اجسادهم فيأتي الشاب من المدرسة طاهر القلب فيجره رفاقه الى بيوت العهارة ثم يفسد هو غيره وهكذا يعمّ الفساد شبيبة هذه المدينة. بيوت العهارة لا تمنع الشر ولا تحصره بل تسهل له الوسائط وتزيده انتشاراً. لذا طلبنا من ارباب الامر اقصاء هذه البيوت. فما كان منهم الا ان قرروا نقلها من حي عامر الى حي آخر اكثر عمراناً فاحتججنا على ذلك وطلبنا ابقاءها حيث هي. لكننا اليوم، بعد ان رأينا الشر

متفشياً في كل انحاء البلدة ، نطلب الغاء هذه البيوت تماماً حفظاً لشبيبتنا . فقد الغاها قائد ايطالية الشهير من مدن المملكة وبهذه الوسائط خفف وطأة الفساد عن الشبيبة الايطالية

مدارس فساد السينما والمراقص

مدارس فساد هي تلك المسارح والسينما والمراقص الخلاعية التي تكاثرت وانتشرت في بلادنا في هذه الايام الاخيرة

الطوفان ونار سادوم وعاموره ... سببها الدعارة

في التاريخ جلب تفشي الدعارة الطوفان العرمرمي على الارض واباد الجنس البشرى ما عدا نوح واولاده . تفشي الدعارة في سادوم وعامورة اسقط عليهما ناراً وكبريتاً . تفشي الدعارة في بني اسرائيل باختلاطهم مع بنات مواب اباد منهم ثمانين الفاً في يوم واحد

خطيئة الدعارة التي ارتكبها داود جعلت الاضطراب والاختلاف والحرب في بني بيته طول ايام حياته

جرائم الشبيبة سببها المرأة

ولكن مالي وللماضي ؟ تعالوا يا مؤمنون وانظروا ضربة الدعارة في هلاك الشبيبة العصرية . انظروا الى معظم الاختلافات التي تؤدي الى القتل والتفظيع ، الى تلك الجرائم التي تملأ محاكمنا وتغذي جرائدنا . أليست هي نتيجة الدعارة ؟ لهذا قال

احد اعاظم الرجال : حيث نجد الفظائع فتش عن الامرأة

بالدعارة انتحرت شبيبتنا

الدعارة هي التي جعلت شبيبتنا تنتحر : تنتحر بقتل الذات فعلياً وما السبب الا لاستسلامها الى اللذة . ولهذا ساد على الكثيرين من شبابنا الذهول والحيرة والبلاهة . تنتحر بقتل الارادة لان الدعارة جعلتها بلا عزم ولا ثبات ولا جرأة كأنها ريشة في مهب الريح . تنتحر بجسدها لان الدعارة ابلتها بالامراض الزهرية التي تنخر عظامها . فنرى الشبان في مقتبل العمر يجرون ارجلهم الى القبر مصفري الوجوه غارقي العيون ناحلي الاجسام كأنهم شيوخ وهم في شرخ الشباب .

اشفقوا على ذواتكم وعلى اولادكم

تنتحر ونحن نراها بدون ان تتحرك فينا عاطفة الشفقة ؟ لذلك نستحلفكم يا اولادنا ان تشفقوا على ذواتكم ، ان تشفقوا على نفوسكم واجسادكم ، ان تشفقوا على صحتكم وسلامتكم وتبتعدوا عن هذه الرذيلة التي تكاد تفنيكم . نستحلفكم يا ارباب العيال ان تشفقوا على اولادكم وتحافظوا عليهم . فعار عليكم ان تقودوا اولادكم الى مدارس الشر ، الى المسارح والسينما الفاسدة وتسببوا قتلهم بيدكم . نستحلفكم يا اولي الامر ان تشفقوا على هذه الشبيبة اللبنانية بمحاربة كل اسباب الفساد لانه اذا لم يكن من واجبكم المحافظة على النفوس

فمن اعظم واجباتكم المحافظة على الاجساد وعلى الصحة العمومية. نستحلفكم يا اخواننا الكهنة ان تضاعفوا الغيرة لمحاربة اسباب الشر والمحافظة على هـذه الشبيبة الوديعة المقدسة المسلمة الى عنايتكم.

ولا تعجبوا يا اخوتي اذا رأيتم قلبنا يتفتت لدى رؤيتنا فناء شبيبتنا فآلينا على نفسنا مواصلة هـذه المواعظ لنسمع صوتنا الابوي ونردع الشبيبة عن الشر. ونقدم لهـا الدواء الشافي من هذا المرض العضال الا وهو العفاف المسيحي

الجزء الثاني : العفاف المسيحي ووسائطه الخلاصية

العفاف ضروري في التبتل وفي الزواج

ان الله يدعو المسيحيين اما إلى التبتل للانصراف الى خدمة النفوس ، وإما الى حالة الزواج للعناية بالعيال. ففي كلتا الحالتين العفاف ضروري لنا. فعلى الذين نـذروا البتولية ان يتعففوا بترفعهم عن كل لذة حسية وعلى المتزوجين ان يتعففوا بحفظ سنة الزواج المسيحية والامانة المتبادلة. لكن يا اخوتي مـا اصعب العفاف بعد زيغان الانسان عن الخير بعد الخطيئة الاصلية. وهذا ما جعل القديس بولس يصرخ قائلًا : اني اشعر في داخلي بمنخس الشر فما اتعسني لان الخير الذي اريده لا افعله والشر الذي لا اريده اياه افعل. فمن يخلصني من جسد الموت هذا!

وسائط العفاف : روح الدين وروح الاماتة

فالوسائط التي تساعدنا على العفاف المسيحي اختصرها لنا سيدنا يسوع المسيح بهذه الكلمة لطرد الروح النجس : ان هذا الجنس لا يُطرد الا بالصلوة والصوم ! وبكلمة اخرى ، وسائط العفاف هي روح الدين وروح الاماتة

روح الدين يجردنا عن ملذات الدنيا

فروح الدين يجردنا عن هذه الدنيا وملذاتها لنرفع عقولنا الى العلاء ونعرف ان راحتنا وسعادتنا هي في الآخرة ، روح الدين يلجئنا الى الصلوة والاسرار لنيل النعمة التي بدونها لا نقدر ان ننتصر على الشر . وهذا ما جعل القديس بولس يردف الكلام المذكور آنفاً بجواب من الله : نعمتي تكفيك . ولهذا يهتف الرسول : اني قوي بنعمة الذي يقويني

ويحمل الشبيبة على اعتناق الزواج : فالزواج الزواج

روح الدين يحمل الشبيبة على اعتناق الزواج المقدس . فالزواج الزواج ! لانه الواقي الاعظم من الفساد . يقول القديس بولس ان مضجع الزواج طاهر واما مضجع الزناة فهو ملعون من الله . وضربة شبابنا في هذه الايام هي امتناعهم عن الزواج اما للتخلص من اعباء العائلة وهذا ذنب فظيع ومحبة ذات عمقوتة ، واما بسبب الكبرياء وما نسميه في الدارج « الزنطره »

التي تجعل الفقير والمتوسط يفتشان عن مضاهاة الغني في مظاهر الفخفخة واذا لم يقدرا على ذلك فيمتنعان عن الزواج . ولكن ليس الحق على الشبان وحدهم بل على البنات بنوع اخص . فان البنت العصرية تتعنت بمطاليب غير معقولة تنفر الشبان من الزواج . فتعقلوا يا شبان ويا بنات وليكتف كل بما قسمه الله له فنجد راحتنا وسعادتنا وسلامة عيالنا

الاماتة من جوهر الدين المسيحي

ان روح الدين هي الواسطة الاولى لحفظ العفاف وروح الاماته هي الواسطة الثانية

الاماتة ! ما اصعب هذه الكلمة في عصرنا، عصر اللذة وعصر الحرية . لكن، يا اخوتي . اذا شئنا ان نكون مسيحيين، فيجب علينا ان نحافظ على مبادىء الانجيل . وهذه المبادىء تبقى هي هي في الماضي، والحاضر، والى منتهى الدهور . واساس الحياة المسيحية هو هذا المبدأ : «من يريد ان يتبعني، فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني» فاماتة الذات هي شرط لا بد منه لاجل حفظ العفاف

ضرورة اماتة الحواس الباطنية والخارجية

فاماتة الذات قائمة اولاً باماتة حواسنا الباطنية : الافكار والتصورات . لان سبب الشر يبتدىء من الباطن واحسن واق لطهارة التصورات والافكار هو الشغل الذي لا يدر علينا

خيرات هذه الدنيا فحسب بل يلهينا عن التصورات والافكار الباطلة ويساعدنا على حفظ الطهارة

تقوم اماتة الذات ثانياً باماتة حواسنا الخارجية كالنظر والسمع الخ. فهذه الحواس هي مجلبة للشر . ولهذا نحرضكم يا اولادي على حفظ هذه الحواس بالابتعاد عن المسارح والملاهي والمراقص الخلاعية لان الموت كما يقول النبي يدخل من نوافذنا

وجوب اماتة الحنجرة

فالشراهة هي من الخطايا الرئيسية التي تولد غيرها واخص بناتها الدعارة . فالجسد عندما نكثر له العلف يبطر كالحيوان وفوق ذلك فالشراهة في المشروبات الروحية اي المسكرات، تفقدنا العقل وتحط من مقامنا الانساني وتصيرنا كالبهائم التي لا رادع لها . فالسكر يؤدي الى الكلام البذيء والى الاختلافات والمنازعات والى الاعمال الوحشية وغالباً الى القتل

فاماتة الحنجرة تخلصنا من كل هذه الآفات الصادرة عن الشراهة وتخلصنا بالصوم والقطاعات من بطر الجسد وتساعدنا على حفظ الطهارة والعفاف المسيحي . وفوق ذلك تفيد اجسادنا بحفظ صحتنا . وكل الاطباء في العصر الحاضر يفرضون بعض الصيامات والانقطاع عن المآكل المغذية لشفاء مرضاهم والمحافظة على صحتهم . لا بل نرى البعض منهم يفرضون صوماً متواصلاً مدة ايام عديدة معتقدين ان هذا الصوم هو الدواء الشافي لكل

حرض . فاذا كان الامر كذلك فعلامَ نخاف من الاماتة ؟ أليست الدواء الواقي لنفسنا من الخطيئة ولجسدنا من الامراض ؟

حكمة السيد البطريرك

وكم يجب علينا ان نشكر حكمة ابينا المغبوط السيد البطريرك الذي ارجع في منشوره الاخير شيئاً من صرامة الشريعة القديمة في الصوم والقطاعة وما غايته في ذلك الا وقاية نفوسكم وحفظ اجسادكم . فاستسلامنا الى الشراهة وملذات الجسد جعلنا عرضة للدنس والفساد بتفشي رذيلة الدعارة

الميل الدنس لا يخلو منه احد

فالخطايا الرئيسية التي ذكرناها سابقاً لا تعم البشر كلهم . فمنهم من لا يعرف الكبرياء لان طبعه مائل للتواضع . ومنهم من لا يعرف الحسد لان الله اعطاه نعمة المحبة الطبيعية . ومنهم من لا يعرف الغضب لان الله اعطاه موهبة الوداعة الطبيعية . اما الميل الدنس فلا يخلو منه احد .

« انت هو الرجل »

ان ناتان النبي ضرب لداود الملك، مثل النعجة، فاستفزت الغيرة داود وقال بغضبه عن ذاك الرجل المعتدي : يموت موتاً . فاشار اليه ناتان : انت هو الرجل ! فلدى وصفنا فظائع الدعارة التي تقشعر منها الابدان، نتساءل من يجسر ان يقدم على هذه

الرذيلة بعد رؤية فظائعها ؟ فنجيبكم بكلمة ناتان : انت هو الرجل . نعم نقول لكل فرد منكم يا رجال انت هو الرجل . نقول لكل فرد منكم يا شبان : انت هو الرجل . نقول لكل منكنّ يا بنات ويا نساء : انت هو الرجل ! وكل واحد منا هو ذاك الرجل . فكما ان داود عرف خطيئته وانطرح ساجداً هاتفاً : اخطأت الى الرب . هكذا فلنخر كلنا ساجدين ونقر بخطايانا ونندم عليها ونقصد، في هذا المساء، تغيير سيرتنا، لنجاة نفوسنا واجسادنا وسلامة شبيبتنا وعيالنا

انزلت مريم ابن الله الى الارض بتواضعها، وجعلته يتجسد في حشاها بطهارتها (برنردوس)

وفي مساء عيد البشارة المبارك الذي هو عيد التجسد الالهي، نتذكر كلام القديس برنردوس : ان العذراء مريم انزلت ابن الله بتواضعها من السماء الى الارض، وبطهارتها جذبته ليتجسد في احشائها . فنتوسل الى هذه البتول الطاهرة لكي تشفع بنا جميعاً ولا سيما بشبابنا وبناتنا . لنرجع الى طهارة السيرة المسيحية، الى طهارة الآباء والاجداد فنرجع الى سعادتهم في هذه الدنيا رغم ما كانوا عليه من الفقر ويعانونه من الاضطهاد ونرجع بنوع اخص الى الواسطة الوحيدة للراحة والسعادة في الآخرة . امين

العظة الخامسة

البخل

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٣١ اذار سنة ١٩٣٣

موجز العظة

المقدمة

محبة المال علة كل الشرور

الجزء الاول : شرور البخل في هذه الدنيا

البخل يبلبل حياة العائلة – البخل يسبب شروراً كثيرة في الحياة الادبية – البخل كان سبب البلشفيكية

الجزء الثاني : شرور البخل في الاخره

في هذا الليل توخذ منك نفسك وهذه لمن تكون ؟ – «مات الغني ودفن في جهنم» – الغنى مع البخل يجعل الانسان يعبد المال – واسطة خلاص الاغنياء بالصدقة على الفقير

الجزء الثالث : دواء البخل « الصدقة والاحسان »

اساس الكمال المسيحي الاحسان الى الفقراء – الصدقة ضرورية للخلاص للمسيحيين العاديين – لاخلاص للغني الا بواسطة الفقير – الفقراء هم اخوة السيد المسيح – فليتصدق كل حسب مكنته

المقدمة

محبة المال علة كل الشرور

يقول الحكيم في الكتاب المقدس ان علة كل الشرور هي محبة المال. فمحبة المال تحملنا على البخل لان البخل هو محبة مفرطة للمال تجعلنا ان نفضله على كل شيء حتى على الله ذاته، فنتعدى شرائعه ونخالف وصاياه حباً للمال. وهذه الرذيلة اصبحت سبباً لشرور عديدة في هذه الدنيا وفي الآخرة. فنريد في هذا المساء ان نبين لكم اولاً شرور البخل في هذه الدنيا وثانياً شروره بنوع اخص في الآخرة. وثالثاً الدواء الناجع للتخلص منه وهو الاحسان الى الفقراء

الجزء الاول: شرور البخل في هذه الدنيا

البخل يبلبل حياة العائلة

تعود شرور البخل الى ثلاثة هي شر عائلي فأدبي فاجتماعي. ففي العائلة تقع خصومات ومنازعات بين الرجل والمرأة وبين الاب والاولاد فيؤدي البخل بالمرأة او الى ترك سنة الزواج او الى فظائع تنتهي احياناً بالقتل، ويؤدي بالاولاد الي عدم احترام والديهم والى السرقة. ومتى تعودوا السرقة في العائلة تعودوها خارجاً عنها. وعندما نطلع على تفاصيل تلك الذنوب

الفظيعة من قتل والدين او قتل اولاد لا نجد لها غالباً من سبب سوى البخل

سرد هنا الخطيب قصصاً واقعيـة عن آباء قادهم البخل الى قتل اولادهم جوعاً بسبب بخلهم ، فافقدهم حب المال كل حنان طبيعي . ثم روى اخبار اولاد قتلوا آباءهم ليتخلصوا من بخلهم

البخل يسبب شروراً كثيرة في الحياة الادبية

فاذا كان البخل يسبب هذه البلبلة في العائلة فما افظع نتيجته في حياتنا الادبية مع القريب :

منازعات وخصومات على حدود وتخوم . طمع وسرقة . هضم حقوق الغير . اهتضام حقوق الارامل والايتام طمعاً بزيادة الثروة بالحرام . واخيراً انتقام بالاهانـة والضرب حتى القتل . وما نتصوره مبالغة في تمثيل الروائيين للبخلاء ما هو لسوء الحظ الا دون الحقيقة الواقعية وكلنا نعرف بالاختبار عند ملاحظة البخلاء كم يجني البخيل على ذاته وعلى عائلته وعلى معاشريه .

البخل كان سبب البلشفيكية

وفي الهيئة الاجتماعية ، اذا نظرنا الى الضربة الهائلة التي حلت على العالم بروح البلشفيكية فلا نجد لها من سبب الا استئثار الاغنياء ذوي رؤوس المـال بالارباح والمنافع وظلم العمال الذين لا ينالون لقاء اتعابهم ما يكفي حاجات عيالهم ،

مع ان الارباح هي نتيجة اشتراك راس المال واليد العاملة. فلو تبع الاغنياء المبادىء المسيحية بتوزيع قسم من ارباحهم على عمالهم، كما فصّل ذلك المطوب الذكر البابا لاوون الثالث عشر، لنجونا من هذه الآفة الاجتماعية التي تهدد الكون كله بالخراب

فالبخل هو اصل كل هذه الشرور ولكن شروره في هذه الدنيا ماهي بشيء بالنسبة الى الشرور التي تكون نتيجته في الآخرة

الجزء الثاني : شرور البخل في الآخرة

في هذا الليل تؤخذ منك نفسك وهذه لمن تكون؟

ان السيد المسيح هو الذي فصّل لنا عواقب البخل الوخيمة في الحياة الاخرى فصور لنا يأس البخيل الذي يرغم ساعة الموت على ترك امواله في هذه الدنيا فضرب لنا مثل ذلك الغني الذي جمع اغلاله في اهرائه وأخذ يحدث ذاته قائلاً : يا نفسي كلي واشربي وتنعمي فان لك خيرات كثيرة لسنين عديدة واذا بصوت الرب يقول له : في هذه الليلة تؤخذ منك نفسك وهذا الذي اعددته لمن يكون؟

فما اعظم هذه الضربة على البخلاء الذين يتركون هذه الدنيا وقلوبهم معلقة باموالهم. فهي تتركهم وهم يتمسكون بها وورثتهم يتقاسمون هذه الاموال بين الخلاف والنزاع ولا يربح البخيل غالباً سوى اللعنة التي تتساقط عليه من ورثته

« مات الغني البخيل ودفن في جهنم »

لكن شرور البخل لا تنتهي في هـذه الدنيا فاسمعوا المخلص الالهي يصف لنا ذاك الغني البخيل الذي كان يلبس البز والارجوان ويتلذذ متنعماً على موائـده الفاخرة . وعلى بابه مسكين اسمه لعازر مبتلٍ بامراض عديدة حتى ان الكلاب كانت تلحس قروحه وهو يتضور جوعـاً ويشتهي ان يملأ جوفه من الفتات المتساقط عن مائدة ذلك الغني ولم يعطه احد

فماذا كانت النتيجة ؟ اسمعوا ما قاله السيد المسيح : « مات الغني ودفن في جهنم . ومات لعازر ونقلته الملائكة الى حضن ابرهيم . فالتفت الغني عن بعد ، وعندما رأى لعازر المسكين في حضن ابرهيم ، تذكر انـه هو كذلك ابن ابرهيم واخو لعازر فصرخ : يا ابت ابرهيم ارسل لعازر ليبل طرف اصبعه بالماء ويرطب به لساني لاني معذب في هذا اللهيب »

يا ايها الغني البخيل ماذا تقول ؟ انت الذي كنت تأنف ان تنظر الى لعازر ، انت الذي كنت تبتعد عنه خوفاً من نتانته ، انت الذي كنت تسد انفك لئلا تشم رائحته الكريهة انت ترضى الان ان تمتص طرف اصبع لعازر لتبلل به لسانك ؟

نعم ، يقول الغني ، ارضى بذلك ويا حبذا لو كنت انال هذه النعمة ! لكنها لا تعطى له فاسمعوا جواب ابرهيم : « يا ابني تذكر انك قد نلت خيراتك في حياتـك ولعازر

بلاياه . فبينا يستريح هو الان تتعذب انت . ان بيننا وبينكم هوّة عظيمة فلا يستطيع احد منكم ان يعبر الى هنا ولا احد من هنا اليكم »

هذه هي آخرة البخل : عذاب وشقاء في جهنم « قد نلت خيراتك في حياتك فالان انت تتعذب »

الغنى مع البخل يجعل الانسان يعبد المال

وما يجعل الغني البخيل، اذا ما اصرّ على ضلاله، في اليأس من خلاصه هذه الكلمة الهائلة : « انه لاسهل على الجمل ان يدخل في ثقب الابرة من ان يدخل الغني ملكوت الله » فيا لهول هذه الكلمة يا اخوتي ! فهل هي مبالغة ام حقيقة ؟ كيف يكون اسهل على الجمل مع ضخامة جسمه ان يدخل ثقب الابرة من ان يدخل الغني ملكوت الله ؟ نعم انها لحقيقة بما انها خارجة من فم الحق ذاته . فلا تعجبوا لان الغنى مع البخل يجعل الانسان يعبد المال بدلا من الله ومن لا يعبد الله كيف يمكنه دخول السماء : « لا تستطيعون ان تعبدوا ربين الله والمال »

فالغني البخيل يتكبر على الله فيحتقر وصاياه ويتعدى نواميسه . فكم من الاغنياء نراهم يهزون رؤوسهم عند ما ننصحهم ان يتمموا واجباتهم نحو الله فيسخرون بالله وبهذه الواجبات ويقولون بلسان حالهم على نحو الملاك المستعصي : « ارفع عرشي فوق العلي واقول لا اعبد » فيكون نصيبهم

نصيب اولئك المتمردين في جهنم

فالغني البخيل يتلذذ متنعماً وما وراء التلذذ سوى الدنس كما رأينا في المرة الماضية « والدنسون لا يدخلون ملكوت الله » على ما قال مار بولس الرسول

فاذا كان الامر كذلك فهل يجب ان نقطع الرجاء من خلاص الاغنياء ؟

واسطة خلاص الاغنياء بالصدقة على الفقير

لا يا اخوتي فان لكل طبقة واسطة للخلاص. ولطبقة الاغنياء واسطة خاصة بدونها لا خلاص لهم وهي سخاء اليد بالصدقة على الفقراء والمساكين، اقلما يكون، بما يفضل لديهم عن حاجتهم

الجزء الثالث : دواء البخل الصدقة والاحسان

اساس الكمال المسيحي الاحسان الى الفقراء

في الحياة المسيحية حالتان : حالة الكمال بترك العالم، والحالة العادية بالحياة المسيحية في العالم. وشرط الخلاص للحالتين الاحسان الى الفقراء

لمَّا سأل شاب غني سيدنا يسوع المسيح قائلًا : ماذا ينقصني لاكون كاملًا ؟ اجابه الرب : « اذهب فبع كل مقتناك واعطه المساكين وتعال فاتبعني » فنرى من هنا ان اساس الكمال المسيحي هو اعطاء مالنا للمساكين واتباع سيدنا يسوع المسيح. لذا جعلت الكنيسة المقدسة نذر الفقر ركناً للحياة الرهبانية

وجعلت الصدقة على المساكين شرطاً الزامياً لكل مؤسسة دينية. فبينا نرى العالم يسد ابوابه في اوجه الفقراء في هذه الازمة الخانقة التي تذكرنا ابتداء المجاعة في الحرب الكونية، نرى المؤسسات الدينية وحدها تفتح ابوابها لهؤلاء المساكين فتوزع عليهم الصدقات حسب مكنتها، رغم ما انتابها من الضيق كغيرها. والويل لها ان لم تصنع ذلك لانها اذ ذاك تضاد روح السيد المسيح الذي قال لكل فرد من اتباعها: «ان شئت ان تكون كاملاً، فاذهب فبع كل مقتناك واعطه المساكين»

الصدقة ضرورية للخلاص للمسيحيين العاديين

لكني اخالكم تنظرون اليّ وتقولون: نحن لم ندع الى حالة الكمال حتى نلتزم بالصدقة لان الله دعانا الى الحالة الاعتيادية في الحياة المسيحية وامرنا ان نجتني الخيرات للقيام بحاجات عيالنا. فيا مسيحيون، لا تظنوا انكم معفون من الصدقة بحجة عدم دعوتكم الى الكمال المسيحي. لان الصدقة حيث تكون ممكنة هي واسطة ضرورية لخلاص جميع المسيحيين. وهذا امر واضح من تعليم السيد المسيح فانه عزّ وجل في وصفه للدينونة الاخيرة نسب هلاك الاشرار الى عدم الاحسان وخلاص الابرار الى تتميم هذا الواجب. قال تعالى: «فيلتفت الملك الى الجداء عن شماله ويقول لهم: اغربوا عني ياملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس وملائكته. لاني جعت ولم

تطعموني، وعطشت ولم تسقوني، وكنت عرياناً ولم تكسوني وكنت مريضاً ومحبوساً ولم تفتقدوني. فيجيبه هولاء اي متى يا رب رأيناك جائعاً او عطشاناً او مريضاً او محبوساً ولم نخدمك. فيجيبهم: ان ما لم تفعلوه باحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوه. ويلتفت الى الخراف عن يمينه قائلاً: تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم لاني جعت فاطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت عرياناً فكسوتموني ومريضاً ومحبوساً فافتقدتموني. فيقول له هؤلاء اي متى يا رب رأيناك هكذا واسعفناك. فيجيبهم الملك: ان كل مافعلتموه باخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه»

ويختم سيدنا يسوع المسيح كلامه بهذه النتيجة: «فيذهب هؤلاء الى السعادة الابدية واولئك الى الهلاك الابدي»

لا خلاص للغني الا بواسطة الفقير

فمن هذا التعليم ينتج حقيقتان: الاولى ان لا خلاص للغني الا بواسطة الفقير. فعلى الغني ان يخلص الفقير من بؤسه بواسطة الصدقة، والفقير يشفع بالغني ليخلص نفسه وبدونه لا خلاص للغني. وهذا ما عناه السيد المسيح بقوله: اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم

الفقراء هم اخوة السيد المسيح

والحقيقة الثانية: هي عظمة الفقراء في نظر الدين المسيحي فهم

اخوة سيدنا يسوع المسيح : « كلما فعلتموه باحد اخوتي هولاء الصغار فبي فعلتموه » ومن اعطى الفقير صدقة فقد اعطاها السيد المسيح ذاته . فما اعظم تعزيتكم ايها الفقراء ، فان مقامكم عظيم في الكنيسة ، وانكم تمثلون يسوع المسيح نفسه على الارض . فمن اكرمكم اكرمه ومن احتقركم احتقره . فحافظوا على هذا المقام واقتدوا بالسيد المسيح الذي اختار الفقر دون الغنى في حياته ليكون بنوع خاص قدوة الفقراء ليمارسوا فضائله السامية ويرضوا بحالتهم ويشكروا الله عليها ؛ لانها تسهل لهم طريق الخلاص . وانتم يا اخوتي الاغنياء ، لا تقطعوا الرجاء من الخلاص بل الجئوا الى الوسطة الوحيدة التي جعلها السيد المسيح لكم سلماً للسماء . فالصدقة تخلصكم من الهلاك

فليتصدق كل حسب مكنته

وكلكم يا اخوتي اعمدوا الى هذه الواسطة الضرورية لخلاصكم وليتصدق كل حسب مكنته . فالقيمة ليست باعطاء المبالغ الطائلة بل بالنية الصالحة . فان فلس الارملة كان له في عيني السيد المسيح شأن اعظم من المبالغ الكبيرة التي كان يلقيها الاغنياء في الخزانة ، لان هولاء كانوا يحسنون من فضلاتهم واما تلك فانها اعطت كل ما تملكه . وتأكدوا ان ذاك الذي لا يضيع اجر من يسقي الفقير كاس ماء بارد هو يحفظ اجركم ويجازيكم بفرح القلب في هذه الدنيا والغنى الدائم في الملكوت السماوي . امين

العظة السادسة

الكسل

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٧ نيسان سنة ١٩٣٣

موجز العظة

المقدمة

« اخرجوا العبد البطال الكسلان الى الظلمة البرانية »

الجزء الاول : الكسل

الكسل خطيئة الشرقيين الخاصة – الكسل يجعل شيبتنا تخجل من المظاهرة بالدين – كسل الارادة يعلم الشبان الرذيلة – الكسل يعلمنا اهمال الواجب – الكسل في الاكليروس وفي مأموري الحكومة – الكسل حول لبنان من جنة غناء الى قاع صفصف

الجزء الثاني : دواء الكسل « النشاط »

النشاط وحده يداوي جميع شرور الكسل – مثال النشاط يسوع الفاعل, يسوع المبشر – قدوتنا في النشاط الرسل والشهداء والرهبان المرسلون – اباؤنا وجدودنا خير مثال لنا في النشاط – لا تستقل البلاد الا بالنشاط والعمل – عسى جميع اللبنانيين ان يتنشطوا

المقدمة

اخرجوا العبد البطال الكسلان الى الظلمة البرانية

انهى السيد المسيح مثل الوزنات بهذا الكلام : « وأخرجوا العبد البطال الكسلان الى الظلمة البرانية، هناك يكون البكاء وصريف الاسنان » هذا ما يدلنا على فظاعة الكسل، آخر الخطايا الرئيسية . لذا نريد ان نشرح لكم في هذا المساء نتائج الكسل الوخيمة، عسانا ان نجد في النشاط شفاءنا من هذه الرذيلة

الجزء الاول : الكسل

الكسل خطيئة الشرقيين الخاصة

نستميح العذر اذا قلنا حقيقة جارحة : ان الكسل هو خطيئة الشرقيين الخصوصية . فنرى الكسل اولاً في روح الدين . فروح الدين لا يقوم فقط بالاعتقاد الداخلي الذي يوصلنا احياناً ، في هذه البلاد، الى التعصب الذميم وكره من لا يدين بديننا ، بل بالعمل بموجب عقائد الدين . فالكسل يجعلنا نهمل هذه الواجبات حتى لا نزعج ذواتنا فنهمل سماع القداس يوم الاحد، مستغرقين في النوم، بحجة الراحة . نهمل الواجبات الفصحية، لئلا نكلف ذاتنا الانتصار على بعض الصعوبات في الاعتراف الى آخر ما هنالك من الواجبات الدينية التي

نهملها ، ليس لعدم الاعتقاد بضرورتها ، بل كسلاً وتهاوناً وبدون ما عذر حقيقي

الكسل يجعل شبيبتنا تخجل من المظاهرة بالدين

روح الدين يلزمنا ان نناضل وندافع عن ديننا دون حياء بشري ، متذكرين قول السيد المسيح : « من يعترف بي قدام الناس اعترف به قدام ابي الذي في السماء ومن ينكرني قدام الناس انكره قدام ابي الذي في السماء » فاسألكم ، يا اخوتي ، خصوصاً انتم يا ايها الشبان ، لو ثار ثائر الاضطهاد ، في هذه الايام ، مثل الايام السالفة ، فمن منكم يثبت في دينه وانتم تخجلون ان تتظاهروا بعقيدتكم امام شبان مثلكم يسخرون من عقائد الدين ؟ وخوفاً من ان يكلفكم الامر بعض انزعاج في المضادة ، او بعض العداء في الصداقة ، ترضون باهانة دينكم ولا تنبثون ببنت شفة

كسل الارادة يعلم الشبان الرذيلة

روح الدين يحملنا على تتميم الايمان بالاعمال . والعمل في الدين المسيحي هو ممارسة الفضيلة . واي شاب في هذه المدينة لا تجره الامثال الرديئة الى الفساد ، رغماً منه ؟ هذا بادىء الامر . فيكون الشاب طاهر القلب راغباً في حفظ طهارته عملاً بوصية الله ، لكن رفيقاً وقحاً يسخر به وبفضيلته ، لان الشرير يتباهى بشره ، والصالح يخجل من صلاحه . ولكي

يتخلص من بعض مساخر ، ينقاد الى الشر لا عن رداءة بل عن كسل في الارادة . وبعدئذ لدى تكرار الاعمال تكتسب العادة ، ومن كنا نظنهم ذوي فضيلة ، نراهم منغمسين في الشر والفساد ، ونعجب من هذا الانقلاب ولا نجد له سبباً سوى كسل الارادة

الكسل يعلمنا اهمال الواجب

الكسل يجعلنا ثانياً نهمل روح الواجب . الواجب العائلي يفرض على الاباء السهر على اولادهم ، والكسل يحملهم على اهماله . ويا للفظاعة ! يعتذر هؤلاء الآباء عن كسلهم بقولهم : ان الشبيبة يجب ان تتلذذ ! وما نقوله عن الاباء نقوله عن ارباب المدارس ، فالبعض منهم بكسلهم وقلة سهرهم على الشبيبة المسلمة الى عنايتهم ، يحولون مدارسهم التي غايتها التهذيب باقتباس الفضيلة ، الى وكر فساد يتعلم فيه الشاب ضروب الشر باختراعات غريبة لم يعرفها شباننا قبل المدارس

الكسل في الاكليروس وفي رجال الحكومة

وهل نعفى نحن طغمة الاكليروس من الانتقاد على كسلنا ؟ فكم من الكهنة يبتدئون خدمتهم بنشاط ، ولا تطول المدة حتى يتسرب روح الاهمال اليهم فيفضلون الراحة على التعب واذا دعاهم واجب مزعج يتكرهون ويتأففون . ورويداً رويداً يسقطون في وهدة الكسل ويضيعون كل غيرة وكل نشاط

في حقل الرب ناسين ما قاله الله بفم نبيه : انني اطلب منك كل نفس تهلك من شعبي . وهل تنسبون الينا التغرض بعد ما قلناه عن الاكليروس ، اذا تكلمنا عن كسل مأموري الحكومة ؟ فلا بد ان يوجد بعضهم بين السامعين . فمن الضروري ان نفهمهم واجبهم . فالكسل لا الرداءة هو الذي يحمل الكثيرين على سوء الادارة والخراب الناتج عنه . الكسل اكثر من الرداءة يحمل القضاة على اصدار احكام جائرة لانهم لم يكلفوا انفسهم عناء الدرس والتعمق في الدعاوى المرفوعة اليهم . الكسل يحمل المحامين على ان يهملوا دعاوى موكليهم فيخسرونها ويسببون لهم الاضرار الجسيمة

الكسل هو الذى يجعل الاطباء يقتلون مرضاهم لاهمالهم الدرس او فحص المرض

الكسل حول لبنان من جنة خضراء الى قاع صفصف

الكسل هو الذي جعل جبالنا قاعاً صفصفاً بعد ان تركها لنا الاباء والاجداد جنة غناء . فشبابنا اصبحوا يأنفون الشغل المتعب ويريدون ان يعيشوا بسعة وبحبوحة متلذذين متنعمين . فلا عجب اذا كنا وصلنا الى هذا التقهقر والخراب . فقد اردنا ان نضاهي ابناء الغرب برفاههم دون ان نقتدي بنشاطهم فالنشاط هو الدواء المنشود للتخلص من افات الكسل

الجزء الثاني : دواء الكسل « النشاط »

النشاط وحده يداوي جميع شرور الكسل

ان المسيحي الحقيقي هو الذي يتاجر بالوزنات المعطاة له من قبل الله فيستحق المجازاة كما استحقها الفعلة النشيطون من قبل سيدهم . فالنشاط يحمل المسيحي على تتميم واجباته الدينية دون ان ينقص منها شيئاً

النشاط يحمل المسيحي على الاقرار بالايمان جهراً والمناضلة عنه حتى سفك الدم عند الاقتضاء

النشاط يحمل الشبان على مقاومة الامثال الرديئة بممارسة الفضيلة والتقيّد بالآداب المسيحية

النشاط يشعل في الافئدة حب الواجب فيحمل الآباء على تربية اولادهم والسهر عليهم

النشاط يجعل ارباب المدارس لا يتركون وسيلة مهما كلفهم الامر تعباً وعناء لحفظ الوديعة المقدسة التي اؤتمنوا عليها من قبل الله ومن قبل الاباء والامهات

النشاط يوقد الغيرة في قلوب الكهنة ليبذلوا العناية في خلاص النفوس

النشاط يحمل الحكام على التدقيق في تسيير الامور العمومية . فبفضل نشاطهم تسعد البلاد ويسود فيها العدل والامن والرفاه

النشاط يحمل ارباب المصالح على اتقان العمل في وظائفهم وخدمة من يلجأون اليهم

النشاط يُرجع الى هذه البلاد النجاح والتقدم والعمران بارجاع شبيبتنا الى روح الشغل والعمل في اراضينا لانه لم يعد لنا من حياة ولا مورد الا من شغل الارض مع الاستفادة من الطرق الحديثة لاستغلالها

مثال النشاط : يسوع الفاعل يسوع المبشر

واذا اردتم مثلًا لهذا النشاط ارفعوا الحاظكم الى سيدنا يسوح المسيح الذي علمنا النشاط في حياته الخفية بشغل النجارة حيث بلل آلات عمله بعرق جبينه مدة ثلاثين سنة . علمنا النشاط في حياته العمومية عندما كان يجول في القرى والمدن يبشر بالانجيل ويصنع الخير . علمنا النشاط في آلامه عند اقتحامه الموت بسفك دمه على الصليب

قدوتنا في النشاط : الرسل والشهداء والرهبان والمرسلون

علّمنا النشاط من بعده الرسل فانهم نبذوا الضعف والكسل عند حلول الروح القدس عليهم وخرجوا من العلية للتبشير بهمة لا تعرف الملل وكانوا يحسبون انفسهم سعداء عندما يضطهدون لاجل اسم يسوع صارخين وقائلين : لا نقدر الا ان نتكلم بما رأينا وبما سمعنا

علمنا النشاط بولس الرسول الذي جاب الارض برًّا وبحراً ثلاث مرات ليبشر بيسوع المسيح

علمنا النشاط الشهداء الذين اقتحموا العذابات لاجل اسم المسيح ، ودماؤهم التي ارتوت منها الارض كانت زرعاً تنبت الالوف من المسيحيين

علمنا النشاط الآباء الذين ناضلوا عن الايمان بمواعظهم ومؤلفاتهم وحفظوا الكنيسة من المخاطر المحدقة بها

علمنا النشاط اولئك الرهبان الذين حرثوا ارض اوربة ومدنوا اهاليها بروح الشغل فاصبحت تلك القارة الصغيرة تدير الكون كله

علمنا النشاط اولئك المرسلون الذين هذبونا وعلمونا فتلقنا علومهم ولكننا لم نقتد بامثال نشاطهم . فلماذا لا تقتدون يا شبان بابناء ذلك القائد الشهير ، اغناطيوس دي لويولا الذي نظم رهبانيته نظاماً عسكرياً جعلهم في مقدمة جنود الكنيسة للمناضلة عن الدين والمدافعة عن الكثلكة والمحافظة على الاداب الصحيحة ؟ فلا يرون ثلمة الا اقتحموا الاهوال لسدها ولا يرون خطراً الا تسارعوا لدرئه . وعلى مثال الرسل الاولين اذا اضطهدوا في مدينة ذهبوا الى اخرى ناشرين لواء النشاط المسيحي في كل انحاء المعمور

علمنا النشاط ابطال فرنسة الذين عرفنا بعضهم فكانوا مثال الهمة والغيرة في حفظ الدين والآداب ، في حسن الادارة ،

في السهر على مصالح البلاد، فساد الامن والعدل والرفاه في هذه الديار التي لا تزال تذكرهم بالخير وتقدس بهم اسم فرنسة

اباؤنا وجدودنا خير مثال لنا في النشاط

علّمنا النشاط الآباء والاجداد الذين طحنوا صخور هذا الجبل وجعلوا منها تربة صالحة للزراعة محولين اراضيها الوعرة الى جنة غناء كانت موضوع اعجاب السائحين ولا تزال اثارها موضوع شجب لاولادهم لانهم اضاعوا بكسلهم ثمرة نشاط آبائهم

اه يا اخوتي، يا ابناء لبنان، كم كنت اريد، على مثال السيد المسيح، ان اجمعكم كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها واطير بكم الى المستوى العالي الذي وصل اليه آباؤكم في القديم، الى المستوى العالي في الدين والآداب، الى المستوى العالي في الكد والجد لانجاح البلاد، الى المستوى العالي في الوظيفة الحقة التي تحملنا على تضحية المصالح الشخصية للمصلحة العمومية

لا تستقل البلاد الا بالنشاط والعمل

نتغنى بالوطنية ونطلب استقلال هذه البلاد في قصائدنا الرنانة وخطبنا الفصيحة ولا نعمل شيئاً لادراك هذه الامنية. ونتكل على غيرنا عوض ان نتكل على ذواتنا. نريد الاستقلال ونطلب من غيرنا ان يطعمنا خبزاً. نريد الاستقلال ونطلب

من غيرنا ان يحمي ديارنا . نريد الاستقلال ونطلب من غيرنا ان يشتغل عنا بينما نحن مستسلمون الى كسلنا واهمالنا . فبلاد هذه مزاياها لا تستحق الاستقلال بل الاستعباد السافل

على جميع اللبنانيين ان ينشطوا

يا حبذا لو كان صوتي يصل الى كل اللبنانيين فيتقدون غيرة ونشاطاً للاتكال على نفوسهم، لحماية ذمارهم، للعناية باشغالهم، على مثال من اردنا ان يكونوا منتدبين علينا فنقتدي بنشاطهم ووطنيتهم لاسعاد البلاد ونجاح الافراد

كم كنت اود أن اسمع صوتي لسائر اللبنانيين حتى يقتدوا بالآباء والاجداد بتهيئة الطريق الى الوطن السماوي، في حفظ روح الدين وسلامة الآداب، فيستحق كل منهم ان يُطبَّق عليه قول السيد المسيح عن ذلك العبد النشيط الذي يقلده سيده خدمته ليعطي الطعام في حينه : « طوبى لذلك العبد الذي يأتي سيده فيجده فاعلًا هكذا . الحق اقول لكم انه يقيمه على كل ما له »

مواعظ صوم

١٩٣٤

وسائط الخلاص

أ في الصلاة

القيت كلها في كاتدرائية بيروت المارونية

وعد الغد

٦٣٩١

بنك الخليج

تكافل

تمنى الا تعيد تمثالا في اول تشرين

العظة الاولى
في
النعمة الالهية

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٦ شباط سنة ١٩٣٤

موجز العظة

المقدمة

ضرورة النعمة لتقوية الطبيعة

الجزء الاول : ما هي النعمة الالهية

يشبه الانسان غلة – النعمة هي مساعدة فائقة الطبيعة – للانسان ثلاث حالات : حالة الضعف، وحالة النعمة، وحالة التسلح بالنعمة، للجهاد – امثال مسيحية

الجزء الثاني : نوعا النعمة

النعمة اما مبررة واما حالية – سر العماد يمنحنا النعمة المبررة وكذلك سر التوبة – النعمة الحالية تساعدنا على مقاومة الشر

الجزء الثالث : وسائط النعمة

الصلاة والاسرار – العماد للنفس كالولادة للجسم – الافخارستيا يغذي النفس كما يغذي الطعام الجسد – ضرورة الدرجة والزواج – مسحة المرضى آخر مقوّ للنفس – فلسفة الحياة المسيحية تنحصر بثلاثة : ايمان، ووصايا، وصلوة مع اسرار – حفظ الوصايا دون الوسائط محال

المقدمة

أبان صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك في المواعظ التي القاها الاعوام الفائتة ان اساس الخلاص هو حفظ الوصايا، شارحاً هذه الوصايا، مظهراً سهولة حفظها لمن يريد ذلك ارادة حقيقية

ضرورة النعمة لتقوية الطبيعة

« لكن الانسان اذا تُرك لقواه الطبيعية بعد الخطيئة الاصلية اصبح كسفينة صغيرة تمخر البحار، واذا بالارياح تهب من كل جهة وتهيج الامواج حولها وتلاطمها من كل جانب وتجعلها في خطر الغرق

« هكذا الانسان بينما يجتاز هذه الحياة تهب بغتةً حوله ريح الشهوات وتهيج امواج الرذيلة من كبرياء ودنس وحقد وحسد وبغض، فتضعضع ميزان العدل وقوة الارادة، ويصبح المسكين منجذباً بكل قواه الى الشر . فعبثاً نحاول اذ ذاك تشجيعه بمثال السيد المسيح، فانه يعتذر لسقوطه محتجاً بضعفه، وكأني به يقول : ان المسيح اله وفيه قوة الهية ونحن لسنا بآلهة

« وهنا الغلط، لان الله يداوي الضعف البشري بقوة مستمدة منه وهذه القوة، التي نُعطاها دائماً للانتصار على الشر وعمل الخير، هي النعمة الالهية، التي رأينا ان نشرح لكم هذا المساء ماهيتها وانواعها ووسائطها بنوع عمومي »

ثم التفت الخطيب الى السيد المسيح وطلب هذه النعمة لتنوير العقول وتحريك القلوب وتقوية الارادات

الجزء الاول : ما هي النعمة الالهية

يشبه الانسان نملة

ابتدأ سيادة الخطيب بوصف « نملة صغيرة تحمل حملاً كبيراً وتجره لتصل به الى وكرها ومقر شتائها ولكنها عند اصغر حصاة او اقل نسمة ريح ترجع الى الوراء وتعود الى حيث كانت فاذا اشفق عليها الناظر اخذها بيده وحملها الى باب الوكر بلحظة عين

« هذه هي حالة الانسان فانه يقصد الى مقره السماوي حاملاً حملاً ثقيلاً ، حمل الجسد ، وعندما يشرع في الصعود يلتقي بصخور التجارب من قبل الشيطان والعالم ، وتساوره اميال الجسد فترجعه الى الوراء ، لكن يداً قوية ، هي يد الله تحمله وتتقدم به الى الامام ، وهذه اليد هي النعمة الالهية

النعمة هي مساعدة فائقة الطبيعة

« فالنعمة هي مساعدة فائقة الطبيعة يعطيها الله الانسان لكي ينتصر على الشر ويعمل الخير . وهذا التعليم يوضحه الاختبار اليومي . وقد صرح عنه سيدنا يسوع المسيح بقوله : « بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً » بل يقول القديس بولس : « بدون نعمة يسوع لا نستطيع ان نلفظ اسم يسوع كما يجب »

للانسان ثلاث حالات : حالة الضعف ، حالة النعمة ،
حالة التسلح بالنعمة للجهاد

وقد صور لنا هذا الرسول المراحل الثلاث التي يجتازها الانسان في جهاده . فشرح لنا الضعف الطبيعي بعد الخطيئة الاصلية وانهى كلامه قائلًا : « من يخلصني من جسد الموت هذا لاني اشعر في جسدي بسنة تأسرني تحت سنة الخطية . فالويل لي ما اتعسني ، لان الخير الذي اريده لا افعله والشر الذي لا اريده اياه افعل . . . . وقد طلبت من سيدي ان يحلني من رباطات هذا الجسد لا تصل به »

« هذه هي المرحلة الاولى مرحلة الضعف الذي قد يميل بالانسان الى القنوط من خلاصه ، لكن نعمة الله تأتيه وتعضده ، كما وقع للقديس بولس ، حيث اجابه السيد المسيح قائلًا : « تكفيك نعمتي » . وهذه هي المرحلة الثانية مرحلة النعمة .

« وكأني بالانسان اذ ذاك ينسى نوعاً ما ضعفه فيصيح قائلا مع الرسول : اني قوي بنعمة من يقويني . فانهُ لا موت ولا حياة ولا علو ولا عمق ولا قوة ولا سلاطين ولا هذه الامور الحاضرة ولا المستقبلة تقدر ان تفصلني عن محبة سيدي يسوع المسيح » تلك هي المرحلة الثالثة ، مرحلة التسلح بالنعمة للجهاد الصادق »

امثال مسيحية

ثم دعم الخطيب تعليمه هذا بامثال شهيرة اقتطفها من سير القديسين ، كزكا العشار ، ومريم المجدلية ، وبطرس بعد انكاره يسوع ، وشاول المضطهد بعد ظهور السيد المسيح له في طريق دمشق ، وانطونيوس الكبير بعد سماعه الآية الانجيلية التي حملته على هجر العالم وغيرهم كثيرين ، مما يبين جلياً ان النعمة الالهيـة هي الحياة المسيحية بالذات . فلا فضيلة ولا عمل خير ولا انتصار ولا قهر ميل ولا عمل مفيد للخلاص بدونها

فالنعمة للنفس هي كالنفس للجسد فهي مصدر حياتهـا ومن هذا التشبيه تخطّى سيادته الى الكلام على نوعي النعمة

الجزء الثاني : نوعا النعمة

النعمة اما مبررة واما حالية

ان اللاهوتيين في شرحهم النعمة يجدون لها انواعاً عديدة يفصلونها باسهاب ، فاقتصر الخطيب على اثنين يهمان جميع المسيحين

« ففي حياة الجسد تلاحظ حالة الحياة ومغذيات الحياة كالاكل والشرب والتنفس وما شاكل ، هكذا في حياة النفس تلاحظ حالة الحياة المستمرة وهي النعمة المبررة التي تجعلنا في حالة الصداقة مع الله والاتحاد به مما يكمّل في الآخرة بحياة المجد . فهذه الحالة هي الحالة الاولى التي خلق الله فيها الانسان وهيأه

بها لينتفل بدون موت الى الحياة الاخرى . لكنه بعد سقطته في الخطيئة الاولى حُرم هذه النعمة المبررة ، وبالنتيجة حُرم حياة المجد واصبح رهن غضب الله وتحت عبودية الشيطان وهذا التعليم هو من الايمان وقد اوضحه لنا المجمع التريدنتيني وحدده ومن انكره كان محروماً

سر العماد يمنحنا النعمة المبررة وكذلك سر التوبة

« على ان سيدنا يسوع ارجع لنا النعمة المبررة بواسطة سر العماد . وحتى تدل الكنيسة على مفعول سر العماد في نفس الطفل جعلت له مقدمة التقاسيم الشهيرة التي تطلب بها ان يخرج الروح النجس من نفسه (اي نفس الطفل) . وهذه التقاسيم يرتقي عهدها الى اوائل الكنيسة ويتكلم عنها القديس كبريانوس ويستند الى استعمال الكنيسة لها لاثبات حقيقة الخطيئة الاصلية التي نرثها من ابينا آدم . واذا ما اقتبل الطفل سر العماد خرج منه طاهراً نقياً لا عيب فيه ولا دنس كما خرج آدم من يد الله

« لكن لسوء الحظ قليلون هم الذين يثبتون في برارة العماد ولولا رحمة الله لكان عدد الخالصين لا يتجاوز عد الاصابع . فلكي نستعيد نعمة التبرير رسم لنا سيدنا يسوع المسيح سر التوبة . والمسيحي لا مفر له من المحافظة على هذه النعمة حتى يضمن لذاته حياة المجد التي هي كمال النعم

النعمة الحالية تساعدنا على مقاومة الشر

ولتغذية هذه الحياة اعطانا الله النعمة الحالية التي هي مساعدة خصوصية نعطاها عند الحاجة للانتصار على الشر ومقاومة التجربة وعمل الخير وممارسة الفضيلة . وهذه النعمة هي التي كان يجاوب عليها القديسون منقادين لها فكان الله يجازيهم بنعم اخرى وبهذه الواسطة كانوا يتقدمون كل يوم درجة فدرجة في سلم الكمال المسيحي ، بينما نحن نعطى النعم ذاتها فلا نلبي صوتها ، بل نصغي الى اميالنا ونطاوعها ونقاوم النعمة التي تحرضنا على الانتصار عليها فنسقط من شر الى شر حتى نصل الي دركات الجحيم . وهذا هو الفرق بيننا وبين القديسين ، فان الله يعطي الجميع نعمة كما انه يقدم للجميع الوسائط التي تعطي هذه النعمة

الجزء الثالث : وسائط النعمة

الصلاة والاسرار

« هذه الوسائط المعطاة لجميع المسيحيين هي الصلوة والاسرار فالصلوة تكون موضوع ارشاداتنا هذه السنة ، ونواصل شرح الاسرار في السنين المقبلة ان احيانا المولى .

النعماد للنفس كالولادة للجسم

ومن الان نريد ان نبين لكم كيف ان هذه الاسرار

هي لحياة النفس مقابلة لاعمال تشابهها في حياة الجسد . ففي حياة الجسد يدخل الانسان هـذه الدنيا بالولادة . فولادة النفس لحياة النعمة تتم بسر العماد . وللطفل الذي يولد تقتضى التربية ، فتربية النفس الروحية قائمة بسر الميرون الذي يعطينا الروح القدس مع غزارة انعامه ليقوينا في التجارب وينشطنا في اعمال الخير ويجعلنا مسيحيين كاملين

الافخارستيا يغذي النفس كما يغذي الطعام الجسد

« لبقاء الحياة الجسدية لا بد من التغذية ، فغذا النفس هو سر الاوخارستيا : » من يأكل جسدي ويشرب دمي يحيا فيّ وانا فيه وتستوجب صحة الجسد النظافة والادوية عنـد المرض ، فتنظيف النفس وتطبيبها يكونان في سر التوبة

ضرورة الدرجة والزواج

« وكما انه يقتضي للهيئة الاجتماعية المدنية سلطة تقودها ، هكذا للهيئة الاجتماعية الروحية تعطى السلطة بسر الدرجة . وكما ان الزواج هو الواسطة التي وضعها الله لدوام النسل فقد رفع السيد المسيح عقد الزواج الى منزلة سر ليقدسه ويعطي المتزوجين نعمة خصوصية لتربية اولادهم تربية مسيحية

مسحة المرضى آخر مقوّ للنفس

« وبما ان موت الجسد هو واسطة لانتقال النفس من هذه

الدنيا الى الآخرة فقد رسم السيد المسيح سر المسحة الاخيرة لتقوية النفس ضد التجارب والثبات في النعمة عند هذه المرحلة الهامة. هذه هي الوسائط التي وضعها السيد المسيح لاعطائنا النعمة

فلسفة الحياة المسيحية تنحصر بثلاثة : ايمان ، وصايا ، وصلاة مع الاسرار

ومن هنا يتضح لكم فلسفة الحياة المسيحية المؤلفة من ثلاثة اجزاء متكافلة متضامنة . فالايمان يدلنا على مبدأنا ومنتهانا وغايتنا الاخيرة في السماء ، والوصايا تدربنا في العمل للوصول الى هذه الغاية ، والصلوة والاسرار تولينا النعمة لنتمكن من حفظ هذه الوصايا

حفظ الوصايا دون الوسائط محال

فكما اننا نددنا في السنين الماضية باولئك الذين يكتفون بالوسائط دون ان يقرنوها بالعمل ، هكذا نوجه توبيخنا الان الى اولئك الذين يدعون في ضلالهم بانهم يحافظون على الوصايا غير مكترثين للوسائط التي رسمها سيدنا يسوع المسيح ، فهم على مثال الذين يحرضون على نظافة البيت ولا يستعملون الوسائط لهذه النظافة ، فتتراكم الاوساخ والاقذار في بيوتهم ، او بالاحرى هم نظير اولئك الفريسيين الذين شبههم سيدنا يسوع المسيح بالقبور المكلسة وداخلها النتانة . فلا تكونوا منهم يا اخوتي بل كونوا مسيحيين كاملين بالايمان والعمل

واستعمال الوسائط لنيل النعمة. ولا تحتجوا بفساد العصر الحاضر فالمسيحيون الاولون كانوا في عصر رومية وهو عصر دبّ فيه الفساد اكثر من عصرنا

ومع ذلك رأينا في حياتهم آية الطهارة والمحبة وسائر اعمال الفضيلة. وكانوا كالفتية الثلاثة في وسط النار، لا يحترقون لانهم دأبوا في استعمال الوسائط التي وضعها السيد المسيح فكانت تزيدهم نعمة فيزدادون نشاطاً»

وانهى سيادة الخطيب كلامه بصلوة حارة لحفظ الشبيبة من فساد العصر الحاضر بحملهم على الالتجاء الى الوسائط الفعالة لنيل النعمة، وبواسطة النعمة لحفظ الطهارة وممارسة سائر الفضائل لزيادة الاستحقاق وبلوغ الغاية في السعادة الابدية

العظة الثانية

الصلاة

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٢٣ شباط سنة ١٩٣٤

موجز العظة

المقدمة

الصلاة اول واسطة للخلاص

الجزء الاول : ما هي الصلاة

سهولة هذه الواسطة – ضرورتها – ما لك ايها الانسان ولم تأخذه ؟ – كبرياء لوسيفورس

الجزء الثاني : شروط الصلاة

١ً الانتباه – ٢ً الثقة – ٣ً الالحاح – ٤ً التواضع – ٥ً ما يوافق النفس اولاً

الجزء الثالث : مفاعيل الصلاة

سلم يعقوب – يوسف الصديق، موسى، يشوع بن نون، دانيال، الفتية الثلاثة – نجاة بطرس من الحبس – ابن هذه الدموع والصلاة لن يهلك

المقدمة

في الصلاة

اختصر سيادة الخطيب الموضوع السابق، ثم ذكّر المؤمنين بان اول واسطة لنيل النعمة هي الصلوة الى ان قال :

« لذلك نبتدىء بشرح هذه الواسطة مبينين اولاً، ما هي الصلوة، ثانياً ما هي شروط الصلوة لتكون مقبولة لدى الله، ثالثاً ما هي مفاعيل الصلوة

الجزء الاول : ما هي الصلوة

سهولة هذه الواسطة

« عند ما نتأمل بعظمة الهبة التي يعطينا الله اياها بمنحنا النعمة الالهية قد نتصور انه يعرض علينا شرطاً صعباً يوازي عظمة تلك الهبة . لكنه عزّ وجلّ بالعكس لا يقتضي منا الا شرطاً سهلاً هيناً قريب المنال، قائلاً : « اسالوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم » . لم يطلب منا الا القيام بواجب الصلوة

« والصلوة هي ارتفاع العقل نحو الله، لنطلب منه بكل بساطة كل ما نحتاج اليه وهو مستعد لتلبية طلبنا وفيض نعمه علينا بشرط ان نطلب

ضرورتها

« مع ذلك وُجد من يعترض على ضرورة الصلوة بحجة ان الله يعرف احتياجاتنا، فلماذا نعرضها عليه ؟

« يذكرنا هولاء بنعمان السرياني الذي طلب منه اليشاع النبي ان يستحم ثلاث مرات في نهر الاردن فيشفى من برصه . فغضب نعمان وقال الا يوجد انهر في دمشق لاستحم فيها ؟ فقال له رفقاؤه : لو طلب منك النبي امراً صعباً لوجب عليك اتمامه ، اما وقد طلب منك امراً سهلاً فلماذا لا تتممه وتنال الشفاء ؟ فسمع نعمان كلامهم واستحم في الاردن وشفي من برصه

« وما قاله اصحاب نعمان نراجعه لاولئك المعترضين : لو ان الله طلب منا امراً صعباً لنيل النعمة لوجب علينا ان نتممه . اما وقد طلب امراً سهلاً للغاية فهل اصبح تساهل الله حجة لاعتراضنا ؟ ومع ذلك لم يضع الله شرطه عبثاً . فانه قد فرض علينا الطلب لنعرف نحن احتياجنا الذي يعرفه هو ، لانه لو اعطانا النعمة بدون طلب منا لظننا ان المواهب الفائقة الطبيعة التي يعطيناها الله هي منا لا منه ، ولكانت واسطة لسقوطنا في خطيئة الكبرياء وسبباً لهلاكنا ، عوضاً عن ان تكون واسطة لخلاصنا »

ما لك ايها الانسان ولم تأخذه ؟

وهنا بيّن الخطيب بامثال عديدة كيف اننا نستعمل المواهب الطبيعية كقوة الجسد وذكاء العقل وكثرة المال والجمال الطبيعي لاهانة الله عوضاً عن ان نستعملها لمجده ، ذلك لاننا ننسى كلام الرسول : « ما لك يا انسان ولم تأخذه وان كنت اخذته فلماذا تفتخر به كأنك لم تأخذه ؟ »

« فاذا كنا نستعمل المواهب الطبيعية التي نلناها بدون طلب موضوعاً لكبريائنا فتصبح خطراً على نفسنا فكم بالاحرى نستعمل المواهب الفائقة الطبيعة التي ننالها بدون طلب لتغذية وذيلة الكبرياء فينا فتكون هذه المواهب واسطة لهلاكنا عوضاً عن ان تكون واسطة لخلاصنا

كبرياء لوسيفورس

« ألم يحدث ذلك لرئيس الملائكة لوسيفورس وتباعه في السماء ؟ ان الله خلق الملائكة واعطاهم القداسة وسائر المواهب الفائقة الطبيعة منذ خلقهم دون ان يشعروا بالاحتياج اليها، فاذا كانت النتيجة ؟ تكبر لوسيفورس على الله نفسه وظن ان هذه المواهب هي منه لا من الله فأراد ان يرفع عرشه فوق عرش العلي قائلاً لا اعبد . فقاصصه الله بان قذف به من اعلى السماء الى اسفل دركات الجحيم وبعد ان كان ملاكاً اصبح شيطاناً

« هكذا نحن، فان المواهب الفائقة الطبيعة انما تؤدي بنا الى الاعجاب بذاتنا، ما لم نعتقد انها منة من لدنه تعالى مجانية . وبما انها منه يجب ان نطلبها، دلالةً على اننا نشعر ونقر باحتياجنا الشديد اليها، وبانها من الله لا منا، واذا تُركنا لذاتنا لا يصدر منا الا الضعف والخطيئة . ومن ثم قال الرب: اطلبوا تجدوا . فالصلاة اذاً هي طلب، فلا بد والحالة هذه ان تحقَّق فيها شروط كل طلب

الجزء الثاني : شروط الصلاة

١ً — الانتباه

« ان اول امر يطلب من المتكلم خصوصاً اذا كان يخاطب من هو اكبر منه الانتباه الى ما يقول . والا عُدَّ كلامه هزءا وسخرية فيستحق الطرد من وجه من يخاطبه . فالانتباه هو اول شرط يطلب منا عند الصلوة لنعرف ما نقول ولا نسخر بالله وهذا ما اوصانا به السيد المسيح : لا تكونوا مهذارين مثل الوثنيين

٢ً — الثقة

« وبما ان طلبنا هو كطلب الفقير المحتاج من الغني المحب فالشرط الثاني الذي يقتضيه سيدنا يسوع المسيح هو الثقة وليدة الايمان اذ قال : « كل ما تطلبونه في الصلوة بايمان تنالونه»

« لهذا كان يظهر بعض الصعوبة لمن يسأله نعمة الشفاء ليتأكد عظم ثقته ويرى من قبل المحتاجين تلك الصلوات الحارة التي كانت تفتح قلبه فتفيض منه النعم يتظاهر بالصعوبة امام الاعمى فيسمع منه هذه الصلوة المملؤة ايماناً وثقة : يا سيدي اريد ان ابصر . يتظاهر بالصعوبة امام الابرص فيخر هذا على ركبتيه ساجداً هاتفاً : « ان شئت يا رب فانت قادر على ان تطهرني » يظهر الجفاء لتلك الكنعانية الطالبة شفاء ابنتها المجنونة

فيسمعها ما يجب ان ينفرها : « ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين ويلقى للكلاب » فيسمع منها جواباً كله ثقة وتواضع : « نعم يا رب فان الكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد اربابها » (متى ١٥ : ٢٧) فخرقت ثقة الكنعانية ودعتها قلب المسيح وجعلته يصيح بها قائلاً : يا امرأة عظيم ايمانك فليكن لك كما اردت (متى ١٥ : ٢٨)

٣ً – الالحاح

« ومن ادلة ثقتنا التي يطلبها الله ان نواصل صلاتنا بالحاح : صلوا ولا تملوا . وقد اعطانا مثل ذلك الصديق الذي يقرع باب صديقه ويلح عليه لاعطائه بعض ارغفة، فاذا لم يعطهِ من اجل الصداقة يعطيه من اجل اللجاجة . وكذلك مثل تلك الارملة التي ابرمت القاضي بلجاجتها قائلة انتقم لي من خصمي . فاذا لم ينتقم لها لاجل العدل فانه يفعل ذلك لاجل اللجاجة

٤ً – التواضع

« ولكن ما نفع اللجاجة من قبل الفقير اذا كان طلبه بقحة وكبرياء ؟ فعوضاً عن نيل الحسنة فانه لا ينال الا الاهانة والطرد . لذلك يجب ان تكون صلاتنا بتواضع . وقد اوضح ذلك سيدنا يسوع المسيح بمثل الفريسي والعشار . قال : عاد العشار الخاطئ مبرراً بصلاته المتواضعة اكثر من الفريسي المدعي المتكبر الذي لم يحضر الى الهيكل الا لكي يمنن الله

تحت طي الشكر لبعض اعمال صلاح تباهى بها في صلاته

٥ً – ما يوافق النفس اولاً

« ولا ننسَ ان غاية الصلاة هي خلاص النفس فيجب ان نطلب في صلاتنا ما يوافق خلاص نفسنا : « اطلبوا ملكوت الله وبره وكل ذلك يزاد لكم » واذا طلبنا نعمة زمنية فتحت شرط ان تكون موافقة لمجد الله وخلاص نفسنا، والا فما المنفعة منها ؟ لذلك لا نقنط عندما لا يستجيبنا الله باعطائنا هذه النعم الزمنية : كالغنى والصحة وتسهيل الاشغال وما شاكل . فهو كالام الحنون تسهر على ابنها المريض بالحمى . مهما بكى واستغاث في جوعه طالباً كسرة خبز، فانها اذا كانت تشفق عليه حقيقة تحجم عن استجابته، لئلا يؤدي به اكل الخبز الى فقد الحياة. هكذا الله لا يستجيب طلبنا اذا سألناه من النعم الزمنية ما يراه يؤول الى هلاك انفسنا

« لكننا اذا طلبنا بالشروط المشروحة نعماً تكون نتيجتها خلاصنا الابدي كانت مفاعيل صلاتنا اكيدة لا ريب فيها

الجزء الثالث : مفاعيل الصلوة

سلم يعقوب

« ان مفاعيل الصلوة هي عجيبة . ولئلا نطيل الشرح بالبراهين النظرية نكتفي بايراد بعض امثال شهيرة تدلنا على

ان الله يصنع المعجزات لاولئك الذين يلتجئون اليه بقلب متخشع متواضع

« ارجعوا معي بالفكر الى تلك الاعصر الغابرة فتروا في برية سورية شاباً اسمه يعقوب، تائهاً عن بيت ابيه، هارباً من غضب اخيه عيسو. لا يملك من حطام هذه الدنيا شيئاً. قد خرّ على ركبتيه ذات مساء والتمس من الله ان ينجيه من المخاطر، فرأى في نومه سلماً تصل الارض بالسماء وملائكة الله نازلةً صاعدةً عليها، وتلك صورة حسية لقبول صلاته التي صعدت الى السماء وانزلت عليه مواهب الله بواسطة الملائكة فكمل طريقه ورغم غربته رجع الى بيت ابيه بعد قليل من السنين وخيرات الله فائضة عليه. وقد وهبه الله اثني عشر ولداً هم آباء اسباط الشعب الاسرائيلي الاثني عشر »

يوسف الصديق ، موسى ، يشوع ابن نون ، دانيال ، الفتية الثلاثة

ثم ذكر بعد ذلك سيادة الخطيب امثال يوسف الصديق وموسى ويشوع بن نون ودانيال والفتية الثلاثة، مما دلّ على تأثير الصلاة الصالحة في قلب الله، الى ان قال :

« صلوة الرسل بالاتحاد مع مريم العذراء هي التي جلبت الروح القدس فتوزع عليهم بصورة السنة نارية قوتهم ونشطتهم كانوا جهالا فاصبحوا من اكبر العلماء، وجبناء فاصبحوا ابطالا مستعدين لسفك الدم اثباتاً لايمانهم

نجاة بطرس من الحبس

« صلوة الكنيسة الاولى هي التي جعلت الله يرسل ملاكه فنجى بطرس من السجن وسقطت السلاسل من يديه وانفتحت الابواب امامه، وخرج على مرأى من الحراس المنذهلين ورجع الى رئاسة الكنيسة ليكمل ما ابتدأ به من قيادة النفوس الى الخلاص وتنظيم البيعة

ابن هذه الدموع والصلاة لن يهلك

« هكذا يا اخوتي اذا عرفنا ان نصلي مثلما صلى هؤلاء فان الله يستجيب صلاتنا ويعمل العجائب امامنا . لكن ضربة هذه الايام هي اهمالنا هذا الواجب العظيم الذي هو منبع كل الخيرات . فصلوا لاجل الشبيبة حتى يخلصها الله من فسادها . صلوا لاجل اولئك الذين كبلهم الشيطان بالسلاسل في سجن الرذيلة والفساد . بصلاتكم تسقط تلك السلاسل وتنجو شبيبتكم من فسادها . اذكروا كلمة ذلك الاسقف الغيور موجهةً الى مونيكا والدة اغوسطينوس : ان ابن هذه الدموع وهذه الصلوات لن يهلك

فيا ايها الآباء والامهات، يا اصحاب الغيرة من الشعب المسيحي تعلموا من مونيكا ان تذرفوا الدموع بصلوات حارة لاجل ارتداد اولادكم واصدقائكم الذين عاثوا فساداً . فانهم

مثل اغوسطينوس الشاب الذي بصلوات امه رجع الى الله وصار من اعظم القديسين . وانا اؤكد لكم يا من تلجأون الى الصلوة ما اكّده ذلك الاسقف لمونيكا ان ابناء هذه الدموع وهذه الصلوات لا يمكن ان يهلكوا . والله الذي جعل من اغوسطينوس الفاسد السيرة قديساً عظيماً واباً للكنيسة، هو قادر بنعمته المستمطَرة بصلواتكم على ان يجعل شبيبتنا العزيزة قدوة الطهارة والفضيلة . امين »

العظة الثالثة

الصلاة الفردية والجمهورية

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٢ اذار سنة ١٩٣٤

موجز العظة

المقدمة

الانسان هو فرد، وعضو للمجتمع

الجزء الاول : الصلاة الفردية

حفظ الله الدائم للانسان – تكفي الصلاة صباحاً ومساءً – فلنقدم اعمالنا كلها لله – ضرورة الصلاة وقت التجربة – روح الصلاة يقوي الارادة – الصلاة صيرت خوري ارس عالماً وخطيباً ومرشداً وقديساً

الجزء الثاني : الصلاة الجمهورية

ضرورة الصلاة الجمهورية – الصلاة الجمهورية تخشع القلب – حكمة الكنيسة – الحذر من الطياشة – خطر المحادثات الباطلة – شفاعة القديس يوحنا مارون

المقدمة

في الصلوة الفردية والجمهورية

الانسان هو فرد وعضو للمجتمع

لخص سيادة الخطيب ما سبق له شرحه في العظتين الاخيرتين في ضرورة النعمة للخلاص وضرورة الصلاة لنيلها ثم قال

« خلق الله الانسان فرداً في اقنومه ، مسؤولا عن اعماله الشخصية . وقد هيأه في الوقت نفسه ليكون عضواً في الهيئة الاجتماعية . فكما ان الانسان في حياته المادية هو فرد عندما يغزي هذه الحياة ، وعضو للمجتمع عندما يشترك بالتجارة والصناعة وسائر الامور المادية التي تهيء مواد تغذية الحياة ، وفي حياته الادبية هو فرد في ممارسة الفضائل الداخلية وعضو للمجتمع في ممارسته الفضائل الخارجية التي هي موضوعها القريب كالمحبة والعدل ، كذلك في حياته الروحية هو فردٌ عند مخاطبة الله في مخدعه وعضو للمجتمع عندما يشارك سائر المجموع في تقديم هذا الواجب

« فمن هنا يتضح لكم واجبان في الصلوة : اولاً واجب الصلوة الفردية ، ثانياً واجب الصلوة الجمهورية

الجزء الاول : الصلاة الفردية

حفظ الله الدائم للانسان

ان الله في حفظه الانسان كل لحظة من حياته يعمل الاعجوبة التي صنعها في خلقه. فالقوة الالهية التي خلقت الانسان واوجدته من العدم، هي ذاتها تحفظ الانسان حتى لا يرجع الى العدم، ولو غضت الطرف وقطعت العناية عن الموجودات لحظة واحدة، لتلاشى الكون كله في هذه اللحظة فاصبح متوجباً على الانسان ان يقدم افعال الصلوة التي سنتكلم عنها مطولا فيما بعد، كالعبادة والشكر، في كل لحظة من حياته. واعمال الصلوة يجب ان تكون الاعمال الوحيدة في حياة الانسان، اذا شاء ان يجاوب تماماً على نعمة الله وعنايته، لكن من يقدر ان يتمم هذا الواجب بكماله في حال ضعف الطبيعة البشرية خصوصاً بعد السقطة الاصلية ؟

تكفي الصلاة صباحاً ومساء

« وهذه الصعوبة رآها القديس انطونيوس عندما اسس رهبانيته وفرض على افرادها الصلوة الدائمة، فانه لم يلبث ان لحظ ان هذا الامر يستحيل علينا، فاوحي اليه ان يقسم حياة رهبانه بين الصلوة والشغل. فاذا صعب على الرهبان تتميم واجب الصلوة الدائمة، فكم بالاحرى هو اصعب على العالميين

الذين يعتنون بعيالهم ويتلزمون بممارسة الشغل للقيام باودها؟ لذلك يكتفي الله بان نصنع في يومنا مراحل لصلواتنا، صباحاً ومساء.

فلنقدم اعمالنا كلها لله

وفي هذه المراحل نرفع عقلنا وقلبنا نحو الله ونقدم له واجباتنا، وفي الوقت نفسه نقدم له بفعل خصوصي كل اشغالنا واعمالنا في ذاك النهار لتكون آئلة الى مجده وخلاص نفوسنا فتصبح كل اعمالنا العادية المجردة، بشرط ان تكون خالية من الخطيئة، صلوة دائمة تجعلنا نمجد الله بها ونستفيد منها لخلاص نفوسنا . وبهذه الواسطة يعفينا الله من واجب الصلوة الدائمة ويكتفي بهذه التقدمة مرتين كل يوم لتكون حياتنا كلها مكرسة لخدمته كقول الرسول : ان اكلتم او شربتم او عملتم مهما عملتم فاجعلوا ذلك لمجد الله »

« فمن الضروري ان نتمم هذا الواجب صباحاً ومساء لنواصل تكريس ذاتنا لله في كل حياتنا دون ان نترك اشغالنا الضرورية للقيام باود حياتنا وحياة عيالنا

ضرورة الصلاة وقت التجربة

« لكن الانسان بينما هو ذاهب في طريقه بطمأنينة وسكون اذا بارياح ترتفع حوله فتهيج، في بحر الحياة، تلك الامواج التي تكاد تغرقنا من بغض وحقد ودنس وما شاكل . فكما ان بطرس صرخ عندما اوشك ان يغرق : يا رب نجني، فشعر

بيد يسوع تنتشله من اللجة وتنقذه من الغرق ، هكذا نحن عندما نشعر بالتجربة ، يتحتم علينا ان نلتجيء الى الصلوة في هذا الظرف الخصوصي ونصرخ ، يا رب نجني ، فنشعر بيد الله ونعمته تنتشلانا من خطر الغرق .وهذا ما عنى به سيدنا يسوع المسيح عند قوله : صلوا لئلا تدخلوا التجارب . وبقدر ما يعتني الانسان بروح الصلاة ، ليس فقط في المراحل العادية بل في هذه الظروف الخصوصية ، التي نشعر فيها باحتياجنا الى النعمة ، بقدر ذلك تتقوى ارادته للانتصار على الشهوات »

وهنا اورد الخطيب امثال فريق من القديسين كانت ارادتهم الحديدية ، اذا ما ساورتهم تجربة عنيفة ، تدفعهم الى ان يجلدوا انفسهم حتى الدم ويرتموا في وسط الاشواك ليعذبوا اجسادهم ، كي يخلصوا من التجربة وينتصروا على الخطيئة ، الى ان قال : « وهذه القوة لم تكن تأتيهم الا من الصلوة التي كانوا يعتنون بها عناية خصوصية

روح الصلاة يقوي الارادة

« روح الصلاة يقوي الارادة ويثبت النفس في ممارسة الفضيلة وعمل الخير . فالقديس منصور دي بول لم يعمل اعمالاً ثابتة اورثها لرهبانه وراهباته ، وهي لا تزال آية في حياة الكنيسة ، الا لانه كان يلتجيء الى الصلوة المستطيلة قبل مباشرتها ، واورث ابناءه روح الصلوة فكانت سر ثباتهم في

اعمالهم الخيرية : « روح الصلوة ينير العقل لفهم الحقائق السماوية »

واورد هنا الخطيب مثال رجل عرفه وكان اميا . وبروح الصلوة والتأمل وصل الى معرفة اسمى الحقائق وكان يكرس حياته في خلواته لشرح هذه الحقائق للشبان الذين كان يجمعهم في حانوته وبيته ويقيم لهم رسالة خصوصية استفادوا منها اكثر من الرسالات الرسمية في الكنائس

ثم اورد مثالاً شهيراً في تاريخ الكنيسة في الاعصر المتأخرة وهو مثال خوري ارس قال :

الصلاة صيرت خوري ارس عالماً وخطيباً ومرشداً وقديساً

« ان هذا الكاهن كان اسقفه قد رفض ثلاث مرات سيامته كاهناً لعدم نجاحه في فحص اللاهوت ولم يرضَ اخيراً بسيامته الا بطريق التساهل، على شرط ان يخدم مزرعة صغيرة مهملة تدعى ارس . فذهب الكاهن الجديد الى رعيته الصغيرة ودخل الكنيسة وجثا امام القربان المقدس وقال لسيدنا يسوع المسيح ببساطة قلبه : « يا سيدي لم تعطني المواهب الطبيعية، لا الذكاء ولا العلم ولا فصاحة اللسان ولا المال ولا شيئاً آخر اخدمك به، فاريد يا سيدي ان تتمّ لي الغلبة عليك بروح الصلوة، فاضطرك الى اعطائي النعم اللازمة لخلاص رعيتي »

وهكذا فعل فاستسلم الى الصلوة وبواسطتها صار هذا الكاهن الساذج الذي رسب في الامتحان اكبر عالم في زمانه

بمعرفة الحقائق السماوية والقواعد الادبية، حتى امّهُ من اطراف الكون كله اعظم اللاهوتيين واشهر المرشدين ليستنيروا بعلمه الفائق ويسترشدوا بنصائحه الادبية. وفوق ذلك كانت الجماهير تقصد اليه من كل انحاء اوربة ومن اميركة طالبة الارتشاد منه، فاصبحت ارس مدينة الزوار والحجاج، وكنيسة ارس مزاراً ينتظر فيها التائبون اياماً وليالي دورهم للاعتراف الى ذلك الكاهن الساذج. وقد مكنه ايضاً روح الصلوة من ان يصبح، رغم حرمانه فطرة الفصاحة، من اعظم الخطباء وافصحهم لساناً. فكان الناس اكليريكيين وعالميين، يؤمون ارس وينتظرون الساعات الطويلة لاستماع مواعظه. وقد حضرها يوماً اكبر خطيب في ايامه، الا وهو الاب لاكوردار، فعند سماعه، خرج متأثراً والدموع تذرف من عينيه قائلاً: هذا هو الخطيب الحقيقي الذي يمس القلوب، اما نحن فلسنا الا صفافي كلام. وكان يقول ذلك بروح التواضع لان الاب لاكوردار ردّ الالوف الى الايمان بمواعظه التي كان هوَ ايضاً يغذيها بالتأمل والصلوة

« هذه هي فائدة الصلوة الفردية وترون من الحوادث التي ذكرناها ان الانسان يستفيد كذلك من مشاركة غيره في الصلوة الجمهورية، لان الله خلقه فرداً وجعله عضواً في المجتمع يلتزم احياناً ان يشاركه في تتميم كل الواجبات خصوصاً واجب الصلوة

الجزء الثاني : الصلوة الجمهورية

ضرورة الصلاة الجمهورية

« ان الصلوة الجمهورية هي فرض واجب كالصلوة الفردية اولاً لنتمم رغبة سيدنا يسوع المسيح القائل : « اذا اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون بينهم » . ثانياً حتى يتسنى لنا ان نعترف به قدام الناس تتميماً لوصيته : « من يعترف بي قدام الناس اعترف به قدام ابي الذي في السماء « وهذا امر لا يتسنى لنا في الصلوة الفردية ثالثاً لابداء المثل الصالح للقريب تتميماً لوصية سيدنا يسوع المسيح القائل : « فليضيء نوركم امام الناس ليروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذي في السماء » . رابعاً كيما نأخذ هذا المثل عن غيرنا : « لان الكلام يؤثر اما المثل فيجرّ »

وهنا ذكر الخطيب الالوف من الشبان في المدارس الاكليريكية الذين يجرّون بعضهم بعضاً بامثالهم الصالحة ، دون قصاص ولا مناظرة صارمة ، الى ممارسة الفضيلة واتقان روح التقوى والعبادة . والتفت الى السامعين قائلاً :

الصلاة الجمهورية تخشع القلب

« لولا وجود هذه الجماهير المتألبة في هذه الكنيسة للاشتراك بدرب الصليب وزياح الصليب ، هل كنا نشعر بالتأثرات التي

نشعربها الآن من خشوع وورع وعبادة ؟ فالانسان يجب ان يستمال طبق ميل فطرته . فكما انه يتحمس مع الجماهير المتحمسة في الحياة المدنية كذلك يتحمس مع الجماهير المتحمسة في الحياة الروحية . ولهذا امر الله بان لا يكتفي الانسان بالصلوة الفردية وفرض عليه حفظ يوم الرب ليشترك مع الجماهير بتمجيد الله تعالى في الاجتماعات العمومية . وقد حددت الكنيسة المقدسة هذه الوصية الالهية بفرضها على ابنائها ، لتقديس الآحاد والاعياد ، سماع القداس مع الجمهور ، لنشترك كلنا بتمجيد الله تعالى وطلب نعمه بواسطة اعظم عمل ديني ، الا وهو ذبيحة سيدنا يسوع المسيح على المذبح المجددة ذبيحته على الصليب . وكل من اهمل هذا الواجب بدون عذر شرعي ارتكب ذنباً ثقيلاً كما شرحنا ذلك سابقاً

حكمة الكنيسة

« وماعدا هذا الواجب الالزامي وضعت الكنيسة احتفالات عديدة غير الزامية لكنها مفيدة للغاية لنفوسنا ، كالاخويات الاسبوعية والممارسات الشهرية والزياحات المؤثرة كتساعية الميلاد وزياح الصليب في ايام الصوم وسبة الآلام ، والاحتفالات السنوية كالرياضات الروحية والتظاهرات العظيمة في زياح القربان واحد الشعانين وعيد الفصح ، وسائر الاحتفالات التي تتم في الاعياد الكبيرة والتي تحرك النفس للعواطف السامية

وتذكرنا بتلك المواكب السموية التي يشترك بها الملائكة والقديسون لتمجيد الله مدى الابدية

الحذر من الطياشة

« لكن هذه الاحتفالات تفقد فائدتها اذا كنا لا نغذّيها بروح الخشوع الداخلي . فاول خطر نتعرض له في هذه الاحتفالات العمومية هو خطر الطياشة التي تجعلنا نحضر الى الكنيسة ونشترك مع الجمهور وعقلنا بعيد عن الله، ملتهياً بالامور الخارجية فنستحق عندئذٍ توبيخ الله القائل : « ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه وقلبه بعيد عني »

خطر المحادثات الباطلة

« والخطر الثاني الذي يؤدي بنا، ليس الى الاهمال الصرف فحسب، بل الى الخطيئة، هو خطر التلهي بالمحادثات الباطلة . فاننا اذ ذاك نهمل واجب الصلوة وفي الوقت نفسه نرتكب خطيئة اهانة الله تعالى في بيته، ما عدا الخطايا التي نرتكبها في تلك الاحاديث التي تكون غالباً ضد المحبة . وافظع من ذلك حضور الشبيبة الى الكنيسة لغايات اثيمة، كأنه لا يكفينا ما نجد من الاخطار في المسارح والمراقص حتى نتخذ الكنيسة واسطة للشر وفساد القلب . أفلا يحق لسيدنا يسوع المسيح ان يعمد الى سوطه فيطرد هؤلاء الدنسين كما طرد الباعة والتجار من الهيكل موجهاً اليهم هذا التوبيخ الصارم : « مكتوب

بيتي بيت صلوة يدعى وانتم جعتلموه مغارة للصوص »

« على انه لا يجوز لكم ايها المهملون التذرع بهذه الحجة لترك واجب الصلوة الجمهورية . فاكتفي بما قاله يسوع للفريسيين المتظاهرين بالتنسك : « يجب ان تفعلوا هذه ولا تتركوا تلك »

شفاعة القديس يوحنا مارون

ثم التفت الخطيب الى مذبح مار يوحنا مارون، مؤسس الطائفة المارونية، ملتمساً منه يوم عيده ان يواصل ما ابتدأ به من قيادة الآباء والاجداد في هـذا الجبل المقدس بروح الصلوة بقيادة ابنائهم في هذا الروح عينه محافظةً على ايمانهم ودينهم وآدابهم المسيحية

العظة الرابعة

الصلاة اللفظية والصلاة العقلية

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٩ اذار سنة ١٩٣٤

موجز العظة

المقدمة

الانسان مركب من نفس وجسد

الجزء الاول : الصلاة اللفظية

الصلاة اللفظية محادثة بين الانسان وخالقه – ما افصح الانسان في عرض احتياجاته – غاية الكتب الروحية مساعدة المؤمنين على الصلاة – للكنيسة صلوات طقسية رسمية في غاية الخشوع يصليها الرهبان والكهنة – اشتراك الشعب الماروني بهذه الصلوات

الجزء الثاني : الصلاة العقلية

هي ارتفاع العقل الى الله – على الجميع ان يصلوا ربع ساعة صلاة عقلية – كتاب رياضات القديس اغناطيوس يساعد كثيراً على الصلاة العقلية – مثال المسيح والرسل – وكذلك المسيحيون الاولون التفّوا حول روسائكم للنضال عن الدين – انه يجيء نعشاً لمعلمك – هيأت الكنيسة نعشاً للوثنية، والاريوسية، والفلسفة الكافرة والماسونية

المقدمة

الانسان مركب من نفس وجسد

لخص صاحب السيادة المطران مبارك عظاته السابقة ثم قال :

« ان الانسان مركب من نفس وجسد ، فالصلوة هي ارتفاع النفس الى الله لتقدم له واجباتها وتعرض عليه احتياجاتها فاما انها تلتجىء اليه بالاشتراك مع الجسد ، باستعمال الواسطة التي اعطانا الله اياها لنعبر عن افكارنا بعضنا لبعض وهي الكلام ، واما انها بمعزل عن الكلام تستعمل قواها الداخلية لتخاطب الله تعالى من روح الى روح بواسطة تلك اللغة التي لا تقوم بالالفاظ بل بالعواطف الباطنية . فمن هنا ترون ان الصلوة من جهة كيفية ابدائها هي على نوعين : الصلوة اللفظية والصلوة العقلية

الجزء الاول : الصلاة اللفظية

الصلاة اللفظية محادثة بين الانسان وخالقه

« ان الصلاة اللفظية ما هي الا محادثة طبيعية بين الانسان وخالقه ليعرض عليه احتياجاته بكل ثقة واخلاص . هي محادثة صديق لصديقه حسب قول السيد المسيح : (لست ادعوكم عبيداً ... بل انتم احبائي) بل هي تحدث ابن محب

واثق الي والده الحنون حسب قول الرسول : (قد اقتبلنا الروح لندعو الآب ابانا) ، وحسب تعليم السيد المسيح الذي علّمنا في الصلوة الربية ان نبتدئ بهذه الكلمات : (ابانا الذي في السماوات)

ما افصح الانسان في عرض احتياجاته

فكما ان الولد لا يحتاج في مخاطبة ابيه لا الى علم ولا الى فلسفة ولا الى فصاحة مصطنعة بل الى معرفة احتياجه والتعبير عنه بكل سذاجة دون تفلسف ولا تفتيش ، هكذا نتحدث الى الله بالثقة ذاتها والصراحة ذاتها والسذاجة ذاتها . وعليه فالعالم يعرف ان يصلي والجاهل كذلك ولا تقتضي الصلوة اللفظية قالبا خصوصياً بل محادثة بنوية لعرض مسائلنا واحتياجاتنا . وما افصح الانسان في عرض احتياجه ، فكم من اصحاب الحاجات من كل الطبقات الذين يطرقون بابنا في هذه الازمة الخانقة من اغنياء وفقراء ، من رجال ونساء ، من معلمين وسذّج فتراهم دائماً في احاديثهم من افصح الخطباء لانهم يعرفون احتياجهم ويثقون بمن يخاطبون فيأتي تعبيرهم آية في البلاغة حاملاً على الاقناع . فلو كنا نعرف احتياجاتنا الروحية كما نعرف احتياجاتنا الزمنية ونثق بالله مثلما نثق بعضنا ببعض عند اللزوم ، لكنا نجد فصاحة في التعبير وبلاغة في الكلام فوق كل فصاحة وبلاغة عند عرض هذه الاحتياجات لله

غاية الكتب الروحية مساعدة المؤمنين على الصلاة

« مع ذلك كما ان بين الناس من يحتاج الى مساعدة الآخرين للتعبير عن افكاره ، كمن يلتجىء الى الكتّاب والمحامين لمخاطبة الحكام والمدافعة امام القضاة ، هكذا رأت الكنيسة احتياج الكثيرين الى مساعدة في الصلاة اللفظية للتعبير عن افكارهم ، فالّف رؤساؤها ومرشدوها كتبا روحية خصوصية وعبادات متنوعة بصور مختلفة يلتجىء اليها المؤمنون ليقدموا واجبهم لله ويختاروا منها ما هو مناسب لرغبتهم واحتياجهم

للكنيسة صلوات طقسية رسمية في غاية الخشوع
يصليها الرهبان والكهنة

« لكن الكنيسة قد اختارت لها ايضاً صلوات طقسية رسمية اخذتها من مزامير داود ومن ابتهالات العهد العتيق والجديد ومن اشرف ما قاله الآباء والانبياء والرسل والشهداء القديسون ، ومن اميز ما صاغه الآباء الروحيون في الكنيسة من نثر وشعر ، وجعلت من هذه المجموعة فرضاً رسمياً امرت بتلاوته في اوقات مختلفة من تكرسوا في الرهبانيات لتسبيح الله وتمجيده بصلوة دائمة ، فكرست لهم اربع قومات في النهار واربع هجعات في الليل ما عدا قومتي المساء والستار ، ليرفعوا لله باسم الكنيسة التسابيح والتماجيد ويجلبوا على ابنائها تلك النعم التي يحتاجون اليها . فيعوضون بتكريس اوقاتهم للصلوة

ما ينقص من قبل المؤمنين في وسط اشغالهم الزمنية . وكم هي خشوعية تلك التضرعات التي تمثل على الارض بانغامها الشجية اجواق الملائكة والقديسين في السماء ، وقد حضرها لامرتين الشاعر الفرنسي الشهير في احد اديارنا ليلاً فكانت له موضوع اعجاب فصورت له قريحته الشعرية انه بين اجواق الملائكة السماوية خصوصاً عند التسابيح التي تختم بها صلوة الليل بالسجود العميق ، فرأى نفسه امام تلك الرؤيا التي وصفها يوحنا الحبيب ، رؤيا اولئك الشيوخ الاربعة والعشرين الذين كانوا يرفعون الصلوات لله ويخرون ساجدين امام عزته الالهية

« وبما ان الكهنة خادمي النفوس هم الوسطاء بين الله والناس ومن اخص واجباتهم الصلوة لاجل الشعب الموكولة العناية به اليهم فقد انتدبتهم البيعة لتلاوة هذا الفرض باسمها . فاصبح متوجباً على كل كاهن ان يتلو الفرض الالهي والويل له اذا اهمله لانه باهماله له يهمل واجباً من اهم الواجبات ، واذا اهمله فهل يهتم بباقي الصلوات ؟ مع انه اذا كان احد محتاجاً الى نعمة الله تعالى ليداوي الضعف البشري ويتمم تلك الوظيفة التي تفوق وظيفة الملائكة بتقديم الذبيحة الالهية والاهتمام بخلاص النفوس ، فانما هو الكاهن الذي رفعه الله ذاته . وكيف ينال هذه النعمة اذا اهمل صلاته ؟

اشتراك الشعب الماروني بهذه الصلوات

« وقد كان شعبنا يشترك مع الكهنة بهذه الصلوة الرسمية بحضور صلوة الخورس كل مساء خصوصاً في ايام الآحاد والاعياد وفي التذكارات العظيمة كايام الصوم واسبوع الآلام . لكن الظروف الحاضرة جعلتنا نهمل اللغة الطقسية ، فاقامت لنا امنا الحنون الكنيسة المقدسة ، من غير طقوس واحتفالات ومن كتب روحية متنوعة ، واسطة للالتجاء الى الصلوة اللفظية بانواع مختلفة . فعلى كلٍ ان يستعمل ما يراه مناسباً لفائدة نفسه

« لكن آفة الصلوة اللفظية عند التعود على تكرارها هي تشتت الفكر وقلة الانتباه . فليس لنا واسطة لملافات هذه الآفة مثل الالتجاء الى الصلوة العقلية

الجزء الثاني : الصلوة العقلية

هي ارتفاع العقل الى الله

« ان الصلوة العقلية هي ارتفاع النفس نحو الله لتخاطبه بقواها الداخلية دون الالتجاء الى الكلام . وهي الواسطة العظيمة التي تذرع بها القديسون ليتقدموا في مدارج القداسة ، وهي الواسطة العظمى التي يلتجىء اليها الرهبان والكهنة لنيل النعم اللازمة لثباتهم في طريق الكمال . ويظن العلمانيون ان هذا النوع من الصلوة يختص بغيرهم ولا يهمهم امره ، مع ان

الصلوة العقلية هي ضرورية للعلمانيين اذا ارادوا ان يعيشوا عيشة مسيحية حقيقية . وان القديس فرنسيس سالس الذي تكرس لارشاد العالميين ، خصوصاً للذين يتلهّون اكثر من غيرهم باشغال دنيوية ، قد ألّف لارشادهم كتاباً خصوصياً سماه مدخل العبادة ، ونصح فيه لكل مسيحي في العالم ان يكرس كل يوم ساعة كاملة للصلوة العقلية .

على الجميع ان يصلوا ربع ساعة صلاة عقلية

ولكن في ايامنا يا حبّذا لو نلنا من الكهنة ساعة صلوة عقلية . فهل نقدر ان نفرضها على العالميين ؟ ومن ثم يا اخوتي كيما يعمل بنصحي طبقاً للقول المأثور : « ان شئت ان تطاع فسل ما يستطاع » فلا اطلب منكم الا ربع ساعة كل صباح تخصصونه بالصلوة العقلية ، وذلك باستحضار الله والسجود له باطنياً والتأمل باحدى الحقائق او الفضائل المسيحية او الاسرار الالهية او الآيات الانجيلية ، ولدى تأملنا بها نرى ضرورة الفضيلة التي تنتج عنها . ثم نرجع فنقابل سلوكنا الشخصي بمقتضيات هذه الفضيلة ونرى النقص الفاحش فينا ، فتتهيج عواطفنا لطلب سدّ هذا النقص بنيل الفضيلة التي استنتجناها من تأملنا وهذا الطلب نكرره بانواع مختلفة بواسطة قوى النفس الداخلية ونتذلل امام الله لنحنن قلبه علينا ويعطينا نعمته لنيل هذه الفضيلة ونختم بمقصد خصوصي نوجهه الى

ممارسة عمل صالح في نهارنا، يمرننا على تلك الفضيلة . وعند المساء بعد فحص الضمير العمومي نعمل فحصاً خصوصياً على ممارسة تلك الفضيلة التي قصدناها في ذلك النهار»

ولكي يسهل سيادة الخطيب للسامعين فهم هذا النسق عزّزه بمثال تأمل فيه بروح الاماتة في حياة السيد المسيح . ثم قال :

كتاب رياضات القديس اغناطيوس يساعد كثيراً على الصلاة العقلية

« انه ليصعب على المبتدئين ان يتقنوا الصلوة العقلية دون كتاب خصوصي مؤلف لهذه الغاية . واحسن كتاب يفيد العلمانيين هو كتاب رياضات القديس اغناطيوس دي لويولا لانه يختصر كل الحقائق الدينية التي يجب التعمق في معرفتها والفضائل السامية التي يجب على كل مسيحي ان يمارسها

« فنحضّكم جميعاً على اقتناء هذا السفر النفيس مع كتاب مدخل العبادة الذي تكلمنا عنه، فيكونان لكم اكبر مساعد لاتقان الصلوة العقلية التي اصبحت من ضروريات الحياة الروحية في ايامنا، حيث كثر اللهو وقلّ التفكر بالالهيات فتم فينا ما قاله النبي: (خرابا خربت الارض لانه ليس من يفكر في القلب)

مثال المسيح والرسل

« وقد ابدى سيدنا يسوع المسيح ألمع مثال في الصلوة العقلية . وهل من احد اتحد بابيه مثله، وهو وابوه واحد

باللاهوت والجوهر ؟ لذلك رأيناه يكرس حياته المحتجبة للشغل والصلوة، وفي حياته العمومية كان يقضي نهاره في التبشير وليله في الصلوة حسب قول الانجيل : وقضى ليله بصلوة الله

« وقد استغرقت الصلوة العقلية اوقات الرسل في اجتماعاتهم بعد صعود السيد المسيح وجلبت عليهم الروح القدس فملأهم من انعامه . الصلوة العقلية هي التي رافقت القديس بطرس في حياته كلها فكان كل ليلة يقوم عند صياح الديك ويتذكر فكرانه لسيده ويبكي بكاء مراً حتى حفرت الدموع مجرى في خديه . الصلوة العقلية وقف لها القديس بولس ذاته بعد ارتداده فاختلى ثلاث سنين في بلاد العرب، وبواسطة هذه الصلوة العقلية المتواصلة نال الاوحية التي جعلته يفهم الحقائق السماوية ويبشر بها الامم ويردهم الى الايمان المسيحي

وكذلك المسيحيون الاولون

« الصلوات العقلية عكف عليها المؤمنون الاولون الذين كانوا يجتمعون كل يوم لها، فيتلو عليهم الاسقف فصلاً من الاسفار المقدسة ويشرحه لهم، حاضاً اياهم على طلب الفضيلة الخصوصية التي يستنتجها من ذاك الفصل . وقد وصلت الينا المجلدات الضخمة التي تحوى تلك التأملات اليومية بشرح فصول الكتاب المقدس . ولم يشتهر اكبر الآباء في الكنيسة الا بواسطة هذه التأملات، منهم القديسون غريغوريوس الكبير

وباسيليوس وغريغوريوس النزينزي واوغسطينوس ويوحنا فم الذهب فلا تعجبوا اذا رأيتم في اولئك المسيحيين تلك الفضائل السامية والبطولة العجيبة التي لم تعد تعرفها ايامنا الفاترة . لا تعجبوا من رؤية الابطال الاربعين الذين تعيّد الكنيسة تذكارهم اليوم فانهم لم يقتحموا الآلام ويحتملوا العذابات والموت الا بفضل الصلوة العقلية التي رفعت افكارهم الى العلاء وجرّدت حياتهم عن اباطيل هذه الدنيا فأقرّوا بايمانهم وضحّوا بحياتهم شهادةً له

قحة الفرمسون

« فلنقتدِ بهم يا اخوتي لننال النعم اللازمة لنا في هذه الايام الصعبة . نعم قد منّ الله علينا بنعمة الراحة والحرية في ممارسة ديننا لكنّ فئةً ظهرت في الاعصر الحاضرة كنّت ذاتها بابناء الارملة او الشيعة الماسونية، ارادت ان تحصر اولاً رؤساء الدين في كنائسهم لتمنعهم من التأثير على الناس خارج الكنائس فيستسلمون اليهم صاغرين، لكن قحتهم قد وصلت في هذه الايام الى ان يمنعوا رؤساء الدين من ممارسة وظائفهم في الكنائس، وما لم يجرؤ عليه رجال الحكم في عهد الاستبداد والظلم قد جرؤ عليه هؤلاء بقحة لاتوصف في عهد الحرية والسلام

« ألم نرَ هذه الفئة، بجرأة لم يسبق لها مثيل، تعتدي في وسط المعبد على الرئيس الروحي وتحاول ان تسكته عن اتمام

واجبه الرعائي المقدس (١) وعندما اراد ذلك الرئيس بحلمهِ، لتوسط بعض المصلحين، ان يرضى بالصفح والمسالمة اتباعاً لمثال السيد المسيح الذي صلى من اجل صالبيه، زادت قحتهم بترهات واختلاقات نشروها على صفحات الجرائد لامتهان الكنيسة الكاثوليكية ورؤسائها وامتهان الدين وارباب. وقد تبعهم لسوء الحظ بعض ابناء الكنيسة الذين خُدعوا بتلك الاقاويل الكاذبة فضربوا على النغمة التي ضرب عليها هولاء. وذلك لم يكن الا عن طيش وجهل وقلة تعمق في الامور الدينية. وهذه هي آفة شبان عصرنا: هوس وطيش وخفة لقلة الصلوة العقلية والتأمل في الحقائق السامية: «خراباً خربت الارض لانه لا يوجد من يفكر في قلبه»

التفوا حول رؤسائكم للنضال عن الدين

«فأدعوكم يا ابناء الدين المسيحي، خصوصاً انتِ يا ايتها الشبيبة الكاثوليكية، الى ان تعودوا الى روح الآباء والاجداد للمحافظة على شرفكم بالمحافظة على دينكم، وان تلتفوا حول

---

(١) اشارة لحملة الفرمسون على سيادة المطران صايغ (الكاثوليكي) في جناز الكفوري (قد كان الكفوري كاهن من طائفة الروم الكاثوليك ثم خلع الثوب ودخل الماسونية، وقبل وفاته تاب الى ربهِ. وفي اثناء جنازته صعد المطران مكسيموس صايغ مطران بيروت يفهم المؤمنين لماذا يجوز تجنيزه في الكنيسة، وذلك لكونه جحد الماسونية. فقامت قيادة الماسون، واسكتوا المطران وحملوا نعش الميت ودفنوه حسب رتبهم!!!

رؤسائكم للنضال عن هذا الدين الذي كان ولا يزال اكبر واسطة لاستقلالكم في هذا الجبل المقدس، وان ترفعوا صوت الاحتجاج عالياً مناهضين هذه الفئة الضئيلة التي صارت في آخر زمانها . فبعثاً تحاول ان تظهر من الضعف قوة، لانّ نصيبها هو نصيب من سبقها في محاربة الدين المسيحي والكنيسة الكاثوليكية

« انه يهيئ نعشاً لمعلمك »

« واذكركم بهذه المناسبة بكلمة قالها احد الجبساء المسيحيين لرفيق يوليانوس الجاحد لدى سؤاله ماذا يعمل نجارك الناصري ؟ فاجابه : « ينجر نعشاً لمعلمك » وهكذا كان فسقط يوليانوس في حرب الفرس صارخاً : قد غلبت يا ناصري ؟ وارجعه اعوانه على نعش ماراً من امام مغارة ذلك الناسك

« هكذا تجيب الكنيسة كل من ناهضها

هيأت الكنيسة نعشا للوثنية والاريوسية)والفلسفة الكافرة - والماسونية

« قامت الوثنية على الدين المسيحي فهيأ لها النجار الناصري نعشاً فتلاشت وركّزت الكنيسة عرش رئاستها موضع عرش المملكة الرومانية

« قامت الاريوسية فهيأ لها النجار الناصري نعشاً فلم يبق لها ممثل

قامت الارتقات في الاجيال المتوسطة فهيأ لها النجار الناصري نعشاً فتلاشت بانقساماتها كالجثة التي تتحلل اجزاؤها

« قامت الفلسفة الكافرة في الجيل الثامن عشر وتصورت انها تلاشي الكنيسة وبينما كان ڤولتير يفرك يديه فرحاً وسروراً لاعتقاده بانه يسحق النجار الناصري، اذا بالنجار الناصري يهيئ نعشاً لڤولتير وفلسفته بتلك الثورة الفرنسية التي غرقت الفلسفة بالاوحال والدم، وخرجت الكنيسة الكاثوليكية ظافرة بواسطة اكبر ابناء هذه الثورة . واخيراً اتت الماسونية وظنت انها تلاشي النجار الناصري فهيأ لها نعشاً وبينما هي تتلاشى في اوربة غارقة في اوحال الفضائح ومهيجة كره كل من فيه شرف نفس (١)، اتت هذه الفئة الضئيلة في بلادنا التي لم يبقَ لها ذكر ولا اعتبار، وارادت ان تجدد شبابها بهذه القرقعة الفارغة التي غذتها بالترهات والاختلاقات الكاذبة . ويا ويل اتباعها اذ انهم حملوا نعشهم بايديهم، وفي وسط هذه المهزلة التي مثلوها في الساحة العمومية وفي شوارع المدينة، اظهروا للملأ انه، بعد ان ذهبت النفس الى خالقها لتعامل بما تستحقه برحمته، لم يبقَ لهم في نعشهم الا جثة بالية تمثلهم وتمثل تفكك اوصالهم في هذه الديار

هتاف الجماهير

ولما انهى صاحب السيادة عظته وخرج من الكنيسة ليستقل سيارته الى مدرسة الحكمة قابلته الجماهير بالهتاف والتصفيق الحاد، وما زالت تهتف حتى ركب السيارة وانصرف

(١) اشارة الى حوادث ستافسكي في فرنسا وفضائحه المالية وكان للماسون اليد الطولى فيها .

العظة الخامسة

في موضوع الصلاة

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ١٦ اذار سنة ١٩٣٤

موجز العظة

المقدمة

موضوع الصلاة واحد : يقوم بخمسة افعال

الجزء الاول : العبادة

العبادة اقرار بحق ملكية الله علينا – افضل انواع العبادة التضحية

الجزء الثاني : الشكر

خص الله الانسان بنعم ومواهب خاصة – بالشكر تدوم النعم

الجزء الثالث : الاستغفار

قياس الاهانة قدرُ المهان – المسيح وحده قدم كفارة كاملة

الجزء الرابع : طلب النعم

بدون المسيح لا قيمة لاي اعمالنا – الناصري مجيء نعشاً للتعاليم الضالة لا للاشخاص

المقدمة

في موضوع الصلوة

« بقي ان نبحث عن موضوع الصلوة من اي نوع كانت . فموضوعها واحد سواء كانت فردية او جمهورية ، لفظية او عقلية وقوامه افعال خمسة : العبادة والشكر والاستغفار وطلب النعم وتقديم الاعمال اليومية . وبما اننا قد تكلمنا مفصلاً عن تقديم الاعمال لمجد الله وخلاص النفس ، بقي ان نتكلم عن الافعال الاربعة الباقية التي تكون موضوع ارشادنا في هذا المساء.

الجزء الاول : العبادة

العبادة اقرار بحق ملكية الله علينا

« خلق الله الانسان كما خلق كل موجود من العدم ، فاصبح الله حراً في جبلته يخلقها عندما يشاء وكيفما شاء ويلاشيها عندما يشاء ، حسب قول الرسول : « هل تقول الجبلة لجابلها لماذا جبلتني هكذا ؟ » فالعبادة ما هي الا الاقرار بحق ملكية الله علينا وبحق تصرفه بنا كيفما شاء . وهذا الاقرار يعبّر عنه احسن تعبير بالاشاة الانسان نفسه قدام الله اقراراً بملكيته التامة له . وعندما اخذ ابرهيم ابنه ليضحي به لله بامر منه تعالى لم يكن فعله هذا ، وان كان شاذاً بالنسبة الى الحنان الابوي ، الا طبيعيا بالنسبة الى حق الله على الانسان .

فما فعله ابرهيم يجب ان نفعله نحن كل يوم، لو لم يحرّم الله علينا ملاشاة ذاتنا فعلًا، محتفظاً بحق هذا التصرف لعنايته الالهية. وكما امر ابرهيم بان يعفو عن ابنه اسحق مستبدلا اياه بكبش هكذا امر بان يحترم الانسان حياته ويقدم عوضاً عنها الذبائح التي تدلّ على ملكية الله عليه وحق التصرف به وعلى رغبته في ملاشاة ذاته، لو سمح الله له بها. وبما انه لم يسمح، فانه يلاشي هذه الذبيحة امام الله عينه

افضل انواع العبادة التضحية

فلا يتسنى للانسان ان يقدم ذاته ذبيحة فعلية الا عند ما يحلّ اجله بامر الله، فيجب عليه اذ ذاك ان يرضى بالتضحية بحياته بصبر وتسليم اقراراً بملكية الله له، فان افضل فعل عبادة هو تقديم هذه التضحية الشخصية. ومن هنا تتضح لكم فائدة تنبيه المدنفين، اولًا لكي يستعدوا لملاقاة ربهم، ثانياً لكي يتسنى لهم ان يقدموا هذه التضحية التي هي من اعظم اعمال العبادة المقبولة عند الله.

لكنّ هذه التضحية لا يقدر ان يقدمها الانسان الا مرة واحدة، والذبائح لا يمكنه ان يقدمها كل ساعة، في حين ان واجب العبادة هو ضروري ولازم كل يوم. فيستعيض الانسان عن ذبيحة نفسه ذبيحةً فعلية وعن تقديم الذبائح الخارجية بالصلوة، عندما يخرّ ساجداً امام الله ويقر بملكية الله له ويلاشي

ذاته امام الله بالشوق، حيث لا يقدر ان يلاشي ذاته بالفعل هذه هي العبادة التي يجب ان نقدمها لله يومياً وهي اول فعل من افعال الصلوة . والفعل الثاني هو الشكر .

الجزء الثاني : الشكر

خص الله الانسان بنعم ومواهب خاصة

« ان الله قد اوجدنا من العدم واعطى الانسان مواهب فائقة . اعطاه الحياة مفضلاً اياه على الجماد ، واعطاه الحس والحركة مفضلاً اياه على النبات واعطاه العقل للادراك والارادة لحرية العمل ، والنطق للتعبير عنهما ، مفضلاً اياه على سائر الحيوانات ، وجعله بعد الملائكة افضل خلائقه ومَلكها وسلطانها ، حسب قول الملك داود في المزمور الثامن : « انقصته قليلاً عن الملائكة . بالمجد والكرامة كللته وعلى اعمال يديك سلطته واخضعت تحت قدميه كل شيء » . ففي هذا المقام اعطاه السماء والارض لخدمته : السماء بنيراتها وكواكبها ، والارض بهوائها ومائها وموادها واشجارها وحيواناتها لتغذية حياته الجسدية وجعله مطلق التصرف بها . وما هو اعظم من ذلك انه تعالى قد خصه بدعوة فائقة الطبيعة وهي الاشتراك معه بالسعادة الابدية ، فخلقه في حالة البرارة الاولى ليهيئه لحالة المجد بعد هذه الحياة . وعندما خسر البرارة الاولى نزل ابن الله من السماء واعاد اليه نعمة التبرير بسر العماد ، ورسم له سر التوبة

ليتمكن من استرجاع البرارة كل مرة يخسرها بالخطية الفعلية ورسم له اسراراً غيرها ليغذي حياة نفسه بازدياد النعمة . وقد وهبه نعمة الايمان بوحي الحقائق ، واختطّ له طريقاً مستقيماً يوصله الى السعادة الابدية بحفظ الوصايا . فكل هذه النعم أعطيت للانسان ولم تعط لغيره من الخلائق الارضية . افلا يحق لله المانح كل هذه المواهب ان يطلب كلمة شكر من الانسان على هذه العطايا ؟

بالشكر تدوم النعم

نعم يحق له ذلك وكل من ينسى هذا الواجب يكون ناكر الجميل ويستحق الحرمان من هذه النعم . ان الله لايحتاج الى شكرنا لذاته ، بل نحن نحتاج الى ان نشكره لذاتنا لانه بالشكر تدوم النعم . وقلب الله يتأثر من ناكر الجميل . وقد اظهر لنا ذلك عند ما شفى البرص العشرة ولم يرجع منهم الا واحد ليقدم له الشكر ، فالتفت الى تلاميذه قال : ألم يشفَ العشرة فاين التسعة الباقون ؟ فلا نكونَنّ منهم ، وكم بالاحرى لا ينبغي ان نكون ممن يقابلون النعمة بالاهانة

الجزء الثالث : الاستغفار

قياس الاهانة هو قدر المهان

« لسوء الحظ ، ان معظم البشر يجاوبون على النعمة باهانة الله وارتكاب الخطيئة . فصار من الضروري ان يقرن الانسان

عبادته وشكره بطلب الغفران وتقديم الكفارة عن خطاياه - لكن من اين له ان يكفّر عن الخطيئة وهو لا يستطيع ان يأتي الا اعمالاً متناهية ، في حين ان الخطيئة هي اهانة لله لا حدّ لفظاعتها ، لان قياس الاهانة هو قدر المهان لا المهين »

وهنا أيد سيادة الخطيب هذا المبدأ بامثال عديدة ثم قال :

« ان الذي نهينه بآثامنا هو الله غير المتناهي بكماله ، فاصبحت الخطيئة لهذا السبب غير متناهية بقباحتها ، ولم يعد ممكناً للانسان ان يكفّر عنها لان اعماله متناهية ولا يمكن للمتناهي ان يكفّر عن سيئة غير متناهية .

المسيح وحده قدم كفارة كاملة

« فلحلّ هذا المشكل الذي يستحيل على الانسان حلّه ، شفق الله على البشرية واخترع اختراعاً هو الحنان بالذات اذ ارسل ابنه الوحيد ، الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس ، فاخذ طبيعتنا وصار انساناً مثلنا موحداً اقنومه الالهي في طبيعتين الهية وانسانية . فقدم ذاته لابيه عنّا . وبما انه اله اصبحت ذبيحته غير متناهية وكافية ككفارة عن الخطية غير المتناهية ، وبصفة كونه انساناً قدم ذبيحته عن الانسان الذي يمثله . وهذه الذبيحة قدمها على الصليب لاجل افتداء البشر . واخترع اختراعاً جديداً برسم سر الاوخارستيا ليجدد كل يوم ذبيحة الصليب بذبيحة المذبح ، ملغياً بهذه الذبيحة سائر الذبائح التي

لم تكن كافية للكفّارة عن الخطايا. لهذا اصبح متوجباً على الانسان الاشتراك بهذه الذبيحة لتقديم الكفّارة عن خطاياه ونيل الغفران. ومن هنا يتضح لكم فائدة الاشتراك اليومي بالذبيحة الالهيّة وضرورة الاشتراك بهذه الذبيحة كل اسبوع حسب وصية الكنيسة واذا لم يتسنّ لنا ان نحضر الذبيحة يومياً ففي صلاتنا يجب ان نشترك فيها بالفكر لنقدم الكفّارة بواسطة سيدنا يسوع المسيح ونطلب الغفران عن خطايانا باسمه الالهي : فالذبيحة الالهية تفيدنا للكفّارة عن خطايانا وهي في الوقت نفسه اكبر واسطة لجلب النعم »

الجزء الرابع : طلب النعم

بدون المسيح لا قيمة لاي اعمالنا

« قال السيد المسيح : بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً ». وقد شرحنا لكم شرحاً كافياً ضرورة النعمة في عظتنا الاولى. ومن ثم اصبح متوجباً علينا بعد العبادة والشكر والاستغفار ان نطلب في صلاتنا النعمة الالهية لتساعدنا في القيام بواجباتنا، بابتعادنا عن الشر وعمل الخير. والله الذي قال : « اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم، » لا يمكنه ان يرفض النعمة لمن يطلبها. فمن الواجب علينا ان نطلب كل يوم

النعم اللازمة لخلاصنا حتى نلبث بمواصلة هذه النعم سائرين في طريق الصلاح بعيدين عن التجارب والشرور. واذا كانت الصلوة

لازمة لنا في احتياجاتنا الخصوصية فهي لازمة لنا بنوع اخص عند المحن العمومية

« ان النكبة الهائلة التي روّعت هذه العاصمة وادمت قلوب سائر ابناء البلاد يجب ان تحملنا على الانضمام بروح واحدة، لنقف امام هذه الضحايا بالخشوع والبكاء طالبين من الله الرحمة : ارحم يارب ارحم شعبك ولا تسخط علينا الى الابد (١) وهذه الكارثة المفجعة التي انقضّت على الجميع دون تمييز طوائف ولا احزاب يجب ان تنسينا الاحقاد والانقسامات التي تفرقنا .

الناصري يهيئ نعشاً للتعاليم الضالة لا للاشخاص

وان كنا نحن قد تكلمنا عن النجار الناصري الذي يهيء نعشاً للتعاليم الفاسدة التي تناوئه، فقد عنينا هذه التعاليم لا الاشخاص، لا بل ان ملاشاة هذه التعاليم هي لفائدة اولئك الاشخاص الذين كانوا يتبعونها . فان السيد المسيح لاشى الوثنية في العالم بارتداد الوثنيين الى الدين المسيحي، ولاشى الارتقات القديمة بارتداد الاراتقة الى الكنيسة الكاثوليكية، ولاشى الفلسفة الكاذبة بارتداد مشايعي هذه الفلسفة الى الحقيقة . واذا كنا نتمنى ملاشاة الماسونية فما ذلك ألّا لارتداد

---

(١) اشارة الى كارثة « كوكب الشرق » الذي انهار وذهب من ضحاياه ما يزيد على الاربعين جلهم من الشباب

من يشايعونها الى معرفة الله وحقائق الانجيل المقدسة، فتكون ملاشاة التعليم الفاسد لفائدة الاشخاص وخلاصهم حسب قول النبي : « لا اريد موت الضال يقول الرب، بل ان يرجع عن ضلاله ويتوب اليَّ ويحيا » . وهل من امثولة لرجوعنا كلنا الى الله اوفر فائدة من هذه الامثولة التي هلعت لهـا القلوب ؟ وعساها تكون لفائدة النفوس ! فتأملوا يا اخوتي في هذه الجماهير التي معظمها مؤلفة من شبيبة كلّها صحة وعافية، ارتادت بعد تعب النهار هذا المحل للراحة من عناء الشغب . وبينما كانوا يظنون انهم في هدوء وسلام، اذا بالفخ يطبق عليهم فينتقلون بلحظة عين من هذه الدنيا الى امام الديان العادل . فيجب ان يكون موقفنا تجاههم موقف محبة واتحاد لنذرف الدموع معاً بالصمت والخشوع عـلى الضحايا التي فقدناها، لا بالمظاهرات الفارغة التي تجعلنا كالراقصين على جثث الموتى . فلا نمزق بعضنا بعضاً بمعرض هذه الكارثة لاجل اغراض حزبية ومآرب سياسية، ولنقف كلنا موقف الصلوة تجاه هذه الضحايا ولنطلب الراحة لنفوسهم وبلسم التعزية لعيالهم والاستفادة لنفوسنا مما ألمّ بهم، لنعرف زوال هذه الدنيا وبطلانها فنرفع الحاظنا الى العـلاء ونوجه اعمالنا في هذه الحياة الى نيل السعادة الابدية في الاخرة »

العظة السادسة

في

الصلاة الربية

القيت في كاتدرائية بيروت المارونية الجمعة مساء في ٢٣ اذار سنة ١٩٣٤

موجز العظة

المقدمة

ابانا الذي في السماوات

الجزء الاول : طلب مجد الله

يا بابا – اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره – ليتقدس اسمك – ليأت ملكوتك – ملكوت السماوات هو الكنيسة – لتكن مشيئتك

الجزء الثاني : طلب خلاص نفوسنا

اعطنا خبزنا كفاية يومنا – الابتعاد عن الله يحدث الفاقة – اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا – لا تدخلنا التجارب – نجنا من الشرير

المقدمة

ابانا الذي في السماوات

« سأل الرسل يوماً سيدنا يسوع المسيح قائلين : يا معلم، علمنا ان نصلي كما علّم يوحنا تلاميذه . فاجابهم : عندما تقومون للصلوة قولوا : « ابانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأتِ ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض. اعطِنا خبزنا كفاية يومنا واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نحن غفرنا لمن اخطأ واساء الينا ولا تدخلنا التجارب لكن نجِّنا من الشرير »

هنا لخَّص سيادة الخطيب عظاته السابقة، ثم قال :

« وبما ان السيد المسيح نفسه اعطانا انموذجاً للصلوة بهذه الصلوة الربية، فأتت اشرف الصلوات نظراً لمؤلفها وموضوعها وشمولها كل ما يجب ان نطلبه رغم اختصارها، رأينا ان نختم ارشاداتنا في هذا الصوم المبارك بشرح هذه الصلوة الربية

« ان الغاية الوحيدة التي لاجلها خُلقنا هي مجد الله وخلاص نفوسنا، فما يجب ان نطلبه في الصلوة هو هذان الامران . ومن ثم علّمنا السيد المسيح، في القسم الاول من الصلوة الربية، ان نطلب كل ما يؤول الى مجد الله، وفي القسم الثاني كل ما هو ضروري لخلاص انفسنا

الجزء الاول : طلب مجد الله

يا ابانا

« ان السيد المسيح ابن الله المتحد في الجوهر واللاهوت بابيه الازلي يعرف اكثر من كل موجود حنان الله على الانسان الذي خلقه، فكان علّة وجوده اكثر من ابيه الارضي، وعرف ان اسعد وقت للاب في حياته هو ذاك الوقت الذي يرجع فيه بعد تعب النهار الى عائلته، فيلاقيه اولاده الصغار بكلمة « يا بابا ! » . فانه يشعر لدى سماعها بكل الحنان الذي اودعه الله قلبه، وباستعداد كامل لاعطاء اولاده كل ما يطلبونه . فهي ساعة يتبادل فيها الاب وابناؤه عواطف المحبة، وهي من اسعد ساعات الحياة . فاراد سيدنا يسوع المسيح ان نلجأ الى الله لا بصفة كونه خالقاً ولا سيداً ولا الهاً ولا ملكاً ، بل بصفة كونه اباً يحبّ اولاده ويحن اليهم، واولاده يثقون به في محبة قلبهم، فعلّمنا ان نقول : يا ابانا ! وكيما نعرف ان نلجأ الى ذلك الاب الحقيقي الذي هو علة وجودنا، علّمنا ان نقول : ابانا الذي في السماوات ! وبهذه الكلمة علمنا ان نحرك حنان الله علينا فيعطينا بمحبته كل ما نسأله

اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره

« فماذا يجب ان نسأله ؟ « اطلبوا ملكوت الله وبره » . ان مجد الله هو اول غاية توخاها الرب في خلقنا . . . ومن ثم

اول امر يجب ان نطلبه هو مجد الله لكي يكون اسمه مباركا ومقدساً وممجداً في خلائقه . ولكي تتم هذه الغاية ، لا بدّ من ان تنتشر معرفته بين البشر لاننا لا نقدر ان نكرم من لا نعرفه .

وهذه المعرفة النظرية لا تكفي لمجد الله ، بل يجب على الانسان ان يتمم ارادة الله بحفظ وصاياه ، وعلى هذا المنوال يسود الخضوع لله على الارض كما هو سائد بين القديسين في السماء ، فيصبح الله مالكاً على البشر المتممين ارادته كما هو مالك مطلق على الملائكة والقديسين الذي لا يخالفون له ارادة في السماء

ليتقدس اسمك – ليأتِ ملكوتك

« هذه هي الامور التي علّمنا اياها سيدنا يسوع المسيح لطلب مجد الله . علّمنا ان نقول : ليتقدس اسمك فيكون مباركاً وممجداً . ولا يتم تقديس اسم الله الّا بانتشار الكنيسة على وجه الارض فتعم جميع البشر ويعرفه تعالى الكل ، وبهذه المعرفة يرفعون له التسبيح والمجد . وهذا ما عناه السيد المسيح بكلمة ليأتِ ملكوتك . فملكوت الله على الارض هو هذه الكنيسة التي اسسها بواسطة رسله لتعلّم العالم كل حقيقة ، قال : « اذهبوا وتلمذوا كل الامم وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به » .

ملكوت السماوات هو الكنيسة

وكل مرة يتكلم الانجيل المقدس عن ملكوت الله او ملكوت السماء، يعني بذلك كنيسة المسيح. فعندما يشبّه الرب ملكوت السماء بعشر عذارى خمس حكيمات وخمس جاهلات، لا يمكنه ان يعني مقرّ السعادة الابدية في الآخرة، اذ انه لا يبقى في السماء جاهلات. وهكذا عندما يشبّه ملكوت السماء بشبكة أُلقيت في البحر فجمعت من كل جنس، اخياراً واشراراً، فانه يعني بذلك كنيسة الله على الارض، اذ انه ليس في السماء الّا الأخيار. وهذا ما يدلنا على انه عنى بكلمة «ليأتِ ملكوتك» انتشار الكنيسة على الارض، لتُنشر بواسطتها معرفته ويتعمم الايمان به فيقدّس الجميع اسمه ويبارك كونه

لتكن مشيئتك

«لكن الايمان وحده لا يكفي لمجد الله، فان الشياطين تؤمن به، لكنها لا تمجّده. بل الشرط الاساسي لتمجيده هو العمل بموجب ارادته بحفظ وصاياه. ومن ثمّ اضاف هذه الطلبة: «لتكن مشيئتك». فمتى تمت مشيئته وخضع البشر لوصاياه الالهية بممارسة الفضيلة وعمل الخير والابتعاد عن الشر والخطيئة، اصبح ملكه على الارض كاملاً تاماً مثل ملكه في السماء حيث لا يخالف له امر. فلذا علّمنا السيد المسيح ان نطلب تتميم مشيئة الله على الارض كما هي في السماء

هذا هو الجزء الاول من الصلوة الربية . فقد خصصه السيد المسيح بطلب تتميم الغاية الاولى التي لاجلها خلق الانسان على الارض وهي مجد الله . والغاية الثانية هي خلاص نفوسنا، وهذا ما علّمنا السيد المسيح ان نطلبه في الجزء الثاني من الصلوة الربية

الجزء الثاني : طلب خلاص نفوسنا

اعطنا خبزنا كفاية يومنا

« خلق الله الانسان مركباً من نفس وجسد . ففكّر سيدنا يسوع المسيح، عند ما علمنا الصلوة الربية ، في حاجات الجسد وأمرنا بان نطلب ما هو ضروري ولازم لحفظ حياتنا الجسدية كيما نتمكن من خدمة الله بها ونخلّص نفوسنا . وهذا ما عنى بالعبارة « اعطنا خبزنا كفاية يومنا » فطالما ثابرت البشرية على الاتكال على الله في طلب ما هو ضروري ولازم لحياتها كان تعالى يهبها ، رغم قلة الوسائط ، كل ما تحتاج اليه . فهل سمعنا في الزمان القديم بالموت جوعاً . ان آباءنا واجدادنا كانوا عندما يتكلم احد قدامهم عن فاقة بعض الناس ، يجاوبون : وهل يموت احد جوعاً ؟ ، ذلك لاعتقادهم ان الله يهب برحمته القوت الضروري لكل البشر .

الابتعاد عن الله يحدث الفاقة

لكننا عندما تركنا فكرة الله تعالى واردنا ان نتكل

على اختراعاتنا العصرية وحدها لنقوم بحاجات الجسد ، كانت النتيجة ان هذه الوسائط ، التي اكثرت الانتاج ، وظن الانسان انه يصير بواسطتها في مأمن من الموت ، بل تجعل الانسان ، على ما تدعي المدنية العصرية ، بمعزل عن الله في بحبوحة العيش وسعة الغنى ، كانت النتيجة الحقيقية انه اصبح في الازمات الحاضرة معرّضاً لخطر الموت جوعاً . فمن كان يظن ان روسية التي طالما قرت بمنتوجات سهولها الخصبة كل اوربة تصبح عند تركها الله عرضة للموت جوعاً ؟

من كان يظن ان الولايات المتحدة وانكلترة الواسعة الاطراف وكل اوربة واميركة ، التي كثرت فيها الاختراعات الحديثة ، تقوم فيها جيوش مؤلفة من عشرات الملايين زاحفة على عواصمها ، طالبة كسرة خبز ، لان الجوع يهددها بالموت وذلك رغم كثرة منتوجاتها ، بل بسبب هذه الكثرة عينها

« وهذا جبلنا الصخري قد طالما قاتت اهليه صخوره القاحلة ايام كانوا رغم فقرهم يعيشون متكلين على الله فينيلهم كل ما يحتاجون اليه في هذه الحياة . فلما كثرت بيننا المهاجرة واكتسبنا منها كل اختراعات المدنية العصرية ، واردنا ان نجعل بلادنا بواسطة مساعدة الشعوب الراقية في مأمن من الجوع والفاقة ، وتركنا الله واتكلنا على انفسنا وعلى الوسائط البشرية ، كانت النتيجة الازمة الحاضرة التي تكاد تذهب بحياة ابناء البلاد .

« فلنرجع الى الله يا اخوتي ولنطلب منه ببساطة القلب ان يعطينا خبزنا كفاية يومنا . فان هـذا الاب الحنون ، اذا ما التجأنا اليه ، يعطينا ما نحن بحاجة اليه . ولا سبيل الى اعادة الراحـة الى البشر برفع الازمات ونيل ضروريات الحياة الا برجوعنا الى الله واتكالنا عليه ، لانه هو وحده مصدر كل الخيرات .

اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا

« وما هي حياة الجسد بالنسبة الى حياة النفس ؟ فبعد ان اجتزأ سيدنا يسوع المسيح بعبارة واحدة لطلب حاجات الجسد ، خصّ باقي الطلبات في الصلوة الربية بطلب حاجات الحياة الروحية والحال ان حياتنا الروحية لا تقوم الا بحالة النعمة . وبما ان الخطيئة تحرمنا النعمة ، فقد علّمنا اصلاح الماضي بطلب مغفرة خطايانا ، قال عزّ وجلّ : اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا . لكنه وضع شرطاً للحصول على الغفران ، وهو ان نغفر بدورنا لكل من اساء الينا . وبدون تتميم هـذا الشرط لا يمكننا ان ننال المغفرة . وهذا تعليم واضح في الانجيل المقدس لا يقبل الريب ، وقد صرّح به السيد المسيح بعد ان علّمنا الصلوة الربية قائلاً : «ان لم تغفروا للناس فابوكم ايضاً لا يغفر لكم زلاتكم» . وضرب لنا مثل ذلك العبد الذي كان سيّده قد سامحه بدينه ، وعندما لم يسامح هو رفيقه عاد فكبّله بالقيود وطرحه في الظلمة البرانية

«وهـذه المغفرة يجب ان تعمّ ، بالمحبة المسيحية ، اقاربنا

وجيراننا، اعداءنا ومضطهدينا، فكم بالاحرى سائر ابناء الطوائف الذين هم اخواننا، كما بيّن لنا جلياً سيدنا يسوع المسيح في مثل ذلك السامري الذي اعتنى باليهودي، عدوّ جنسه، لما سقط في ايدي اللصوص فاثخنوه جراحاً وتركوه بين حي وميت

« فالمسيحي الحقيقي هو الذي تعمّ محبته وبالنتيجة مغفرته سائر ابناء جنسه، من اية طبقة وحالة وطائفة كانوا، لاننا كلنا ابناء الله ويحق لكل واحد منا ان يرفع الحاظه الى العلاء ويقول: ابانا الذي في السماوات. وبما اننا ابناء اب واحد فكلنا اخوة

لا تدخلنا التجارب

« لكن مغفرة الخطايا الماضية لا تكفينا بل يجب ان نسلك طرق الوقاية للمستقبل، وذلك بطلب النعمة التي لا بد منها لكي ننتصر على التجارب. ومن ثم علّمنا سيدنا يسوع المسيح ان نقول: « ولا تدخلنا التجارب »

« فكما ان السيد المسيح سمح للشيطان بان يجربه لكي ينتصر عليه ويرجعه مخذولاً هكذا يسمح بتجربتنا لكي يقدم لنا فرصة الانتصار، اذ لا انتصار بدون حرب ولا حرب بدون عدو

نجنا من الشرير

« ومتى انتصرنا على التجربة ننجو من الشرير الذي هو الشيطان عدو البشر. وهذه هي الطلبة الاخيرة في الصلوة الربية « نجنا من الشرير »

« فان اكبر ضربة تنهال على رأس الانسان هي تلك اللعنة التي يسمعها الهالكون في الدينونة الاخيرة : « اغربوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس وجنوده » . وانما اولئك الجنود هم الذين يطيعون الشيطان بارتكاب الخطيئة فيقفون انفسهم لعمل الشرير . فاذا ما نجونا منه بنعمة الله تعالى ننال في اليوم الاخير البركة عوضاً عن اللعنة، ونسمع الله يخاطبنا معزياً قائلاً : « تعالوا يا مباركي ابي، رثوا الملك المعدّ لكم من قبل انشاء العالم . وهذا الملك هو الحياة الابدية التي هي غايتنا الاخيرة .

« هذه هي الحياة التي قصدنا ان نشرح لكم وسائطها بشرح الحقائق التي تهدينا طريق الخلاص . فلا تكونوا مثل بيلاطس الذي عندما كلّمه سيدنا يسوع المسيح عن الحقيقة، سأله : وما هي الحقيقة ؟ ثم خرج ولم يسمع جوابه عنها . وانتم يا مؤمنون قد سمعتم هذه الحقيقة، فاستفيدوا منها لاصلاح حياتكم بروح الصلوة . قد اجتهدنا في هذه السنة كما في السنين الماضية في ان نشرح لكم الحقائق المسيحية ببساطتها . وهذه فرصة نحسبها اسعد ايام حياتنا لاننا نتمكن من تتميم واجبنا الرعائي نحوكم في هذا الصوم المبارك، ويا حبّذا لو قدرنا، كما يقول الانجيل، ان نجمع ابناء الله الى واحد، وهو معرفة الحقيقة واتباعها بحفظ الوصايا ونيل النعمة بالوسائط التي اعطانا اياها السيد المسيح، والوصول الى الغاية الوحيدة التي لاجلها خلقنا وهي خلاص نفوسنا » .

خطاب

في

تكريم شهداء دمشق

وهو الخطاب الذي القاه سيادته نهار الاحد ٣ حزيران ١٩٢٧
في الكاتدرائية المارونية في دمشق حفاوةً
بتكريم الشهداء الثلاثة المسابكيين

قال :

انّ الاستشهاد نعمة مجانية لا يهبها الله الّا للذين يكونون قد عاشوا عيشة مسيحية مقدسة بالمحافظة على وصاياه ووصايا الكنيسة . وان الاخوة المسابكيين قد عاشوا تلك العيشة المقدسة فوهبهم الله ان يجودوا بتضحية حياتهم لاجل الدين بطيبة خاطر .

« إن مجد الشهداء في السماء هو ممّا لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب . بشر اضف مجد ابطالنا الشهداء الطوباويين في هذه الدنيا ايضاً بالاكرام الذي قدّمه لهم الحبر الاعظم ذاته والشعب المسيحي » . ان عناية الاب الاقدس في تثبيت هؤلاء الشهداء والمهمة الدقيقة التي القاها على عاتق

المونسنيور سالّتي واتمامها السريع الكامل بفضل ذلك المعتمد البابوي المقدام البارع القدير. إن ارتباط المسابكيين الأخوة استمّر في حياتهم ومماتهم وبعد استشهادهم بتلك الرهبانية الجليلة العظيمة رهبانية مار فرنسيس الاسيزي رجل الله ورجل المحبة ورجل الفضائل الساروفيمي هو الذي سهل لهم طريق الخلاص الابدي واكليل الشهادة في السماء وشرف الارتفاع على المذابح. اننا نقدم شكرنا الوافر الى غبطة البطريرك الماروني الذي عزّاه الله بهذه الانتصارات الدينية السامية الاولى في تاريخ الطائفة المارونية والشرق. وأحيي بكلمة مفعمة بالحب والجذل سيادة راعي الابرشية المطران بشاره الشمالي اذ إن الله خصّه بهذه النعمة بنوع سريع وعجيب لم يرد له مثيل في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية. أخيراً اختم كلامي بالدعاء لله طالباً منه تعالى بشفاعة الشهداء الثلاثة الاتحاد المسيحي الحقيقي في المحبة والحقيقة والسلام لجميع ابناء البلاد.

رسالة رعائية

في

الاداب المسيحية

سنة ١٩٢٤

المقدمة

نمو الحياة الروحية في ابرشية بيروت – ابتداء دخول فساد الغرب الى الجبل – فساد الساحل وبيروت

الجزء الاول

ركن الاداب المسيحية – قداسة الافعال البشرية – السعادة لمن حفظ الاداب، والتعاسة لمن خالفها – العقاب الابدي

الجزء الثاني

بيان الحق من الباطل – الطهارة اجمل زهرة في شجرة الاداب المسيحية – عبادة الشهوات سبب فساد الاداب – على المتسرين الانفصال عن سرياتهم – التواضع والكبرياء – نتائج الكبرياء : الانتحار والمبارزة

رسالة رعائية

في

الاداب المسيحية

سنة ١٩٢٤

نمو الحياة الروحية في ابرشية بيروت

لا يسعنا في بداءة هذا الصوم المقدس الا ان نبدي لكم ما شمل قلبنا من الفرح عند ما شاهدنا في اثناء زيارتنا الرعائية النجاح الروحي والمادي آخذين في النمو بينكم . رأينا شعبنا عائشاً في السعة رغماً عن الأزمة الحاضرة وعايناه قد رجع بعد تلك الحرب الطاحنة التي بلبلت نظام العيشة الدينية والادبية الى روح التدين والمواظبة على الأسرار المقدسة والاقبال على سماع كلام الله والرياضات الروحية فشكرناه تعالى على ذلك كثيراً .

ابتداء دخول فساد الغرب الى الجبل

لكن قد خالج فؤادنا الخوف عندما علمنا ان بعض ضروب الخلاعة قد وصل الى آخر حدود جبلنا المقدس وكنا نظن ان هذه المعاقل الحصينة العالية هي احصن وامنع من ان تطأها اقدام العدوّ . فقد تسرّب اليها شيء من الازياء المستهجنة بسبب المهاجرة والاختلاط ودخلها روح التسرّي وعدم احترام روح الزواج المقدسة بسبب ما يسمونه « الحرية الشخصية » وصرنا نشاهد كثيرين من الشبان والبنات استناداً الى هذا المبدأ المغلوط مبدأ الحرية الكاذبة يتسامحون مع نفوسهم بالاختلاط والانفراد دون

رقيب او مناظر فكثرت الحوادث المكدرة من الغش والخداع . وتزداد هذه الحوادث وقوعاً وخطورة في المصايف حيث يكثر الفساد واللهو والخلاعة مع لعب القمار والبخت والمراهنات وهضم حقوق الغير وكل ما ينافي العدل والاداب المسيحية كأن الناس بدلوا الضمير المسيحي بضمير مغشوش واسع .

فساد الساحل وبيروت

وما نراه قد ابتدأ في الجبال قد تعاظم في السواحل حيث يحتشد الناس للارتزاق وحيث يختفي الغريب عن الأبصار ظاناً انه يستطيع ان يختفي عن اعين الله . وبنوع اخص في مدينتنا بيروت العزيزة بمن فيها من الطبقة الراقية . وبكونها اصبحت عاصمة لبناننا الكبير ومحط رحال المرتزقين وطلبة العلم . فقد وصل فيها الفحش الى حدٍ لا يطاق إذ انتشر في اكثر الاحياء منها نساء مومسات موقرات بالخطايا جعلن بيوتهن اعشاش الفساد والدعارة . وذلك بسبب مهاجرة الكثيرين اليها من الاجانب وبينهم نساء اتخذت الفساد تجارة فيختلقن من الخلاعة الواناً اغراء للشبيبة فامسى شبابنا عرضةً لفقد آلاداب السليمة وللامراض الوبيلة وفناء النسل لتأخير الزيجة او الامتناع عنها وباتت شبابنا هدفاً للخلاعة في الملاهي والمراقص لاسيما وقد دخل مدينتنا عادات اجنبية من تمثيل صور متحركة وروايات خلاعية واستحمام مختلط وغير ذلك مما يقضي على آلاداب فان دام الحال على هذا المنوال رصلنا بلا ادنى ريب الى نقص هائل وفناء سريع . وما تبقي عليه المهاجرة الاميركية يجهز عليه الفساد فنصبح أمة ذاهبة الى الانقراض .

ومما زاد في الطين بلة ما تسرب الينا في هذه الآونة الاخيرة من الهوس الجنوني الى المبارزة والانتحار . الأمر الذي كان غريباً عن ديارنا بالكلية ولم يكن ذلك سوى نتيجة قراءة القصص الخيالية التي يعظم واضعوها هاتين الرذيلتين كأنهما من اعظم افعال البطولة وشرف النفس

- ١ -

ركن الاداب المسيحية

فعند هذا المشهد المحزن المتأتي بدون ريب عن ترك قواعد الاداب المسيحية لم نرَ بدأ ايها الابناء الاعزاء من ان نضع امام عيونكم صورة هذه الاداب الجميلة لتروا قداستها وسموها وسعادة الذين يتخلقون بها ويتمشون عليها في هذه الدنيا وفي الأخرى . وقباحة ورداءة الشذوذ عنها بالمبادىء او بالعمل وسوء المصير في الدارين . وذلك قياماً بواجباتنا الرعائية وغيرة على شرفكم وراحتكم وخلاص نفوسكم . متخذين سنداً لكلامنا معكم العقل النطقي المستنير بنور الوحي الالهي .

(ثم افاض سيادته في بيان ما تقوم به الاداب السليمة المسيحية وما ترتكن اليه من العقائد المقدسة واقوال السيد المسيح لاسمه السجود وبعدئذٍ قال :)

قداسة الافعال البشرية

خلاصة ما تقدم ان ما تقصده الاداب المسيحية كمادّة لتقوّمها وتجعلها صالحة هو الافعال البشرية فتقدس هذه الافعال بقداسة الغاية التي هي مجد الله وبقداسة العلة الصوريّة التي هي حكمة الله السامية الواضعة النظام الطبيعي وارادة الله الآمرة بحفظه وبقداسة العلة الفاعلة التي هي قوى النفس المتأهبة والمرتفعة الى ما فوق طبعها بالفضائل الادبية والألهية وبقداسة العلة المثالية التي هي الشريعة الطبيعية ومثال سيدنا يسوع المسيح .

فعلى قواعد هـذه الاداب يهذب المسيحيون افعالهم . وعلى هذا الاساس الغير المتزعزع وُضعت اساسات الكنيسة المقدسة التي انتصرت على ابواب الجحيم في كل عصر ولا تزال ولن تزال اعظم قوة ادبية في العالم كما يقر بذلك اكبر اعدائها .

السعادة لمن حفظ الاداب والتعاسة لمن خالفها

وقد دعم الله تعالى هذه الاداب بدعائم متينة لا تتزعزع فرتب على حفظها سعادة الانسان في هذا العالم وبعد الموت وعلى مخالفتها فقد هذه السعادة والحصول على الشقاء الزمني والابدي .

فمن هذه الدنيا يبتدئ عقاب الاثمة اولاً بقلق الضمير الذي يعذب صاحبه ليلاً ونهاراً فلا يكون له سلام : لا سلام للمنافقين يقول الرب (اشعيا ص ٤٨ عد ٢٢) فالغضب والسخط والشدة والضيق على نفس كل انسان يصنع السوء (رومية ص ٢ عد ٩) فاذا فحصتم بواطن الأشرار كلهم من قاين الى يوداس ومن يوداس الى المسيح الدجال فلا تجدون فيهم راحةً ولا سلاماً البتة بل قلقاً دائماً واضطراباً مميتاً .

ثانياً بالامراض وقصر الحياة ولو على الغالب فالادواء الفاضحة والامراض الموبقة وانواع الانسلال والاعتلال اكثرها مسبب عن الرذائل التي تحل الجسد رويداً رويداً حتى تذهب بحياته . وقد صرّح بهذا التهديد عزّ وجلّ في سفر تثنية الاشتراع حيث قال : ان لم تطع الرب الهك حافظاً رسومه ووصاياه تأتي عليك كل هذه الضربات وتنصبّ عليك كل هذه اللعنات . يضربك الرب بالسلّ والحمىّ والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك (ص ٢٨ عد ١٥ وما يليه)

ثالثاً — يفقد ثقة الناس واعتبارهم فاي احترام للارذال في عقول الحكماء . وعبثاً يقول الانسان في نفسه اني اخفي رذائلي وشروري فلا خفي الاّ ويظهر ولا مكتوم الاّ ويعلم « متى ص ١٠ عدد ٢٦ » فهذا يتم طبيعياً لانّ الاناء ينضح بما فيه . ويتم ايضاً بعقاب من الله الذي يفضح غالباً غش المرائين الذين يظهرون خارج الاناء وباطنهم مملوء خطفاً وشراً « متى ص ٢٣ عدد ٢٥ »

العقاب الابدي

ولكن هذا العقاب الوقتي لا يكون سوى مقدمة لما يذخره الله للاثمة بعد الموت فانه هنا يضرب ليشفي ويقسو ليرحم ولكن اذا لم يستفد الاثمة من هذا الدواء فانهم بقساوة قلوبهم يذخرون لنفوسهم الغضب ليوم الغضب واعتلان دينونة الله العادلة « رومية ص٢ عدد ٣ » فمن يمكنه ان يصف هول ذلك اليوم العظيم يوم يأتي ديان الاحياء والاموات في مجده ويجلس على عرشه وتجتمع لديه كل الامم ويميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء ... ثم يبرز الحكم على الاشرار بقوله : اغربوا عني يا ملاعين الى النار الموقدة المعدة لابليس وجنوده واي عقل يدرك شدة ذلك العذاب الدائم ؟ « متى ص ٢٥ عدد ٤١ وما يليه » . .

فالويل والوف من الويل لمن لا يحفظ شريعتك يا رب !

هذه هي آخرة من زاغ عن شريعة الله عن مبدإٍ او بالعمل وعاش كالفرس والبغل اللذين لا لجام ولا فهم لهما .

امّا نحن ايها الابناء الاعزاء فهل نقدر ان نسكن في النار الآكلة وفي المواقد الابدية « اشعيا ص ٣٣ عد ١٤ » فلنحذر هذه العاقبة ولا نقتفِ آثار الاثمة بل لنقتدِ باجدادنا ذوي التدين والتقوى ولنحافظ على الآداب المسيحية التي تتكفل باسعادنا في هذه الدنيا وبعد الموت . ففي هذه الدنيا نتمتع بالسلام وبراحة الضمير : إن الذين يحبون شريعتك يا الله لهم سلام جزيل وما لهم معثرة (مز ١١٨ عد ١٦٥)

ونكون غالباً من طوال الاعمار ونحصل على الرقي الحقيقي وثقة الناس واحترامهم : انا معه في الضيق فانقذه وامجده ومن طول العمر اشبعه واريه خلاصي (مز ٩٠ عد ١٥)

لكن هذه كلها ليست شيئاً بالنسبة الى السعادة الابدية التي اعدها الله للذين يحبونه فما اجمل وما اعذب سماع ذلك الحكم المحبوب الذي يحكم به لابراره عند ما يهتف نحوهم قائلًا : هلمّ يا مباركي ابي رثوا

الملك المعدّ لكم منذ انشاء العالم وما اعظم الفرح الذي يشملهم عندما يذهبون الى الحياة الابدية (متى ٢٥ عد ٣٤ وما يليه) وما اشرف حظنا ايها الابناء الاعزاء اذا حصلنا على هـذه النهاية . هذا آخر كلامنا في اصول وعلل الآداب المسيحية وقد رأيناها كلها مقدسة فمن الضرورة ان تكون كل فروعها مقدسة لانه لا تستطيع شجرة صالحة ان تثمر ثمراً رديئاً (متى ص ٧ عد ١٨)

فمن الواجب علينا جميعاً ان نضع هـذه الاداب نصب عيوننا ونهذ فيها كل يوم حتى نقوّم عليها اخلاقنا واعمالنا ونتحذر من كل ما يضادها هو شريرٌ ورديءٌ وموبق وموصل الى الهلاك الابدي . ولكن لا بدّ لنا من ان نذكر بنوع خاص بعض فروع للآداب المسيحية مبيّنين جمالها الخصوصي ضدّ بعض آفات بدأت تنتشر في هذه الايام وقد اشرنا اليها في مقدمة كلامنا معكم .

— ٢ —

بيان الحق من الباطل

قد ألمعنا ايها الابناء الاعزاء في مقدمة كلامنا معكم الى جملة شرور قد بدأت تتفشى في بلادنا اخصها : اولاً روح الاباحيـة الذي يدكُّ طهارة الآداب المسيحية من اساسها فيلاشي قداسة الزوج وعفاف الشبان والعذارى والارامل تحت طيّ مبدأ الحرية الشخصية الكاذب .

ثانياً : روح العظمة الكاذبة الذي يلاشي التواضع المسيحي وينقض اساس الفضائل كلها بدعوى الشرف الانساني فهذا الروح هو الذي يدفع صاحبه الى الانتحار خوفاً من العار او الى طلب المبارزة بحجة المدافعة عن الشرف المهان او تحصيله .

ان الدين المسيحي يقدم لنا في آدابـه النقية فضيلتين مختصتين به لمداواة هذه الشرور وهما فضيلتا الطهارة والتواضع .

فكأن البشر لم يعد يروقهم في هذه الايام المتأخرة جمال هذه الفضائل المسيحية فآثروا ان يرجعوا الى عبادة اللذات الفاسدة والشرف الكاذب . فانفجرت من هذه الينابيع الفاسدة انواع الشرور وزعزعت اركان الهيئة الاجتماعية واتصلت حتى الينا . فقياماً بالواجب الرعائي نبين لكم في هذا الجزء الثاني من رسالتنا الحق من الباطل والغث من السمين لئلا تنخدعوا ببهرجة اقاويل ضالة ومضلة .

الطهارة اجمل زهرة في شجرة الاداب المسيحية

الطهارة هي اجمل زهرة في شجرة الآداب المسيحية . فهي الصفة الجوهرية في الله التي تجمع فيها كل الصفات وكأن الملائكة يختصرون كل صفات الله ويحيونها بهذه الصفة اذ يمجدونه قائلين : قدوس قدوس قدوس (اشعيا ص ٦ عد ٣) . فاراد الله تعالى عزّ وجلّ ان يشرف بهذه الصفة جنسنا البشري الذي خلقه على صورته ومثاله . فكانت الموهبة الاولى والسامية التي منحها للانسان هي موهبة القداسة ولاجل حفظ هذه الموهبة منحه بقية المواهب اي الحكمة والقوة والسلطان على امياله

فالطهارة هي مجد الطبيعة البشرية وكرامتها وجمالها هي في النظام الادبي كوشي الازهـار واخضرار الرياض وبياض الزنبق ولمعان الذهب وبريق الالماس في النظام الطبيعي . بل بالاحرى ليس تحت الشمس شيءٌ يوازي قيمتها او يشبهها (ابن سيراخ ص ٢٦ عد ٢٠) فهي الفضيلة المحبوبة التي اذا حضرت يقتدى بها واذا غابت يشتاق اليها وعلى مدى الدهر تفتخر باكليل الظفر بعد انتصارها في ساحة المعارك الطاهرة (حكمة ص ٤ عد ٢) فاليها اشار المرتل في قوله مناجياً الله : من هو الانسان حتى تذكره وابن الانسان حتى تفتقده انقصته عن الملائكة قليلًا بالمجـد والكرامة كللته وعلى عمل يديك سلطته (مز ٨ عد ٥) . فالطوبى للاطهار الطوبى للانقياء القلوب فانهم يعاينون الله (متى ص ٥ عـد ٨) نعم ان

الله قدوس ولا يتجلّى الاّ للقديسين والطهارة هي التي تقرب الى الله (حكمة ص ٦ عد ١٨)

فبحسد الشيطان خسر ابوانا الاولان هذه الصفة واتلد من جرى ذلك في جسد الانسان سنّة الميل الشرّير الى الفساد التي سماها القديس بولس سنّة الخطيئة (رومية ص٧ عد ٢٣) . ولما اراد مخلصنا الالهي ان يُصلح فساد الجنس البشري فاول غاية قصدها غرس شجرة الطهارة الجميلة . فاختار لذاته اماً كلية الطهارة والقداسة والهمها ان تقيد ذاتها بنذر الطهارة الكاملة طهارة النفس والجسد معاهـدة الله تعالى ان تبقى بتولاً الى الابد لا تعرف رجلاً (لوقا ص ١ عد ٣٤) والهم سابقـه القديس يوحنا الصابغ ان يحفظ العفاف الكامل واختار القديس يوسف البتول ليكون مربّياً له ومحامياً لطهارة مريم امّه وخصّ بمحبة ممتازة القديس يوحنا الانجيلي التلميذ الطاهر مسلماً اليه العناية بوالدته الكلّية القداسة وهو معلق على الصليب (يوحنا ص ١٩ عد ١٦) وهكذا هذا الحمل النقي اراد ان يجعل كنيسته المقدسة كجنة بهيّة تجمع فيها كل انواع الاشجار والازهار ولاسيما الزنبق والسوسن لانه الحمل النقي الذي يحب ان يرعى بـين السوسن (نشيد ص ٢ عد ١٦) .

ولذلك نادى في بدء بشارته بشرف فضيلة الطهـارة ووضع اساساً لنوعين من الطهارة اي طهارة المتزوجين وطهارة المتبتلين فرد الزواج الى وحدته وحرّم الطلاق ورذل الاباحية (متى ص ٥ عد ٣٢ وص ١١ عد ٤) واباح عدم التزوج لاجل ملكوت الله (متى ص ١٩ عد ١٢) ونهى عن كل زنى فعلي وقولي وفكري (متى ص ٥ عد ٢٧) واراد ان يكون الانسان كلي النقاوة باطناً وظاهراً حتى يستحق ان يعاين الله في الملكوت السماوي .

وقد اعتنق دعوة التبتل الوف مؤلفة من الشبان والعذارى مكرسين عفتهم لله متفرغين لخدمة الانجيل ومساعدة اخوانهم في الانسانية بعضهم باعمال الرحمة الروحية وبعضهم باعمال الرحمة الجسدية والجميع يهتمون في

ما هو الرّب (١ كورنتس ص ٧ عد ٣٢)

وكل الشعب المسيحي في العالم كلّه على مدى الاجيال قد خضع بكل فرح لشريعة وحدة الزواج المقدسة اي رجل واحد وامرأة واحدة لا يفصل بينهما الا الموت لان الله بهذا السرّ جعلها جسداً واحداً وما جمعه الله لا يفرقه الانسان (متى ص ١٩ عد ٦)

وقد قدم يسوع المسيح لكنيسته افعل الوسائط لحفظ طهارة الآداب اي اعطاها جسده المقدس ودمه الطاهر مأكلاً ومشرباً روحيين تحت اعراض الخبز والخمر ووعدنا بالمعونة ضد تجارب الزنا كل مرة نلتجئ اليه (متى ص ٢٦ عد ٤١) وامرنا ان نتجنب كل ما يكدر صفاء الطهارة او يسبب فقدانها كالنظر المنحرف او اللمس المحرّم او التردّد الى المحلّات المشبوهة واضعاً امامنا العقاب الرهيب المعد للادناس (متى ص ٥ عد ٣٩)

عبادة الشهوات سبب فساد الآداب

فبقيت هذه الفضيلة مزدهرة ونامية في الديانة المسيحية حتى كانت آداب المسيحيين على مدى الاجيال موضوع اعجاب وفخر يندهش لها كل من ينظر اليها من الامم . الى ان قام قوم من المتعبّدين لشهواتهم فداسوا هذه الموهبة السماوية تحت اقدامهم كما تدوس الخنازير الجواهر الكريمة (متى ص ٧ عد ٦) واحتقروا نذر العفة الدائمة ودنسوا نير وحدة الزواج ونادوا بشريعة الطلاق ضدّ شريعة الانجيل المقدسة ومهّدوا بذلك السبيل للاباحية حتى يكون على زعمهم الحب حرّاً . وهكذا اطلقوا الانسان من كل قيد ادبي يوجبه العقل ويأمر به الله . وانزلوه منزلة البهيمة بل الى احط منها لان البهيمة لها غريزة تتقيّد بها فلا تتجاوز حدودها . اما الانسان فلا قيدَ له الاّ العقل فاذا كسر هذا القيد وداس شريعة الله فلا يعود يعرف حدوداً لفساده . ومن ثم كان هؤلاء وامثالهم اكبر حجر عثرة في سبيل آداب المسيحية . وقد تفجرّت من هذه البالوعة

في اوربا تعاليم الفلاسفة الكذبة والماديين والروايات الخلاعية والاستحمام المختلط والصور المتحركة المخلة بالآداب والازياء المتهتكة والرقص الشهواني وغير ذلك كثير من ضروب الخلاعة والفساد فذهب الوف ومئات من الشبان والعذارى فريسة لها وبكلمة واحدة نقول : انه لو لم يُبقِ الرب الاله بقية لاصبحنا مثل صادوم واشبهنا عامورة (رومة ص ٩ عد ٢٩)

مقاومة الكنيسة للخلاعة

فقامت الكنيسة المقدسة في وجه هؤلاء تناهضهم لترد عن ابنائها هذا الطوفان المنتن المهلك للبشرية رافعة صوتها بافواه احبارها الاعظمين واساقفتها وخدامها الانجيليين مبينة للناس العقاب الرهيب الذي ينزله الله آجلاً او عاجلاً باصحاب هذه الرذيلة مذكرة اياهم كيف انه تعالى لم يشفق على العالم القديم بل اتى بالطوفان على عالم المنافقين وجعل مدينتي صادوم وعامورة رماداً وقضى عليهما بالانقلاب عبرةً للذين سينافقون (٢ بطرس ص ٢ عد ٥)

فنحن ايها الابناء الاعزاء نتقدم اليكم باحشاء يسوع المسيح قدوس القديسين ان تصونوا نفوسكم من كل زنى وان تبتعدوا عن كل ما يشوّه جمال ادابكم المسيحية ونوصي الشبان والبنات خاصةً ان يتزينوا بهذه الفضيلة الملائكية محافظين على فضيلة الاحتشام المسيحي مواظبين على تناول الاسرار المقدسة والعبادة الحارة لا سيما عبادة سيدتنا مريم العذراء متقيدين باحدى اخوياتها . وننهاهم عن غشيان المراقص الغير المهذبة والمراسح الخلاعية ومطالعة الكتب الفاسدة ومعاشرة الأشرار ونذكر الجميع رجالاً ونساء ان اعضاءهم صارت بالمعمودية اعضاء يسوع المسيح أفنأخذ اعضاء المسيح ونجعلها اعضاء للزانية وان اجسادهم هي هياكل الروح القدس الحال فيهم فحاشا لنا ان ندنس هياكل الله (١ كورنتس ص ٦٠ عد ١٦)

على المتسرين الانفصال عن سرياتهم

وانا نأمر لا نحن بل ربنا جميع المتسرين ان ينفصلوا عن سراريهم ويرجعوا الى نسائهم الشرعيات منذرينهم على مثال القديس يوحنا المعمدان لهيرودس وهيروديا العاهرين بغضب الله القريب . مذكرينهم ان من اقترن بزانية صار معها جسداً واحداً (فيه عد ١٦) ويكون نصيب الاثنين في بحيرة النار والكبريت وليكن الزواج مكرماً في كل شيء ومضجع اهله نقياً لان الزناة والفساق سيدينهم الله (عبر ص١٣ عد٤) ونطلب من كهنة الرعايا واعيان الطائفة في ابرشيتنا ان يساعدونا على حفظ الآداب خصوصاً في الجبال لتبقى كما كانت حصن الآداب السليمة والدين

وعلى كهنة الرعايا ان يرفعوا الينا دائماً اسماء المشككين والمتسرين لنستعمل لهم العلاجات اللازمة .

كما اننا نستنهض جمعية ارباب الحكم على ان يأخذوا الاحتياطات الضرورية لحفظ الآداب العمومية لان اضرار رذيلة الدنس في المجتمع الانساني لا يجهلها احد لما تسببه اذا عمت من وقوف حركة الاعمال والبطالة والامراض الوبيلة وانواع السل والحميات وفقر الدم وبلاهة العقل والجنون وفناء النسل وما شاكل ذلك من الامور التي هي من اخص واجبات الحكومة ان تعني باستئصالها . فقد انتبه الى ذلك بعض ارباب السلطة في دول اوربا فحرموا دخول الكتب الخيالية الى اراضي دولهم ومنعوا المسارح الخلاعية وحصروا بيوت المومسات في محلات بعيدة عن مجتمع الناس قصد ملاشاتها . فما المانع من ان تقتفي حكومتنا آثار مثل هؤلاء دفعاً للبلاء الذي يتهدد بلادنا .

ثم اننا نأمر كهنة الرعايا ان يسهروا على قداسة سر الزواج وان ينبهوا العلمانيين مراراً الى هذا الواجب المقدس وانهم ملتزمون حسب وصية ربنا ان لا يخالطوا الزناة وانه ان كان بينهم احد المسيحيين زانياً او متسرياً بنوع مشتهر فلا يواكلوه خبزاً بل ليرفعوا من بينهم الشرير (١ كورنتس

ص ٥ عد ٩) ونكرّر امرنا لكهنة الرعايا بأن يمنعوا الاسرار المقدسة عن النساء والبنات اللواتي يتقدمن اليها بملابس تضادّ الحشمة المسيحيّة .

التواضع – والكبرياء

بقي لنا كلمة معكم ايها الابناء الاعزاء عن الفضيلة الثانية التي هي من الاهمية بمكان في آدابنا المسيحية وهي فضيلة التواضع . ان عدو الجنس البشري قد طعن ابوينا الاولين بحربة الكبرياء طعنة نجلاء فكان الجرح عميقاً وذا خطر عظيم الى حدّ ان ابناء البشر مع ذلهم وحقارتهم وعبوديتهم لابليس قد اتصلوا مرات عديدة ان يدعوا الالوهية . وكم من الملوك الاشوريين والمصريين والرومانيين وغيرهم قد رفعوا لنفوسهم التماثيل الذهبية في الهياكل وطلبوا من الناس ان يؤدوا لهم العبادة اللاترية . فقصة بختنصر ملك بابل مع الفتية الثلاثة (دانيال ص ٣ عد١) وفرعون مع موسى وبني اسرائيل (خروج ص ٥ عد ٢) وهيرودوس مع الصدوقيين (اعمال ص ١٢ عد ٢١) ونيرون الملك وامثاله اشهر من نار على علم .

ان ابليس خزاه الله نفث هذا السمّ الزعاف في الطبيعة البشرية عند ما قال لأبوينا : انكما في يوم تأكلان من ثمرة المخالفة تنفتح اعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشر (تك ص٣ عد٥) . من ذلك الوقت نشأ روح التمرّد على السلطة الابوية والدينية والمدنية وانتشب الخصام بين الناس وباكورة القتلة كان قاين ابن آدم . من ذلك الوقت تمردت الشهوة على العقل والعقل شمخ مرتفعاً على الله . وصار بدلاً من ان يؤدي المجد لله وحده ينسب مجد اعماله لنفسه كأنه هو مبدأ كل ما فيه من ذكاء وصفات حسنة ومقدرة وغنىً وعبثاً يسمع صوت ضميره وصوت الوحي ينادي : ماذا لك يا هذا ولم تأخذه (اكورنتس ص ٤ عد ١٧) . فهو ابعد من ان يعتقد ان الله هو مبدأ كل خير . وهكذا قد غمط نعمة المولى سبحانه وتعالى وانكر فضله وجرّ على نفسه الشقاء والهلاك .

فمخلصنا الالهي لاسمه السجود قد عرف عظمة هذا الداء وعمق هذا الجرح واراد ان يقدم له الدواء الشافي ومن مجرد النظر الى الكفارة التي احتملها ابن الله عن كبرياء البشر نعرف الى اي حد قد اتصلت بهم الكبرياء.

فلمحة بصر الى ما التحق بيسوع المسيح في دار قيافا وفي بلاط هيرودس وايوان بيلاطوس وعلى طريق الجلجلة وفوق الصليب من الاهانة والعار والآلام المبرحة كافية لترينا ما اعظم جرح بني آدم.

ان الله مصدر كل خير فاليه وحده يجب ان يرجع كل مجد. فمجده تعالى هو غايته في كل اعماله. ويجب ان يكون هذا المجد غاية كل خلائقه الناطقة وغير الناطقة. غير ان المسئولية لا تقع الا على الخلائق ذات الفهم والحرية. فلهذا سقط الملاك والانسان لأنهما لم يؤديا المجد لله (اشعيا ص ١٤ عد ١٤ واعمال ١٢ عد ٢٣)

ان ابناء البشر يظنون انهم يجدون سعادتهم في العظمة والكبرياء. فقد ساء ظنهم. إن الكبرياء تجعلهم ممقوتين امام الله وامام الناس وشأنها ارتكاب الأثم امام الفريقين. الكبرياء اول الخطايا ومن رسخت فيه فاض ارجاساً (ابن سيراخ ص ١٠ عد ٧ و١٥) ولهذا فإن الله يقاوم المتكبرين (٢ بطرس ص٥ عد ٥) اذ هو غيور على مجده: مجدي لا اعطيه لغيري يقول الرب (اشعيا ص ٤٢ عد ٦) ومن كان الله ضده فهل من سعادة له. والناس يكرهون المتكبر لانه يريد ان يستعلي عليهم كأنه ليس واياهم من طبقة واحدة. وهل يليق ان يتكبر التراب والرماد (ابن سيراخ ص ١٠ عد ٩) ولذلك انزل الرب باصحاب الكبرياء نوازل غريبة ودمرهم عن آخرهم فشل الرب عروش السلاطين واجلس الوضعاء مكانهم قلع الرب اصول الامم وغرس المتواضعين مكانهم قلب الرب بلدان الامم وابادها الى اسس الارض محا الرب ذكر المتكبرين وابقى ذكر المتواضعين بالروح (فيه عدد ١٦ وما يليه) ان يسوع المسيح الآتي الى العالم ليرد الناس عن هذا الضلال ويدلهم على موضوع سعادتهم ينادي الجميع قائلاً: تعلموا مني اني وديع

ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم (متى ص ١١ عد ٢٩) .

نعم لا راحة ولا سلام الا بالتواضع الذي يضع كل شيء في مركزه ويعيد النظام ويرفع الله ويحط الخليقة ويؤدي لكل ذي حق حقه ليعطي المجد من يحق له المجد والاهانة من تحق له الاهانة فيهتف مع المرتل قائلاً : لاسمك يا رب اعطي المجد لا لنا يا رب لا لنا (مز ١٣) اما نحن فلنا خزي الوجوه لاننا اخطأنا اليك (دانيال ص ٩ عد ٧)

فالسيد المسيح حتى يستأصل من قلوب رسله كل اصول الكبرياء ويغرس فيهم عروق التواضع لبث يهذبهم مدة ثلاث سنوات بكلامه ومثاله نازعاً من قلوبهم كل حب للرفعة والتسلط مبيناً لهم في مواطن كثيرة كيف يجب ان يستعملوا السلطة التي يخولهم اياها اي انهم يعدون السلطة هبة من الله لخير المرؤسين لا للتأله والعظمة فقال : قد علمتم ان الذين يعدون اراكنة الامم يسودونهم وعظماءهم يسلطون عليهم واما انتم فليس فيكم هكذا ولكن من اراد ان يكون عظيماً فيكم يكون لكم خادماً ومن اراد ان يصير فيكم الاول يكون عبداً للجميع ومن رفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع (مرقس ص ١٠ عد ٤٢ ومتى ص ٢٣ عد ١٢)

وهكذا قد علم المرؤوسين الخضوع لرؤسائهم ولسلطتهم كانها سلطان الله عينه بكلامه وبمثاله فعلى هذه الاخلاق نشأ المسيحيون وتربوا في الكنيسة مدى الاجيال حتى قام الفلاسفة الكذبة ونفخوا في اوربا روحاً جهنمياً كفرياً يضاد على خط الاستقامة روح الانجيل فالهوا العقل البشري واقاموا الشرف في مقام الله وألغوا الحلف باسم الله وبالانجيل واخرجوا الصليب من المحاكم وكتاب الله عن منصة القضاء وصاروا يقسمون بنفوسهم من دون الله وكان انسان الخطية ابن الهلاك قد ظهر وترفع فوق كل من يدعى الهاً او معبوداً وجلس في هيكل الله مظهراً من نفسه انه هو الله (٢ تسالونيكي ص ٢ عد ٣) .

من نتائج الكبرياء : الانتحار والمبارزة

اننا لو جئنا نعدّد لكم ايها الابناء الاعزاء نتائج الكبرياء الوخيمة التي اتت اثاراً مرة جداً للجنس البشري لاسيما في هـذه الايام الاخيرة لطال بنا المجال ولكنا نقتصر على نتيجتين قد انتشرتا في اوربا واتصل تأثيرهما الى بلادنا في هذه الآونة الاخيرة وهما الانتحار وطلب المبارزة.

قد ظن البعض ان الانتحار ناتج عن شيء من شرف النفس ونبالة الاخلاق وانه فعل من افعال البطولة . فقد ساء ظنهم فما هو سوى نتيجة الكفر والهوس القبيح والشهوة الجامحة والحسد واليأس والجبـانة وفساد المخيلة وخصوصاً نتيجة قراءة القصص الخيالية العشقية التي حامى فيها الروائيون عن الانتحار كانه فعل شهامة .

ولقد اصاب بعض من بيـدهم السلطة في بعض دول اوربا بمنعهم الكتب القصصية من الدخول الى ارض دولهم لما رأوا من وراء تداولها من فساد الاحكام العقلية والاخلاق . فالانتحار في عرف كل الشعوب ما هو الا لطخة عار لا تمحى وان كان بعض الكتبة الوثنيين قرظوه فلم يكن ذلك عن اقتناع باطن بل ليستروا جبانـة بعض اشخاص من الاشراف سبّب انتحـارهم عاراً وخجلاً كبيرين لأهلهم . فكل الامم كان عندهم هذا الاعتقاد ان المنتحرين يحكم عليهم بالاحزان والعذابات المؤبدة وهذا هو حقيقة راهنة لان الانتحار هو فعـل يضاد على خط الاستقامة النظام الطبيعي الذي رسمته الحكمة الازلية . فان الله خلق الانسان ليدرك غايته الاخيرة اي السعادة . ولاجل هذه الغاية اعطاه الحياة اي ليشتغل حتى يدرك الحياة الابدية ولم يسلط احداً على حياته سلطة مطلقة وربوبية قصدية في نفسه وجسده فلا يقدر ان يملك نفسه من احد ليتصرف به كما يشاء ولا يقدر هو ان يتصرف بحياته كما يشاء وبالتالي لا يقدر ان يقتل نفسه بدون ان يكون متعدياً على سلطان الله الذي يصرح قائلاً : انا اميت وانا احيي (تث ص ٣٢ عد ٣٩) وقال الحكيم مناجياً الله : ان لك يا رب

السلطان على الحياة والموت (حكمة ص ١٦ عد ١٢)

وبناء عليه فلا يجوز للأنسان ان يقصر حياته قصداً لان الزمان الذي اعطيه كله ضروري لتكميل مقاصد الله الذي ينهى كل احد قائلًا : لا تقتل (خروج ص ٢٠ عد ١٣)

فالكنيسة المقدسة قد امرت في قوانينها بحرمان الدفنة الكنسية كل من يقتل نفسه قصداً وهذا القدر كاف لتقبيح هذا العمل الذي تنفر منه الطبيعة . قلنا يقتل حياته قصداً اخراجاً للقتل الذي يحصل ضمناً بدون فعل صاحبه وذلك عند القيام بواجب مقدس كالمدافعة عن الوطن وملازمة خدمة المرضى في ايام الوباء ورفض المجاهرة بالكفر اذا تهددنا حاكم ظالم بالقتل ان لم نخضع لامره وما شاكل ذلك فان قبول الموت في مثل هذه الظروف والاستشهاد هو من الافعال السامية التي تستحق كل اطراء واعجاب بل هو من الفروض الواجبة على كل مؤمن وصاحب وظيفة .

المبارزة

اما المبارزة فاقل ما نقول فيها انها بقية قبيحة من عصور البربرية يجب على كل سلطة دينية ومدنية ان تبذل كل جهد في استئصالها . وقد وصفها المجمع التريدنتيني بقوله : انها استعمال مكروه قد ادخل باختراع الشيطان (ج ٢٥ راس) ولا حاجة ان نطيل الكلام في اظهار قباحتها حسبنا ان نقول انها ضد شريعة الله القائل : لا تقتل .

فالمبارزة تتضمن الانتحار وقتل القريب معاً وكلا الاثنين شرٌ باطنيٌ ومضاد للشريعة الطبيعية وبناء على ذلك فلا داعي يسوغ لاحد طلب المبارزة او قبولها .

قد يدعي المتبارزان انهما بذلك يدافعان عن شرفهما او يحصلانه . فمهما كان الشرف عزيزاً فالحياة هي اثمن منه بل اثمن منه ايضاً سلامة الاعضاء لانها اكثر ضرورة منه لتحقيق مقاصد الله فينا فضلًا عن ان الشرف

والصيت يمكن تعويضهما بثبات صاحبهما على الاعمال الصالحة والفضيلة حتى ولو كان قد خسرهما بذنبه . واما الحياة او احد الاعضاء فاذا فقدا فبماذا يعوض عنهما .

وفوق ذلك فهل يظن مثل هؤلاء انهم بطلب المبارزة يردون الشرف المهان ؟ فقد ضلوا باعتقادهم لان الشرف لا يعوض بفعل من طبعه ان يهدم كل شرف لان المبارزة مكروهة عند الجميع ومضادة للعدل وللعقل ومملوءة من القساوة ومقاومة للشريعة الطبيعية . فضلاً عما تسببه المبارزة من التفجع للعيال بخسارة شبان كان اهلهم يعلقون عليهم الآمال الكبيرة فذهبوا فريسة الطيش والهوس .

فعلى السلطة المدنية ان تسعى باستئصال شأفة هذا الداء قبل تمكنه وتعد كل طلب للمبارزة احتقاراً لسلطتها لان الانتقام للذنوب هو من خصائصها لا من خصائص الافراد . فكل طالب للبراز يعتبر بعمله هذا ان الحكومة اما عاجزة عن القيام بواجبها واما عارية من العدل وهذا شينٌ للحكومة واهانة لشرفها . اما السلطة الكنسية فقد استعملت كل ما بيدها من الأسلحة لمنع الناس عن المبارزة فهي ترشق بالحرم الكبير الذي يقع فيه من ذات الفعل كل من يباشر المبارزة او يحرّض عليها او يقبلها او يخالط فيها او يعاون عليها او يؤيد استعمالها او يحضرها قصداً من باب الفرجة او يأذن بها او لا يمنعها وهو قادر على منعها ولا يستثنى من هذا الحكم صاحب مرتبة ولو كانت مرتبته ملكية او سلطانية او رئيس جمهورية

واذا اتفق ان مات احد المتبارزين في حال المعركة او خارجاً عنها فالمجمع التريدنتيني وكتاب الطقوس الروماني يحكمان بحرمانه الدفنة الكنسية حتى ولو ابدى قبل موته امارات التوبة

فاحذروا ايها الابناء الاعزاء ان يدب هذا الروح الخبيث فيما بينكم ويقودكم الى ارتكاب هذه الجناية الفظيعة التي تحط من شرفكم وتجعلكم مرذولين امام الله وامام الناس وتعرضكم للهلاك الابدي .

لانمنعكم ان تحاموا عن شرفكم وصيتكم بالطرق الجائزة واللائقة . واهم هذه الطرق المحافظة على آدابكم المسيحية وتجملكم بالفضائل الراهنة ومقاومتكم للأميال الفاسدة فقد قيل : في الامثال : ان يشينك لنفسك وان يزينك لهي . يعني ان الذي يهدم صيت الانسان ويعطل شرفه هو اتباعه اميالة الفاسدة والذي يربح له الصيت الحميد ويشرفه هو اعماله الصالحة وصفاته الحميدة .

وبالاجمال نقول في ختام كلامنا معكم ايها الابناء الاعزاء : ان الله خلقنا للسعادة وجعل لنا شريعته المقدسة وبعبارة أخرى الآداب المسيحية طريقاً لها .

فاذا شئتم ان تحصلوا على خيرات الارض والسماء وتحصلوا على السلام والشرف وراحة الضمير في هذه الدنيا والمجد الابدي في الأخرى فحافظوا على الاداب المسيحية احفظوا الوصايا (متى ص ١٩ عد ١٧)

القسم الثاني

الخطب السياسية

خطاب

عيد الفصح

نهار الاثنين الواقع في ١٨ نيسان سنة ١٩٢٧ القى سيادته
خطاباً بليغاً بعيد قيامة السيد المسيح وكان حاضراً
جمع غفير في مقدمتهم المسيو دي ريفي والجنرال
غملان وبعض القواد والاعيان

قال سيادته :

« إن عيد القيامة هو اساس الايمان المسيحي لانه اكبر برهان على الوهية السيد المسيح ولهذا يفرح المسيحيون اليوم جزيل الفرح في جميع انحاء العالم متذكرين بالفخار قيامة سيدهم التي كانت اعظم حادث تاريخي وقع على سطح الكرة .

وهذا الفرح يضاعف عندنا نحن معشر المسيحيين في الشرق لان عيد القيامة يذكرنا بقيامة أخرى صارت في بلادنا وهي ان الاسم المسيحي الذي بعد ان مرت عليه عندنا ازمات كادت تلاشيه ويموت عاد فتجدد عائداً الى الحياة بواسطة اجدادنا الذين لجأوا عن حكمة فائقة الى هذه الجبال القاحلة فكانت خير حمى لايمانهم واستقلالهم .

على ان هناك مساعداً كبيراً عاون اولئك الاجداد على الفوز في جهادهم وبسبب معاونته تلك الشمينة الفعالة تمكنوا من صيانة وطنهم وحفظ استقلالهم . وما كان ذلك المساعد غير الدولة الكريمة النبيلة التي سميت بكل حق « ابنة الكنيسة البكر » تلك الدولة التي قال عنها رجل فرنساوي عظيم انها جنديّ الله بمرسليها وجندي الخير بحسناتها وجندي الانسانية بمساعدتها للشعوب الضعيفة .

فلكم اراني اليوم سعيداً يا صاحب الفخامة لتمكني من تحية هذه الدولة العظيمة التي كانت سبب قيامتنا بشخصكم الكريم الذي يمثلها الآن . وكم انا سعيد لتمكني من تحية جنديها الباسل الذي كان احسن واسطة للمحافظة على تلك القيامة . لانه لم يكن ليتردد لحظة قط عن سفك دمه محافظة على لبناننا وردّ اي اعتداء عن بلادنا . فانا احييه الآن اخلص تحية بشخص ممثل قائده العام حضرة الكولونيل الماثل الآن ما بيننا .

اما تلك الصلة المكينة لمواصلة تلك القيامة فانما كانت البحرية الفرنساوية التي اغتبط اليوم كل الاغتباط لتمكني من تحيتها بشخص ممثل الاميرال الشاخص الآن ما بيننا اجل اني احيي في هذه الساعة هذه البحرية الكريمة تحية خاصة لأنها شاءت ان تقوم في هذا النهار بمثل ما عودتناه قديماً عن ابداء عواطف الولاء الشريفة فذهبت ببوارجها الى مرفأ جونية حيث يتلطف كبار قوادها بزيارة ذلك الشيخ الجليل بطريرك طائفتنا

مبرهنة بذلك على ان فرنسة لا تنسى اصدقاءها القدماء . وان هذه الزيارة لهي احسن جواب على تلك السفاسف التي دوّنها بعضهم ضدّ هذا الشيخ الجليل الذي كان ولم يزل نابض القلب بحب فرنسة واني لمتأكد ان الحكومة الفرنساوية وعقلاء الفرنساويين هم غير راضين عن مثل تلك الترّهات لانهم يعرفون جميعاً ان البطريرك الماروني وابناءه الموارنة انما كانوا اصدقاء فرنسة منذ الساعة الاولى وسيبقون اصدقاءها حتى الساعة الاخيرة وعلى هذا يا صاحب الفخامة اشرب نخب فرنسا وجنديتها وبحريتها آملاً ان تبقى دائماً ساهرة على هذا الوطن العزيز محافظة على استقلاله . »

قنبلة بكفيا

وهو الخطاب الذي القاه سيادته في بكفيا بين جمع غفير من
الاهالي بعد ظهر الاحد في ٢٦ آب ١٩٢٨ ضد الامير
جورج لطف الله الذي اراد الوصول الى رئاسة
الجمهورية بواسطة المال وكان يرافق
المطران مبارك المطران
عمانوئيل فارس

موضوعه – لبنان لا يُباع ولا يُشرى – وقد لُقب « بقنبلة بكفيا »

انه يتسنّى لسيادتكم ان تظهروا هذه الشهامة بالوطنية في مصر ولبنان لمناهضة عمال يشتغلون لشراء لبنان وابناءه بالدرهم . فكأن الشارين باعوانهم يقولون للبنان ما قاله يوماً ذلك المهلك لرومة يوم دبّ في قلب ابنائها الفساد : « ايتها المدينة الدنيئة لا ينقصك الاّ شارٍ يشتريكِ » واعوان المشترين يدّعون انهم اشتروا الكبار والصغار من رؤساء الدين الى الحكومة الى النواب الى الاعيان : فكأن لبنان وابناء لبنان سلعة تباع وتشرى .

فنحن نعلن الآن ما يكنه قلبنا وفكرنا من زمن طويل وهو انه ما دام يوجد بطريرك لبناني واصحاب شهامة من مختلف الطوائف ونوّاب واعيان يسري في عروقهم دم الشهامة

اللبنانية فلبنان لا يُبـاع ولا يُشرى وبما ان المسألة مسألة مبادئ فنحن نعلن الحرب على هذه الدعاية محتجين بكل قوانا باسم الشهامة الوطنية وعزة النفس اللبنانية . وليعلم المتاجرون النفعيون اننا نقاوم بكل ما فينا من القوى العقلية ومن الارادة الصلبة تلك المساعي السافلة لأن من يريد ان يصل الى المنصب الاعلى في لبنـان بالدرهم يمكنه ان يبيع لبنان واستقلاله بالدرهم . فاعلاني هذا يحامي عن اقدس واجب لدينا وهو واجب الاستقلال اللبناني .

قنبلة مار مارون

القاها سيادة المطران مبارك في قاعة كنيسة مار مارون
في ٩ شباط سنة ١٩٣٣ ضد رئيس الجمهورية
شارل دباس

« اني اشكر اولا جميع الذين حضروا هذا العيد من سائر ابناء الطوائف المسيحيين والمسلمين الذين بحضورهم عوضوا عن حضور من اعتادوا ان يحضروا هذا العيد وبرهنوا الان على صحة ما قلته في الكنيسة ان القديس مارون ليس ابا للطائفة المارونية وحدها فقط بل اباً للبنان كله ولسائر طوائفه كما ان الامير المعني شاد كنيسة وديراً لمار مارون في مجد المعوش ومن تحت ديره تتدفق مياه نبع الصفا التي تنير بيروت وما اليها

اراد اخواننا المسلمون ان يشتركوا معنا بهذا العيد ليؤيدوا معنا بان مار مارون هو مؤسس لبنان اني اشكركم بالاحتفال القلبي الذي تحتفلونه بهذا العيد دون المظاهر الخارجية ومن اين لنا ان نفرح بهذه الايام الضيقة المحزنة وكنا نود لو اشتركت الحكومة الوطنية بحدادنا ولكن كيف نشركها وهي لها اليد الطولى في بؤسنا وفقرنا

تعجبون اليوم من هذه اللهجة وقد عجبت بعض الجرائد التى قرأناها والتي كانت مؤيدة لجورج لطف الله بدرهمه الشخصي واليوم تدافع عن رئيس الحكومة بدرهم الشعب ان هذه الجرائد تعجبت كيف ان المطران مبارك غير لهجته نحو رئيس الحكومة مع انها تذكر كيف ساعده في السابق.

اني اجاوب رئيس الحكومة وليس للجرائد عليّ جواب لاني اعرف كيف تسير هذه الجرائد

اقول هذا وانا اعلم ان بيننا مدير استخبارات سيبلّغ رئيس الحكومة ما اقوله بالحرف. ومع ذلك لست اتردد فيما اقول وارغب الى مدير الاستخبارات ان يبلّغ رئيس الجمهورية ما قلته بحروفه

ان رئيس الجمهورية قام على كاهل الشعب اللبناني بفضل الخطاب الوطني الذي القيناه في مدرسة الحكمة طالبين من الافرنسيين حاكماً وطنياً لا افرنسياً لاننا نفهم بلغته ويفهم بلغتنا فحوّل الافرنسيون انظارهم نحو الدباس ولست اعلم اكان ذلك محبة بشخصه ام نكاية بغيره!

كنا نظن انه سيسعى لاسعاد البلاد فراينا منه في الثلاث سنوات الاولى اهمالا وعدم اكتراث ولما سالناه عن ذلك اعتذر بانه يدرس حالة البلاد ولا يمكن لرجل مهما كان ذكياً ان يتمم رغائب البلاد بدون درس

ثم بامر سيادة المثلث الرحمات البطريرك الحويك وبالاتفاق

مع المسيو موغرا اخذنا نساعد الدباس لينتخب رئيساً للمرة الثانية .

وتذكرون باية خطب حماسية رفعناه على الاكف فماذا كانت النتيجة ؟؟ زيادة ضرائب وازدياد ضربات وكسل واهمال وعدم اكتراث لضائقة الشعب اللبناني . فصرخ الشعب لرئيسه الوطني ان يشفق عليه فلم يلتفت اليه ولا كان فيه عرق ينبض ولا حاسة مشتركة مع فقر الشعب اللبناني وبؤسه عندئذ طلبنا من الافرنسيين تغيير هذا الرجل الذي لم يشعر مع الشعب . والذي قال لنا مرة عندما كنا نتكلم معه عن قيام الراي العام في لبنان ضده « وهل رأي عام في لبنان ؟ » وقال ايضاً :

« ان جمال باشا امات الشعب اللبناني جوعاً وعلق المسلمين والنصارى على اعواد المشانق ولم يجد رأياً عاما يقوم ضده » هذا هو كلام هذا الرئيس ولفرط رغبتنا بالتخلص منه بسلام وسكينة بسبب قلة شعوره واحساسه طلبنا من الافرنسيين ان يصلحوا الحالة وكنا حقيقة نريد ان نتخلص من هذا الرجل وتهاونه واذا باتفاق سري يجري بعد تلك المظاهرة التي قمنا بها وكان فيها اكثر من اربعة آلاف شخص طالبين الاصلاح بتخفيض الضرائب شفقة على هذا الشعب على ان يكون الاصلاح بواسطة غير الرئيس الحالي فسمعوا نداءنا بالمقلوب كما يسمعون اليوم نداءنا بالمقلوب ان الجرائد كانت مشتراة في

الماضي وهي مشتراة في الوقت الحاضر

وفي ٩ ايار اعلن الانقلاب فذهبنا تواً الى المسيو بونسو واحتججنا على بقاء هذا الرجل في رأس الحكومة اللبنانية فاعتذر عذره وقال لنا انه بسبب الاختلافات السائدة بين المرشحين فضل ابقاء الرئيس القديم لبضعة اشهر وهو عارف باحوال البلاد ويقدر ان يقوم بالاصلاح المنشود ولهذا اعطيناه ثقتنا لنجربه للمرة الثالثة وفي هذه المرة تنازل وزارنا في عين سعاده فلم تسمح لنا اللياقة الا برد الزيارة له

وبهذه المناسبة عادت المواصلات فكنا نزوره مرة بعد مرة لنطالبه بالحقوق اللبنانية وقلنا ان الشعب لا يفهم من الاصلاح سجن كبار الرجال ولا سواه بل تخفيض الضرائب ويا ليته اكتفى بقلة الشعور بل كنا نرى سخرية وهزءاً كمن يسخر بالفقير لفقره وبالميت في قبره .

ولما انذرناه لاخر مرة باسم العميد اللبناني البطريرك قال انه هو وحده المسؤول عن الحكومة ولا يحتاج الى وصي عليه عندئذ لم نجد بداً من الانقطاع عنه ثم يعجب بعد ذلك لاننا قاطعناه .

ولم نكن نشاء ان نجاوبه لولا المقالات التي يوحيها الى جرائده المشتراة فما دام الامر كذلك اردنا ان ننسحب من معاشرته ومصادقته لئلا ينسب الينا المشاركة بهذه القساوة القلبية في هذه الازمة وقد رأيناه يزيد الضرائب والضربات

ويوجب على الفقير بيع طنجرته وحصيرته لوفاء ضرائبه فما الفائدة اذا كانت لنا حكومة ومات شعبنا لذلك رأينا المقاطعة افضل وذهبنا لمخابرة الممثل الافرنسي رأسا اولا وثانياً ويا للعجب فمن ظنناه لا يفهم بلغتنا فهم وشعر اكثر من ابناء وطننا . ففهم الحالة وقرر الاصلاح بتخفيض والغاء المتأخرات وهذا كله كان بفضل المسيو بونسو الذى سمع نداءنا من اول مرة ذهبنا اليه وهو مستعد للاصلاح الكامل كي ينيل لبنان حقوقه والتفريج عن ابنائه للعدل لا للتشفي لهذا تجددت ثقتنا بممثل الحكومة المنتدبة رغما عن ضياع ثقتنا بممثل الشعب اللبناني وحتى تسمح لنا فرنسا ان نهتف لتحي فرنسا نطلب ان تسمح لنا اولا ان نهتف ليحي الشعب اللبناني .

نحن في هذا العيد يجب ان نطلب من القديس مارون ان يلين قلب المسيطرين الافرنسيين حتى يشفقوا على الشعب اللبناني اكثر من ابناء لبنان ويقوموا بالاصلاحات اللازمة ويغيروا من يرئسه بدون ابطاء خوفاً من ان هذا الشعب الهادئ الساكن الذي يريد الراحة والامان يثور والمثل العامي يقول « لا تزر الندل بتعملو المراجل »

لقد تهددنا البعض كما تهددونا في السابق

ذيول قنبلة مار مارون

اولاً « حفلة الثقة » في مدرسة الحكمة في ١٦ شباط سنة ١٩٣٣

ننشر فيما يلي وصف « حفلة الثقة » بسيادة المطران مبارك التي اقيمت مساء الخميس في دار مدرسة الحكمة

ما زالت الوفود اثر الوفود تتوالى على مدرسة الحكمة تشدد سيادة المطران مبارك في موقفه الشعبي المشرف، وتضع فيه كل ثقتها وتوكله توكيلاً مطلقاً للمطالبة بحقوقها، واسماع صوتها الى ولاة الامور.

وفي مساء الخميس أخذت الجماهير تتقاطر على المدرسة بغير سابق علم او موعد، فغصت بها ردهة الاستقبال والاروقة ولا يزال خيطها موصولا دون انقطاع، وقد ألح عدد كبير من الوجهاء والاعيان على سيادته بتلبية نداء الجماهير ليجتمع بالوافدين في مسرح المدرسة لانهم يودون الاعراب عن شعورهم نحوه، فنزل سيادته عند رغبتهم، فانتقلت الوفود الى قاعة المسرح حتى غصت بها، وعند الساعة السابعة دخل صاحب السيادة الى القاعة فقوبل بتصفيق يصم الآذان، وهتاف من كل شفة ولسان: (ليحي المطران مبارك الوطني)

ولما استوى سيادته في مقعده تكلم احد الكهنة بما

يناسب المقام ، ثم اعتلى المنبر صافي افندي زمار والقى خطاباً مستوعباً نرجئ نشره الى فرصة اخرى .

وتلاه الكاتب المبدع الاستاذ لبيب الرياشي ، فصعد الدكة بقدم ثابتة وجبهة عالية ، وقال :

خطاب الرياشي

يا ابناء لبنان

لقد فنشتم كثيراً عن رجل يحس مع المظلوم ، ويشعر مع الفقير ، ويتألم مع البائس ، ويبكي مع الحزين فلم تجدوه . اما هذا اللبناني الواقف امامكم فقد وجده بشخص المطران ، مبارك ، فقولوا معي هذا هو الرجل ؛ (هتاف متواصل هذا هو الرجل)

يا ابناء لبنان ، يا اخواني ، قد يتمدن الناس فتتوسع مداركهم ويضربون بقسط وافر من العلوم والفنون ، ويبلغون شأوا بعيداً من القوة والمنعة ، فيفتحون المدن ويدكون الحصون ولكنهم لا يخدمون الانسانية ، ولا يلمسون بايديهم بؤس الناس وشقاءهم وتعسهم .

ولكن هناك اناس آخرون يتألمون مع الانسانية المعذبة ، فيغوصون الى قرارة احزانها ، ويعمدون الى البلاسم يذرونها على جراحها ويقولون ها نحن نضحي بانفسنا في سبيل تخفيف الويلات والضربات .

وهذا الموقف ما شهدته قط من لبناني بل شهدته من صاحب السيادة المطران مبارك (فليحي المطران مبارك)

لقد امت هذا الصرح العامر وفود عديدة ترونها متراصة على بعضها في هذا الجمع الحافل ، ولكن وفداً غريباً لا تعرفونه ولا يخطر لكم في بال جاء في طليعة القادمين ، وهذا الوفد هو لبيب الرياشي الرجل الكافر يحيي اليوم رجل الدين المطران مبارك ، لانه يعبر عن ارادة كل فرد من ابناء هذا الوطن التعس

لم ادخل بيتاً منذ القى المطران مبارك خطابه السياسي ، الا ورأيت سكان ذلك البيت يشعرون بان قلب المطران مبارك يقطر ألماً وأسى معهم ويقولون فليحي (فليحي هتاف متواصل) فاسمح لي ان احييك باسم كل رجل حساس وكل رجل حي الضمير ، وكل رجل منصف من ابناء لبنان (تصفيق وهتاف)

خطاب المطران

وما ان وقف سيادة المطران مبارك حتى دوت القاعة بالتصفيق والهتاف واسرع الجمهور الى حمل المطران على الاكتاف ورفعه الى المنبر فادار نظره بالجماهير المحتشدة وقال :

يا اولادنا الاعزاء

اسمحوا لي ان ادعوكم اليوم « اولادنا الاعزاء » لاني احنو على جميع اللبنانيين حنو الاب على اولاده ، واشعر واحس بضيم كل فرد منكم كانه ابني الخاص فادعوكم ابنائي الاعزاء

اني شاكر لكم جميعاً هذه المظاهرة التي كانت غير منتظرة وغير مهيئة وقد اشترك بها اهالي لبنان فاختلط المسيحي بالمسلم والارثوذكسي بالماروني لان عملنا ليس لطائفة دون اخرى بل للبنان بجميع طوائفه

وهذا المسرح لو كان له فم يتكلم لشهد اننا نحن المطران الماروني ايدنا الرئيس الارثوذكسي عندما وعد بالاصلاح . ولا تنسوا ان صداقة شخصية تربطنا برئيس الحكومة قبل ان يكون رئيساً فاذا اعترضنا الان فلا غرض لنا الا رفع الضيم والضربات التي نزلت بالجميع بالمسلم والماروني والارثوذكسي سوية ، فاذا طالبنا برفع هذا الضيم فنكون طالبنا باسم الطوائف اللبنانية جمعاء

لا تعجبوا اذا كنا نشعر اكثر من غيرنا بضيمكم وبؤسكم وشقائكم فنحن دائماً نتجول في المدينة ونزور المنازل في هذه الايام ، ونسمع بكاء المحتاجين ، وانين الحزانى ، وصراخ الجائعين ونلمس فقرهم وبؤسهم ، ومع ذلك نراهم يطالبون بضرائب ثقلت كواهلهم فيطلب من التاجر اكثر مما يربح باضعاف ويطلب من العامل مضاعف اجرته

اننا نذهب الى الجبل فنزور القرى والدساكر حيث نشاهد بام العين الموارد قد جفت فالحرير مات ، والتبغ مات ، واغنى رجل لا يحصل عشر ليرات سورية فيطلب منه ان يدفع ضرائب مئة بالمئة ومئتين وثلاثمئة بالمئة ، ويطلبون من العامل والمزارع

ان يدفع ثلاثة اضعاف مدخوله، فهل هذا يطاق ؟

اذا تعدينا الجبال الى السهول الخصبة فنرى المحل قد شمل سهول عكار، وسهول بعلبك، وسهول البقاع وغيرها فالجباة يطلبون من هؤلاء الفلاحين الاعشار ليس بنسبة عشر غلّتهم بل بنسبة عشرة اضعاف غلالهم، ولذلك نرى الوفود تتوالى علينا وقد رأينا البؤس مخيماً والشقاء ضارباً اطنابه

ولضمان التحصيل نرى الجباة يسيرون مع الجنود فيبيعون فرشة الفقير ودسته، وطنجرته ولحافه وما فوقه وتحته ليقبضوا الميرة

لقد شاهدنا ويلات الحرب عندما كنا نخدم في كنيسة مار جرجس فكنا نتجول في الشوارع ونلتقط الموتى بالعشرات لنقوم بدفنهم

ان الجوع ينتاب لبنان اليوم اكثر من ايام الحرب، ويهدد السكان بالموت جوعا

لماذا جاءتنا فرنسا على اثر الحرب، هل جاءت تنتشلنا من الموت عام ١٩١٧ لنموت في عام ١٩٣٣ ؟؟

لا سمح الله، ولهذا لسنا بالثائرين الداعين لسفك الدماء كما صورتنا احدى الجرائد بقولها انهم من وراء ثوبهم الديني يعملون ثورة في البلاد

نحن لسنا بالثائرين ولا بالداعين للفتنة، بل نحن من الخاضعين للقوانين، والداعين للتمسك باهداب السلام والطمأنينة وانما

نطلب ان نعيش لنقدم ما تطلبه منا الحكومة لتعيش، فالاموات لا يقدرون ان يعيّشوا غيرهم

ونحن بما اننا نشاهد الفقراء والفقر، والبؤساء والبؤس، ونشاهد ونلمس الازمة الاخذة بخناق هذا الشعب، نعتب على الحكومة لانها لا تشفق وترفق بهذا الشعب المسكين، ولا تفكر الا بعمالها... اما الشعب فلا احد يفكر به ويهتم لامره

وسامحوني اذا قلت لكم ان الشعب اللبناني نظر الينا نحن الرؤساء الدينيين نظرة احتقار، لاننا لم نحام حتى الان عن حقوق هذا الشعب، فهذه النظرات كانت كسهام تغرس في قلبنا ولهذا شئنا ان نرفع صوتنا حتى لا يقال انه لا يوجد رجل في لبنان يدافع عنه، ولذلك رفعنا صوتنا حتى يشفق اولياء الامر وينظروا الى هذا الشعب البائس نظرة عطف وانصاف

لا تعجبوا اذا كان الرئيس الديني يدافع عن الشعب، لان الشعب لا يستطيع ان يتصل بحكامه واولياء اموره، اجل يتصل بنا دائماً، فالويل لنا اذا خرست السنتنا لنفهم الحكومة حاجات الشعب اللبناني، لهذا رفعنا صوتنا عالياً، ليس لاهانة احد، بل لنفهمهم ان في هذا الشعب اللبناني عرقاً ينبض، لاننا نطلب الحياة، واذا كنا نريد ان نعيش فلا نكون قد طلبنا ثورة، لقد اخذت الحكومة ما فوقنا وما تحتنا بضرائب مباشرة وغير مباشرة، فماذا يمكننا ان نقدم اليها؟ اننا نطالب بحقوق صريحة فلا تعجبوا اذا كنا نطالب بهذه

الحقوق بكل جرأة لان مطلبنا الحق

اذكروا القديس امبروسيوس مطران ميلانو عندما رأى بؤس الشعب وفاقته فلم يتمالك ان وجه كلامه الى الامبراطور تيودوسيوس الكبير وطرده اذا كان لا يعدل مع شعبه

اننا نذكر القديس يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية عندما وقف بوجه الملكة اودكسيا وأنبها على موقفها تجاه الشعب فارسلته الى المنفى ولم تخر عزيمته، وقال: «اني احببت العدل وابغضت الاثم لذلك اموت في المنفى»

اننا نذكر الحبر العظيم المطران بطرس البستاني يوم وقف في وجه رستم باشا الذي كان بطاشاً وشجبه بجرأة وشجاعة لضريبة خفيفة، فلجأ رستم باشا الى نفيه وكان المنفى شرفاً له، ولما عاد من المنفى استقبله الشعب اللبناني بكبيره وصغيره بنسائه ورجاله، وتظاهر له تظاهرة شعبية رائعة لانه عرف ان يحامي عن الشعب اللبناني بالمخاطرة في حياته وهنائه.

فلنا الشرف اذا حامينا عن حقوقكم، فلا يثنينا لا وعد ولا وعيد. وما قلناه في خطابنا الذي القيناه يوم عيد مار مارون نكرره الان وهو:

اذا شاءت فرنسا ان نصرخ باعلى صوتنا لتحي فرنسا، لتصرخ معنا فليحي لبنان، ولتصرخ معنا بعملها لا بقولها فليحي لبنان (هتاف متواصل)

الاقتراح الرياشي

واذا بالاستاذ الرياشي يعود فوراً الى المنبر ويخاطب تلك الجماهير بلهجة خلابة ، وبلاغة ساحرة ولا نحاول ايجاز كلمته الرائعة لئلا نفقدها شيئاً من رونقها ، وانما نقول انه اقترح على ابناء لبنان ان يقيموا نصباً عالياً للمطران مبارك في ارفع مكان من لبنان وقاطعه المطران مبارك قائلاً :

اننا نشكو من الضرائب في هذه الازمة فلا نريد ان نفرض على الناس ضريبة جديدة ، ولهم ان يعبروا عن شعورهم متى تحسنت الحال ، وانبسط اليسر .

اقتراح ثان

ثم اقترح الاستاذ لبيب الرياشي ان تطير برقية الى وزارة الخارجية الفرنسية وجمعية الامم والمندوب السامي بخلاصة ما جرى في ذلك الاجتماع فامن الجميع على اقتراحه وتفرق الجميع ، ثم اعدت البرقيـة لترسل اولا الى فخامة المندوب ثم الى المراجع المذكورة

خطاب البرنامج

بدأت الوفود تؤم مدرسة الحكمة مقر سيادة المطران مبارك منذ الساعة العاشرة من قبل ظهر الامس . وهذه الوفود من كافة الطوائف . ومن جميع الانحاء جاءت تعرب لسيادة الحبر المفضال عن شكرها له وامتنانها من وقفته ودفاعه عن حقوق البلاد. وفي الساعة الحادية عشرة وصلت الوفود الاسلامية للاشتراك باظهار عواطفها الصادقة وللدلالة على كون الامة متحدة يداً واحدة للذود عن حياضها ووقف الاستاذ اسعد الخوري الفغالي يهز الجوارح المهتاجة باغانيه الشعبية فزاد شحرور الوادي قوة النار المشتعلة في الاعصاب وتلاه الاستاذ فوءاد عازار فالقى خطاباً اعده الشيخ يوسف رزق الله حبيش فاقترح تأليف لجنة من الوفود برئاسة سيادة المطران تطالب باسم الشعب اللبناني برغائب ابناء البلاد التي دفعت بهم للمجيء الى هذا الصرح وهي :

١ : الغاء الضرائب المتأخرة

٢ : درس الوضع الحكومي الحاضر واجراء الموافق

٣ : الاحتجاج على تعطيل الصحف الشعبية

وقد وافق الناس بالاجماع على ذلك ثم طلب من الجموع

الموافقة على تفويض سيادة المطران بانتخاب لجنة الوفد الاساسية على ان تكون مختلطة برئاسته فوافقت ايضاً

سيادة المطران مبارك

واطل سيادة المطران مبارك على الجموع فهتفت له هتافاً عالياً واخذت الجموع تنادي بسقوط جريدة « لا سيري »

ووقف المطران في وسط هذه العاصفة الثائرة فاشرأبت الاعناق وتطاولت وارهفت الاذان لسماع كلماته فقال :

ان التفافكم حولنا في هذه التظاهرة الشعبية التي جاءت على غير ميعاد يذكرنا بحركة فيثاغور الفيلسوف اليوناني الشهير ، فان احد الفلاسفة السفسطائيين واظنه ديوجينوس كان يبرهن له بحدة ان الحركة لا يمكنها ان تكون موجودة . وفيثاغور يتمشى وهو صامت وصمته يزيد من حدة ديوجينوس الذي كان يتطلب جواباً على نظريته واخيراً قال ديوجينوس بنزق

« مالك لا تجيب جواباً على براهيني انت الذي يدعي الفلسفة والحكمة والمعرفة وما انت الا جاهل ؟!!

فاجاب الحكيم الصامت

ان اكبر برهان لاثبات امكان الحركة هو عمل الحركة .

ورجع يتمشى

هكذا ادعى يا اولادي الاعزاء البعض بان الشعب اللبناني لا يوالينا في احتجاجاتنا على فداحة الضرائب وانه معرض عنا

في رفعنا الصوت عالياً ضد اعمال الاصلاح التي تزعمها حكومة ٩ ايار ولكن هذه الجماهير المتقاطرة وفوداً وفوداً كل يوم منذ وقفتنا المعروفة في بهو مدرسة مار مارون تقصدنا من الجنوب والشمال من السهل والجبل من المدن والقرى تضم الغني والفقير والمسلم والمسيحي والارثوكسي والماروني والسرياني والارمني وجميع الطوائف والملل هي الجواب المفحم لما تبجحوا به من ادعاءات فارغة

النعامة والصياد

اما الحكومة فقد اصبحت كالنعامة التي تشيح برأسها تجاه الحائط فتظن ان الصياد لا يراها فهي تقفل الجرائد المعارضة حتى لا يصل صوتها الى آذانها ولا يسمع الشعب غير صوت الصحف الموالية المؤيدة، فتظن ان الرأي العام يحبذها وهو ناقم عليها وتجهل او انها تتجاهل وكيف لا ينقم عليها واول امر طلبه الشعب في ٨ ايار الماضي كان تخفيف الضرائب ذلك ما رددته الجماهير التي تألبت وقتها في هذه الساحة التي تضمكم اليوم. فهل عملت بمقتضى رغائب البلاد؟ واي اصلاح جرى حتى اليوم؟..

وكان الوعد مبادرة حكومة ٩ ايار الى تخفيف اعباء المكلفين اولاً. فماذا رأينا؟..

التوفيرات

رأينا توفيراً في الميزانية!.. اوقفوا الاشغال العامة التي كانت تغيث العمال الفقراء.. رأينا الغاء الوظائف قصد توفير الملايين التي وفرت لجيوب غيرنا فكأن الحكومة كانت هي تلك «الغولة» التي وجدت معزى صغيرة ضلت عن القطيع فحنت عليها واستاقتها الى وكرها حيث افترستها «تصفيق»

وان هذا الشعب المسكين لم يشعر بان الضرائب قد خفت اعباؤها وما يهمنا ان يكون الوفر قد افاد غيرنا؟..

اعمال الحكومة

عملت الحكومة ما عملته وليس لنا ان نحاسبهم على ظلمها الابرياء وقد خرج بعضهم من السجن الى المستشفى والبعض الآخر الى القبور واعترفت الحكومة فيما بعد بانها اتهمت ابرياء.

اهذه هي نتيجة الاصلاح؟..

ارسلت الاوامر في الاسبوع المنصرم الى القرى تفرض الضرائب الجديدة على بقرة الفلاح وحمار المكاري. وعندما تكلمنا في بهو المدرسة في مار مارون كنا قرأنا «عنواناً» ينوه بعزم الحكومة على تخفيف الضرائب فوفيناها حقها من الثناء.

احد الموتى

لا تعجبوا ، وقد عجب البعض ، وكاني بهم يقولون لي في هذا اليوم وهو « احد الموتى » اذهب واهتم للاموات ودع الحكومة تهتم للاحياء . فقد نسي هؤلاء ان واجب الرئيس الروحي هو رفع المصائب عن كاهل الفقراء ولا يزال بعضكم يذكر الامثال التي نوهنا عنها مساء الخميس الماضي من ان هنالك بابوات وبطاركة واساقفة عملوا ولا يزالون يعملون في الامور الزمنية خداماً لاتباعهم واشياعهم مضحين بانفسهم في سبيل ما يعتقدونه حقاً .

ما لنا وللتاريخ القديم فالشعب اللبناني خرج من الحرب الكبرى وقد مات نصفه ورأى ان الحلفاء يقصدون هضم حقوقه فتقدم الى المطوب الذكر البطريرك الحويك يسأله التدخل ويطلب اليه مد يد المعونة فلبى غبطته النداء وكان باولاده براً وعلى حقوقهم ذلك الجندي الامين ، وتكبد البطريرك الحازم ما تكبده من مشقات في سبيل ابناء بلاده وخدم بلاده خدمة ستذكرها له ابد الدهر وقصد باريس يحمل الوكالة المطلقة عن اللبنانيين يفاوض باسمهم على الرغم من شيخوخته . وقد اشترك هذا العاجز مع العميد الكبير بوكالته فتشرفنا بخدمة ومرافقة البطريرك العظيم وكنا اقرب الشاهدين لغيرته وتفانيه على خدمة لبنان والمحافظة على حقوقه ونذكر

تلك الجلسة التاريخية التي جلسها عميد لبنان امام كليمنصو فكأني به النعجة البريئة امام النسر الكاسر وهذه النعجة بفصاحة لسانها ورقة شعورها وتدفق عواطفها حرّكت عواطف ذلك النمر فاغرورقت عيناه بالدموع وقال كليمنصو للبطريرك:

« ايها الشيخ الجليل اطلب ما شئت وانا رهين طلبك »

وهكذا طلب فاجابه الافرنسي الكبير الى طلبه واعطاه تلك الوثيقة التي يجب ان تبقي اساساً للدستور اللبناني ويا حبذا لو حافظنا عليها بسائر بنودها لكانت اكبر واق من الشرور التي نشكو منها الان .

اما نحن فواجبنا الابوي كرئيس روحي يريد ان يرفع الظلم عن ابنائه وواجبنا الوطني كابن مخلص يغار على هذه البلاد اللبنانية وواجبنا التوكيلي الذي شرفنا به الشعب اللبناني بالاشتراك مع العميد اللبناني الاكبر .

ونظراً لكون هذه الجماهير الغفيرة اعادت الوكالة مجدداً لذلك سأتابع ما بدأت به عاملاً على خدمة هذه البلاد مضحياً في سبيل مصلحتها العامة وانني لمتأكد انني اعبر هنا عن افكار سائر اللبنانيين على اختلاف الطوائف سواء كانوا من لبنان القديم ام الجديد

برنامج سيادته

وجواباً على السائلين عن البرنامج الذي نتمشى عليه في سياستنا اقول ان ملخص برنامجنا الرجوع بلبنان الكبير الى

مثل النظام الذي كان في لبنان القديم بحكومة وطنية مصغرة ومجلس وطني مصغر ومنتخب من الشعب رأساً وبدرجة واحدة مع اعطاء رواتب مصغرة توافق فقر البلاد وتوزيع الوظائف على جميع الطوائف اللبنانية مع المحافظة على اهلية الاشخاص واستحقاقهم مع بعض تحويرات ضرورية يقتضيها التوسيع الذي طرأ على حدود لبنان القديم ونطلب استلام جاركنا لتسديد ميزانيتنا وتخفيض ضرائبنا بنسبة حالتنا الحقيقية » .

وانهى سيادة المطران خطابه بين عواصف التصفيق والهتاف الشديد

التظاهرة الثانية

وكانت جريدة « لاسيري » الافرنسية وقد كتبت حسب عاداتها مقالا بتوقيع صاحبها تهجمت فيه على صاحب السيادة وجاء في المقال تعابير تنافي الاداب فغضب الناس وتأثروا واحس سيادة المطران مبارك بنتائج المقال فخاطب تلفونياً الاب المحترم الخوري انطون عقل الذي خابر مدير البوليس واعلمه بضرورة المحافظة على الرجل « فيسيه » خوفاً من الجماهير الثائرة

قلة ذوق

وبالحال ارسلت مديرية الشرطة ستة من رجالها للمحافظة على مطبعة « لاسيري » كما انها ارسلت ستة للمحافظة على منزل الرجل وظل رجال الشرطة طوال يوم امس امام دار المذكور

الذي اعلم انهم يحافظون على حياته

وتقع دار معالي موسى بك نمور الى جانب دار صاحب « لاسيري » فاشرف موسى بك على الشرطة وعلم بالحادثة وكان وقت الغداء قد مضى ورجال الشرطة لا يزالون يقومون بما عهد اليهم به دون طعام فدعاهم موسى بك الى تناول الغذاء في منزله .

اما صاحب « لاسيري » فقد كان يغط في نومه بعد ان تناول الطعام ! . .

صباح الاحد

وفي صباح الاحد بعد الانتهاء من القداس وقف الاب انطون عقل والقى عظة دينية جاء في آخرها على ما كتبته « لاسيري » عن سيادة راعي الابرشية فتأثر الناس وبعد ان انتهى القداس خرجت الجماهير الى الشارع تنادي بحياة المطران مبارك وسقوط « لاسيري » وتألبت الجماهير وسارت بتظاهرة كبرى حتى وصلت الى ساحة الشهداء

فليحيى المسلمون

وتسارع رجال الشرطة الى تفريق المتظاهرين ، اما الجماهير فقد اخذت تهتف بحياة المسلمين ودوام التضامن المسيحي الاسلامي على ساحة الشهداء

وتابعت سيرها حتى بلغت دار رئيس الحكومة فاطل حضرة الرئيس ووعد الجمهور باقفال « اللاسيري » فهتف الجمهور بحياة

المطران مبارك هتافاً عالياً

في مدرسة الحكمة

وكان الهتاف يشق عنان الفضاء امام دار الرئاسة وشهد حي الاغنياء السراسقة غضبة الشعب امام دار الرئيس وتابعت الجماهير السير الى مدرسة الحكمة وكانت التظاهرة الاولى قد انتهت ففصت الدار ثانية بالوف الناس وامتلأت السطوح والنوافذ وازدحمت الجموع وانشد شحرور الوادي نشيداً جديداً وطلبوا الى سيادة الحبر الجليل القاء كلمة ثانية والحوا بالطلب فخرج سيادته والقى الكلمة التالية :

خطاب المطران مبارك

لقد اضطررنا لمخاطبة الوفود التي تقدمتكم وعلى الرغم من التعب الذي انتابنا يعز علينا جداً عدم النزول عند رغباتكم وتلبية ندائكم (هتاف)

نحن نشكر عواطفكم نحونا لا بل نحو الشعب اللبناني كله الذي نتكلم باسمه (هتاف) . لنا الشرف والحظ بان نحترم الشعب اللبناني برمته وعلى اختلاف طوائفه وملله فنحن للجميع على السواء (تصفيق وهتاف)

الوريقة البذيئة

واذا كانت وريقة بذيئة اهانت جميع اللبنانيين في الماضي

والحاضر فانتم تعلمون كيف يجب ان تعامل هذه الجريدة وسواها من الوريقات بالانقطاع التام عن قرائتها

والان يا اولادنا وقفنا لخدمتكم وخدمة مصلحة البلاد وقد اطلنا الشرح لمن سبقكم عن واجبنا الديني الذي يضطرنا للمحافظة على الفقير وواجبنا الوطني يدفعنا للمحامات عن جميع الطوائف واليكم البرنامج الذي سنسعى لانفاذه بعدما شاورنا جميع الطوائف التي اجتمعنا الى ممثليها

ثم ذكر ملخص البرنامج الذي ذكرناه سابقاً، وتابع كلامه قائلاً: وقد انابتنا الجماهير التي تالبت علينا والتفت حولنا في هذه الايام للدفاع عنها، والتكلم باسمها وسنواصل العمل على تحقيق امانيها.

ونحن يا اولادنا مستعدون لخدمة الجميع واذا اوجب الامر نسافر الى باريس لمواصلة المطالبة بحقوقنا

ورجاؤنا ان نصل الى مطالبنا من دون ما حاجة للالتجاء الى غير فرنسا التي كانت تحب لبنان ونعتقد انها لا تزال تحب لبنان

وختم سيادته الكلام بين التصفيق المتواصل وعاد شحرور الوادي الى الغناء مما اضطر المطران للكلام فقال قد انتهى وقت التظاهر وعرفنا انكم ملتفون حولنا والرجاء ان ترجعوا الى منازلكم وتخلدوا الى السكنية حتى تتركوا لنا مجال العمل مع غيرنا ممن تجردوا لخدمة المصلحة اللبنانية وفقنا الله الى ما فيه النفع لهذه الامة

برنامج سيادة المطران مبارك

السياسي والاداري في الجمهورية اللبنانية

استقلال لبنان — علاقته بالدولة المنتدبة — المحافظة على حقوقه الوطنية
اختصار الادارة — تنظيم القضاء — المالية والجمارك
المشاريع العامة — شركات الاستثمار

يوم وقف سيادة المطران مبارك وقفته المشهودة وحين ارسل صيحته الوطنية التي تجاوبت في جميع انحاء البلاد باصداء التأييد والاستحسان لم يشك احد من اللبنانيين في ان الاصلاح الحقيقي هدف سيادته الاسمى، وفي انه يظهر على ميدان السياسة اللبنانية ببرنامج صريح استوحى في وضعه الشعور العام بوطأة الضرائب والتكاليف، والرغبة الصادقة في تقويم ما التوى من الشؤون، وفي ان يسعد لبنان بابنائه وان ينعم اللبنانيون بعهد جديد سعيد يتذوقون فيه طعم الراحة والهناء وينصرفون الى مجاراة الامم الحية بتعزيز كيانهم السياسي والاداري والاقتصادي في ظل حكومة عادلة صالحة.

وبعد فنحن منتقلون بالقراء الى برنامج سيادة المطران مبارك، مقدمين الى الرأي العام اللبناني وثيقة تاريخية عزيزة:

الغاية

اولاً – توحيد الكلمة بين جميع الطوائف اللبنانية لمصلحة لبنان ونجاحه والقضاء على الغايات والاغراض الشخصية

ثانياً – مراعاة حقوق الطوائف بتوزيع الوظائف عليها بالنسبة لان التوزيع على هذا الاساس يزيل سوء التفاهم الطائفي ويوجد الاتفاق على المصلحة العامة وهذا لا يمنع انتقاء الاكثر كفاية في الطائفة للوظيفة المعينة لها .

ثالثاً – استعادة سعادة لبنان القديم في لبنان الكبير باختصار ادارته وتخفيف ضرائبه حتى ينعم ابناؤه فيه ، وحتى يعود الجيران الى ذكر « مرقد العنزة » كلما ذكروا لبنان

رابعاً – تنشيط الحركة الاقتصادية لتعزيز ثروة البلاد وانمائها بعد ان اصابها الجفاف في موارد الحرير والزيت والدخان وغيرها من المنتوجات الوطنية ، وانشاء المشاريع العمرانية كمشروع اليمونه في بعلبك ، والليطاني في البقاع ومصب الليطاني في سهول صور وصيدا ، واعمال الري في سهول نهر ابراهيم ونهر الجوز ، واكمال مشروع نبع العسل ، وتحقيق مشروع مرفأ بيروت ، وخط حيفا – بيروت – طرابلس ، واستبدال سكة بيروت – رياق بخط عريض وما يتبع ذلك من المشاريع النافعة التي تدر على البلاد موارد غزيرة وتوجد مرتزقاً لليد العاملة فلا تضطر الى طرق ابواب المهاجرة .

المبادئ

اولاً – استقلال لبنان بحدوده وحفظ كيانه

ثانياً – انتداب فرنسا انتداباً حقيقياً للارشاد

ثالثاً – تأجيل المعاهدة في لبنان لمعرفة النتائج التي تفضي اليها المعاهدة مع سورية

رابعاً – التفتيش عن مصلحة لبنان قبل كل شيء بالمحافظة على حقوقه الوطنية والسياسية والمالية والاقتصادية والزراعية والتجارية والصناعية وحماية هذه المصالح حماية صحيحة .

خامساً – ادارة المرافق المحلية كالجمارك وغيرها تحت اشراف الدولة المنتدبة للوصول الى الغاية المنشودة من تخفيف الضرائب المباشرة وغير المباشرة طبقاً لحاجة البلاد واحوال المكلفين .

سادساً – التفاهم مع ممثلي الدولة المنتدبة بتبادل الرأي بينهم وبين الوطنيين فيعرف المنتدبون حاجات البلاد الحقيقية ويراعون هذه الحاجات فيما يتخذونه من القرارات ويجرونه من التدابير

التنظيم الاداري

اولاً – حكومة وطنية على رأسها رئيس وطني

ثانياً – وزير فرد مع مجلس مديرين اختصاصيين اكفاء من الذين لا شبهة عليهم، ومسؤولية الوزير الفرد أمام رئيس الحكومة

ثالثاً – مجلس نيابي مصغر يسيطر على الموازنة والمصالح المالية وسن القوانين وتعديلها حسب حاجة البلاد وله حق ملاحظة اعمال السلطة التنفيذية دون ان تكون الوزارة مسؤولة امامه بطرح الثقة كما هي الحال في الولايات المتحدة، دفعاً للاستبداد البرلماني الذي كان بشكله المعروف ضربة على البلاد

رابعاً – انتخاب النواب على درجة واحدة والغاء حلقة من الحلقات الادارية الحاضرة وارجاع المدراء الى النواحي لان الشعب لا يعرف من الحكومة غير الشخص الذي يلامسه. والدرك غير كاف في حالته الحاضرة للاتصال الوثيق بنفسية الاهلين فمن اللازم ان يكون على اتصال بالشعب موظف اداري يستمع شكاويه وامانيه ويوصلها بأمانة الى المرجع الايجابي، مع العلم بان توسيع صلاحية هؤلاء الموظفين الاداريين عامل كبير في انتظام سير الادارة، وتسيير مصالح العباد

خامساً – «في العدلية»:

(ا) ارجاع المحاكم البدائية والغاء محاكم الصلح لانها لم تف بالمرام ولم توفر في الميزانية.

(ب) تخفيض رسوم الاستئناف التي تمنع اصحاب الدعاوى الفقراء من طرق ابواب المحاكم العليا

(ج) اعادة محكمة التمييز رأساً لهيكل القضاء لاصلاح الخلل الذي يمكن ان يقع في اعمال المحاكم واحكامها

(د) تثبيت القضاة بعد حسن الاختيار ليكونوا بأمن

من المؤثرات

(هـ) ارجاع الاحوال الشخصية الى الرؤساء الروحيين بعد ان ثبت بالاختبار ان ذلك اضمن واسرع لمصالح العائلة من امرأة وقاصر فلا تموت المرأة قبل تقرير معاشها ولا تضيق انفاس القاصر قبل انجاز معاملة متعلقة به .

(و) السرعة والدقة في تسيير اعمال المحاكم واقامة تفتيش جدي متواصل عليها .

سادساً — « في المالية »

(ا) اعادة النظر في الضرائب ومنع فداحتها وتحسين طرق الجباية والتوفيق في امر الضريبة بين حاجة الخزينة وحالة المكلف .

(ب) تخفيض الضرائب المباشرة كالتمتع في المدن وضريبة المسقفات في القرى حيث لا توجد اماكن يطرقها المصطافون ، وضريبة الاعشار لانعاش الزراعة وضريبة المقالع والبحر والانهر ، واثمان الطوابع الاميرية واوراق التمغة اللازمة للمعاملات المختلفة .

(ج) اخضاع الجمارك لادارة وطنية تسترشد بالدولة المنتدبة في رفع الرسوم الجمركية على المواد التي تنتجها البلاد لحماية زراعتنا وصناعتنا وتخفيض هذه الرسوم على ما نستورده من الخارج كالبنزين وخلافه مما لا وجود له عندنا وقد اصبح في حكم المواد الاولية اللازمة بنسبة الحاجة اليها .

(د) الاستفادة من اتفاق تركيا في قضية الديون العمومية لتخفيض مستوى هذه الديون عن كواهلنا لان تركيا وهي المديون الاصلي المسؤول عدلت اكثر من مرة الاتفاقات المعقودة بهذا الشأن بينها وبين حملة اسهم الدين .

(ه) تخفيض الرواتب نظراً لفقر البلاد واقامة المساواة بنوع خاص بين الموظفين اللبنانيين وغيرهم وتساوي الاجنبي والوطني في دفع المكوس الجمركية على المواد المستوردة وحمل شركات الاستثمار على تخفيض اسعارها الى حد معقول يستفيد منه الفقير والغني على السواء .

(و) وضع مراقبات وطنية على حسابات شركة سكة الحديد وهذا مبدأ يبرره وجود الضمانة الكيلومترية فلا تعود الحكومة تدفع مبالغ طائلة في كل عام بالنسبة الى ما تقدره الشركة سنوياً من الخسائر .

سابعاً — « النافعة والزراعة »

(ا) الاهتمام بكل النواحي لتعميم المنافع في سائر الجهات

(ب) الاعتناء بالطرقات الفرعية دون حصر العناية بالطرقات الاساسية وحدها .

(ج) الاهتمام بمشاريع الري على ما سبق ذكره لاحياء الزراعة التي هي عندنا اعظم الموارد ان لم نقل المورد الوحيد

(ا) انشاء مصرف زراعي لفائدة الفلاح وحمايته حتى يكون وسيلة الى توظيف رؤوس الاموال بطريقة مشروعة عادلة .

(ب) تعميم التحريج وخصوصاً في المشاعات

تاسعاً – « المعارف »

توزيع ميزانيتها بعدل على المدارس الرسمية وغير الرسمية ما دامت الحالة المالية لا تسمح بتعميم المدارس الرسمية في كافة الجهات .

عاشراً – « الصحة والاسعاف العام »

الاستعانة باراء الخبراء والاطباء لايجاد نظام صحي يحافظ على الصحة العامة ويوجد مؤسسات وملاجىء للفقراء ويعمل على تطبيق الاساليب الصحية العصرية في المدن الاهلة بالسكان وبنوع خاص في المصايف لما في ذلك من تعزيز مورد البلاد من موسم الاصطياف

خطاب المقاطعة في عيد الفصح

في ١٧ نيسان سنة ١٩٣٣

مقدمات العيد

ارسل سيادة مطران بيروت الماروني يوم الاثنين في ١٠ نيسان دعوة خطية لفخامة المفوض السامي ودعوة شفاهية لحضرة القائد العام ولسعادة الاميرال ولحضرة القنصل لحضور القداس الرسمي كالعادة

ولما لم تدع الحكومة اللبنانية فقد توجه المسيو هيللو فور وصول الدعوة الى المقر البطريركي حيث اجتمع بغبطة السيد البطريرك وطلب اليه التدخل مع سيادته لحمله على دعوة الحكومة اللبنانية لان المفوضية ترغب في ذلك فكتب غبطته الى سيادة المطران مبارك يطلب اليه النزول عند رغبة المفوض السامي. وصباح الجمعة توجه المسيو رندو الى مدرسة الحكمة من قبل المفوض السامي وصرح لسيادته بان فخامته يريد مفاوضته وانه يرغب اليه ان لا يغير شيئاً من التقاليد المرعية وان يرسل من يدعو الحكومة المحلية وان فخامته يؤكد لسيادته النظر في المطالب التي اعلنها. فطلب سيادته بياناً بذلك واجل الجواب الى اليوم الثاني ومساء الجمعة اجتمع

سيادته ببعض اعيان الطائفة ونظروا فيما يجب عمله فكانت النتيجة ان كلف حضرة الخوري انطون عقل متابعة هذه المخابرات وكانت جريدة الدبور قد نشرت رسماً هزلياً مهيناً لسيادة المطران مبارك فاسرعت المفوضية والحكومة اللبنانية الى تعطيل الجريدة وتجديد الوعود لسيادته باتخاذ التدابير الشديدة لمنع تعرض الصحافة لامثال هذه الشؤون بصورة منافية لكرامة الرؤوساء والاداب

على ذلك دعيت الحكومة اللبنانية للقداس القنصلي، فأناب العميد السامي عنه المسيو « فان » من موظفي غرفته السياسية وناب عن الاميرال القومندان رابول، وناب عن رئيس الحكومة اللبنانية الامير جميل شهاب مدير المالية

وصل المسيو « فان » مندوب العميد السامي يصحبه المسيو روندو على سيارة من سيارات المفوضية العليا لا يرافقه الفرسان الصباحيون، كما ان الموسيقى العسكرية لم تكن موجودة لتحية ممثل فرنسا

وبدأ المطران مبارك بالقداس القنصلي وما كاد ينتهي منه حتى انسحب مندوب العميد ومندوب الاميرال ومندوب رئيس الحكومة، في حين ان العادة جرت أن يذهب الرجال الرسميون بعد القداس بموكب كنائسي الى ردهة الاستقبال في الكتدرائية حيث تقدم لهم المرطبات والشمبانيا ويتبادل سيادة المطران وممثلي فرنسا الخطب

وعلى اثر انسحاب الرجال الرسميين صعد سيادة المطران مبارك الى قاعة الاستقبال حيث تبعته جماهير المصلين الغفيرة ، وكان سيادته منفعلاً جداً ، ولما تصدر القاعة القى الخطاب التالي:

خطاب المطران مبارك

نحن قمنا بواجباتنا التقليدية وبواجب اللياقة ، ولكن الذين حضروا في هذا اليوم التاريخي ارادوا ان يحضروا القداس فقط دون ان يشتركوا بمبادلة الطائفة التهاني المعروفة والمعتادة ، ولربما قصدوا بذلك ، حسب غاية الانتداب ، ان يعلمونا ان نستغني عنهم (هتاف)

وكنا اردنا ان ننتهز هذه الفرصة لكي نفهمهم غايتنا من مطاليبنا الحقة لبني لبنان (هتاف) فارادوا ان يصموا آذانهم عن سماعنا ، وبما انهم لم يريدوا ان يسمعونا بهدوء وسكينة ، فلهذا سنسمعهم صوتنا عالياً حتى يلتزموا ان يهتموا بامر هذه البلاد (هتاف)

نحن لم نشأ ان نغير شيئاً من تقاليدنا ، وارادوا هم برجاء متواصل ، وزيارات متقاطرة لنا ولغبطة السيد البطريرك ان نشرك الحكومة اللبنانية بدعوتنا ، فلأجل ان لا يأخذوا منا مأخذ جفاء ، دعوناهم آخر ساعة رغماً عن سوء التفاهم ، دعوناهم واردنا ان لا نعبأ بكل الشروط التي طلبناها حباً بالمصلحة العامة ولسوء الحظ نرى ان صوت اللبنانيين لم يعد مسموعاً فنريد

ان يسمع . ولذلك نكرر عالياً بان لنا الحق في ان نحيى (هتاف)

طلبنا ان ينتهي هذا الحكم الموقت الذي خرب البلاد (هتاف) طلبنا من ممثلي فرنسا ان ينظروا الى لبنان والى حقوق اللبنانيين . طلبنا حقوقاً مقدسة فلا نعلم ان كان ذهابهم من بيننا هو لكي لا يسمعوا هذه الحقوق

لذلك نصرخ نحو السماء، لكي تساعدنا وتعيننا حتى نصل الى هذه المطاليب

ومن الان يا اولادي الاعزاء اعلن عليكم وعلى ابناء لبنان جميعاً : طالما هم قاطعونا فنحن نقاطعهم الى النهاية (هتاف) نحن نقاطعهم بعدم دفع الضرائب من أي نوع كانت . ونبرهن لهم باتفاق الكلمة اللبنانية بين كل الطوائف ان الحكومة تحتاج للشعب وليس الشعب يحتاج للحكومة

لذلك اصرخوا معي جميعاً فليحى لبنان للبنانيين .

المطران مبارك وتخفيض الضرائب

الاحتفال الكبير بعيد مار مارون وخطاب سيادة المطران

احتفل في ٩ شباط سنة ١٩٣٤ احتفالاً عظيماً بعيد القديس مارون ففصت الكنيسة وبهوها والساحة المؤدية اليها بالناس، وكلهم من نخبة الطائفة المارونية ووجهائها وشبانها المثقفين وقد كان التزاحم كبيراً جداً لم يسبق له مثيل حتى في العيد السابق الذي ذهب مثلاً بين الناس .

وفي الساعة الثامنة والنصف وصل سيادة الحبر الوطني الغيور المطران مبارك الى بهو الكنيسة فقوبل بعاصفة من التصفيق واقبل الناس على لثم يديه، وما لبث ان دخل الكنيسة حيث كانت الهيئات الرسمية قد اتخذت المقام المعد لها فيها، وقد لوحظ ان رئيس الجمهورية لم يحضر بسبب وعكة ألمت به والزمته الفراش ، ولم يحضر المسيو ابوار لملازمته الفراش ايضاً فمثل الحكومة الوطنية الامير جميل شهاب والاستاذ يوسف شمعون والاستاذ جورج حيمري . ومثل المندوبية المسيو ده سالان وموسى افندي مبارك وحضر ايضاً عدد من رؤساء الدوائر المارونيين من ملكيين وعسكريين ، ولا بد لنا من ابداء ملاحظة بهذا الصدد لا تزال مجهولة لدى السواد الاعظم، وهو

انه لم تجرِ العادة ان تدعى المفوضية في هذا العيد باعتباره للوطنيين وانما تدعى الحكومة المحلية وحدها والموظفين الفرنسيين فيها . ولا تدعى سلطات الانتداب الا في عيد الفصح.

الخطاب الديني

وبعد ان انهى سيادة المطران مبارك القداس القى عظة بليغة شبه بها الشعب الماروني بالشعب الاسرائيلي ، لان الله دعاه لحفظ وديعة الايمان الكاثوليكي في الشرق ، متدرعاً بعيشة التقشف ، وحفظ الآداب السليمة ، ومتى حاد عن هذه الخطة ضربه الله بضربات متعددة .

وبعد ان استفاض سيادة الخطيب في هذا الموضوع استطرد الى شرح التراخي الذي عم الاخلاق و كيف ان الفساد كان سبب انقراض شبيبتنا بالامراض التي تعددت انواعها وتفشت فيما بينهم فاصبحنا شعباً ذاهباً الى الانقراض .

وهنا وجه كلامه الى ارباب الامر واستحلفهم بحق واجبهم الوطني ان يسهروا على الآداب العمومية حفظاً لكيان هذا الشعب الموكولة عنايته بهم ، فكما ان واجب الرؤساء الروحيين المحافظة على سلامة الاداب بارشاداتهم لخلاص النفوس ، هكذا واجب الحكام المدنيين المحافظة على الاداب السليمة للمحافظة على كيان هذا الشعب بسلامة الاجسام من الامراض الفتاكة التي تهدمها .

وانهى سيادة الخطيب كلامه طالباً من الله ان يلهم كلا من الشعب والرؤساء الروحيين والحكام المدنيين ان يعمل الواجب المفروض عليه .

المزاحمة حول قاعة الاستقبال

ولما انهى الخطيب عظته البليغة اخذت الجماهير تتحول من الكنيسة متجهة الى القاعة التاريخية التي شهدت خطاب العام الماضي، وقد اشتد زحام الناس حولها اشتداداً غريباً حتى حشرت المناكب بالمناكب ولم يستطع الخفراء رد الناس عن الباب وهو لم يفتح بعد،

خروج المطران

وبعد بضع دقائق خرج صاحب السيادة من الكنيسة يتقدم الرجال الرسميين فقوبل بالتصفيق والهتاف وشقت له وللموكب الرسمي الطريق الى قاعة الاستقبال ثم تدفقت بعدهم الجماهير حتى غصت القاعة ولم يعد فيها موضع لقدم، ولما استقر المقام القى حضرة الدكتور الشيخ امين الجميل كلمة طيبة تناسب المقام، ثم وقف سيادة المطران ووجه كلامه بالفرنسية مخاطباً المسيو ده سالان قائلاً ما معناه

خطاب المطران السياسي

ان عيد مار مارون كان عيداً خصوصياً للطائفة المارونية، فاصبح اليوم عيداً وطنياً لسائر اللبنانيين واصدقائهم الفرنسيين،

لذا نغتنم هـذه الفرصة لنقدم لممثل فرنسا في لبنان خالص تمنياتنا لشخصه ولشفاء المسيو اوبوار من الوعكة التي المت به، ولفرنسا المحبوبة طالبين من الله ان يخرجها من هذه الازمة المؤلمة اشد قوة وظفرا حسب عادتها، وذلك ليس فقط لخير ابنائها بل لخير اللبنانيين الذين اتخذتهم تحت انتدابها

الاجداد والاحفاد

ثم استأنف سيادته الكلام بالعربيـة موجها اياه لحضرة الامير جميل شهاب :

يا سعادة الامير . اننا نأسف جد الاسف لعدم تمكن رئيس جمهوريتنا حضور هذه الحفلة الوطنية بسبب مرض حقيقي لا مرض سياسي كما توهمه البعض، وهذا لا يمنعنا من ان نوجه اليه خالص تمنياتنا ودعائنا ليمن الله عليه بالصحة التامة اولاً . وبتحقيق اماني الشعب ثانياً . فهو حفيد ذلك الرجل الكبير سعد الخوري الذي اشتهر بتدينه ومحبته لطائفته . فكان اداة وصل للتوفيق بين رؤسائها وسائر ابنائها وبين الطائفة وسائر الطوائف اللبنانية فاستحق لتفوقه في الغيرة الدينية ان يخاطبه رئيس الكنيسة الحبر الاعظم كما كان يخاطب الملوك

وبالوقت ذاته كان الرجل حبيباً للشعب يفتش قبل كل شيء على رفاهه وراحته باستتباب الامن وتخفيض الضرائب عنه في تلك الايام العصيبة

وقد وصلت الينا كلمة تاريخية رددها اهل لبنان في عصره:
« قد اتانا السعد في ايام سعد »

فعسانا نقول يوماً هذا الكلام ذاته عن الحفيد الحبيب فيضع نصب عينيه غاية اساسية لحكمه تخفيض الضرائب عن كاهل هذا الشعب المسكين.

تخفيض الضرائب

يا سعادة الامير. نعرف كما يعرف الجميع ان هذه الحوادث تمت في ايام حكم احد اجدادك العظام الامير يوسف الشهابي فكان سعد الخوري مديراً لماليته، وبفضل حسن ادارته عمل ما عمل حتى احبه الشعب اللبناني واثنى عليه بكلمته التاريخية

فالعناية الالهية شاءت ان تنقلب الاية اليوم، ويكون حفيد الامير يوسف الشهابي مديراً لمالية ابن السعد رئيس الحكومة، فمن الضروري ان الحفيد يبادل الحفيد خدمة الجد للجد. وان ينظر مدير المالية الى جَيب المكلف قبل ان ينظر الى صندوق الحكومة فعندما كانت الجيب ملأى من كثرة الايراد لم يكن احد من اللبنانيين يشكو من الضرائب.

اما وقد جف الدخل، ونضبت الموارد، وفرغت جيبة المكلف اللبناني فكيف تريد يا سعادة الامير ان تملأ الخزينة من الجيوب الفارغة، فبيع الطنجرة والدست لا يعمر بيت المال لذلك باسم هذا الشعب المسكين الذي آلينا على نفسنا ان

نطالب دائماً بحقوقه ، نطلب تخفيض الضرائب عن المكلفين في هذه الازمة الخانقة ، فقد ابتدأت الحكومة وخفضت ضريبة الاملاك والاعشار ، وما بدأت بادرة الامل تنعش القلوب حتى فوجئنا بضرائب جديدة تثقل كاهل هذا الشعب قبل ختام العهد الاخير ، فمن الضروري ان تعوضوا عليه في العهد الجديد هذا العهد الذي يقول فيه ارباب الامر انهم يلامسون الشعب ويعرفون احتياجاته

وعسانا اخيراً نقدر ان نقول كلمة يرددها التاريخ من بعدنا : « قد اتانا عهد جميل في عهد الامير جميل » كما ردد التاريخ كلمة اجدادنا : « قد اتانا السعد في ايام سعد »

ختام الحفلة

وعلى الاثر اديرت اكواب المرطبات وشربت الانخاب وبعد تبادل المجاملات انصرف الرجال الرسميون مودعين وذلك حوالي الساعة الحادية عشرة ، فنرجو ان تتحقق اماني صاحب السيادة في تخفيض الضرائب والاخذ بناصر هذا الشعب المسكين ، وعسى ان يكون عيد مار مارون هذا العام فاتحة جديدة كما يؤمل المخلصون للبلاد ولبنيها .

خطاب عيد الفصح

في ٢ نيسان سنة ١٩٣٤

حفلة القداس الرسمي في عيد الفصح

في الساعة التاسعة قبل ظهر (الاثنين) اقيم في كاتدرائية القديس جرجس المارونية القداس الرسمي التقليدي برئاسة سيادة المطران مبارك . وقد حضره المسيو لاغارد امين السر العام بالنيابة عن فخامة العميد السامي وحضره ايضاً فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ووكيل القائد الاعلى لجيش الشرق والاميرال الافرنسي وعدد كبير من موظفي الانتداب والحكومة اللبنانية ومديريها وقضاتها ونوابها واعيانها وشبابها ، وزاد عدد الحاضرين في الكاتدرائية وخارجها عن خمسة الاف نسمة

الهتاف لحبيب باشا

وما اطل موكب فخامة رئيس الجمهورية تواكبه فصيلة الحرس الجمهوري حتى تعالى الهتاف بين الجماهير بحياة حبيب باشا من كل صوب وكان التصفيق عالياً حتى داخل الكنيسة وأجلس ممثلو فرنسا في المراكز المخصوصة عن يمين (الخورس)

واجلس رئيس الجمهورية ورجال الحكومة اللبنانية عن يساره ؛ وكان الافرنسيون بالالبسة الرسمية المزركشة والاوسمة

وكانت موسيقى الجيش تستقبل العميد بالوكالة ورئيس الجمهورية بالنشيدين الفرنسوي واللبناني وقد تولت فرقة من رجال الشرطة بقيادة مفوض المركز عبدالله افندي اللبان المحافظة على النظام في الساحة الخارجية والشارع المكتظ بالخلق

في صالون « القلاية »

وبعد انتهاء القداس صعد فخامة رئيس الجمهورية وسعادة مسيو لاغارد وكبار رجال المفوضية والبحرية والجيش والحكومة مع اعيان الطائفة الحاضرين وبينهم الشيخ بشاره الخوري والاستاذ اميل اده الى بهو الكاتدرائية المجاور حيث تبادلوا التهاني مع المطران واديرت عليهم المرطبات والشمبانيا والحلويات

خطاب المطران مبارك

وقد القى سيادة المطران مبارك خطاباً وجيزاً بالافرنسية اليك تعريبه :

يا حضرة الوزير

كلمة صغيرة فقط لنقول لكم كم نحن سعداء بوجودكم بيننا بمناسبة عيد الفصح المجيد ان هذا العيد يذكرنا بقيامة

السيد المسيح ووجودكم بيننا يؤملنا بقيامة اخرى الا وهي قيامة الشعب اللبناني الذي مات بموت موارده وجميع وسائط الحياة وبثقل الضرائب ينوء تحتها

ان الشعب لا يمكنه القيامة وحده بل هو كلعازر يحتاج الى اخر يقيمه من الموت لذلك فنحن نلتفت نحو فرنسا ونحو ممثليها بيننا ونردد عليهم كلمات اختي لعازار « يا رب ان الذي تحبه ويحبك كثيراً قد مات . تعال فاقمه » ونأمل ان نسمع كلام السيد المسيح الى لعازر : يا لعازر قم

انكم ستقولون للشعب اللبناني قم . قم . وانهض بواسطة المشاريع الاقتصادية التي يهيئها الكونت دي مارتيل بواسطة المشاريع الزراعية المفيدة للفلاح والتي هي اساس الحياة اللبنانية قم بواسطة تخفيض عادل للضرائب وان لم يرق ذلك للامير جميل (الامير جميل مقاطعاً - انك تأخذ ثار السنة الماضية يا صاحب السيادة) ويتابع سيادة المطران مبارك : فعلى هذا الامل ارفع كأسي على شرف فرنسا ونجاح مهمة ممثلها الجليل بيننا المسيو ده مارتل والجيش والبحريه الفرنسوية وقيامة لبنان بمسعي فخامة رئيس جمهوريته ومعاونيه في الحكومة بمساعدة وارشاد الدولة المنتدبة فينشد لبنان ما لا يزال يردده منذ العصور « فلتحيي فرنسا »

رد مسيو لاغارد

وقد اجاب الوزير المفوض مسيو لاغارد بما تعريبه :

يا صاحب السيادة

اسمحوا لي ان اقدم لكم تهاني وتمنياتي في هذا العيد المجيد وان اعبر عن اعجابي بمجالي الاعتبار الذي يحيطكم به شعبكم وتجعلكم محبوبين

لقد تكلمتم عن قيامة ميت لكن الحياة والحماس اللذان رأيتهما في ابناء ابرشيتكم المزدحمين في هذه الكاتدرائية لحضور احتفالاتكم جعلاني اجد لا موتا بل حياة قوية تحتاج فقط الى المباشرة والمواصلة وعلى هذه المواصلة للحياة اللبنانية والمثابرة على تقاليد الصداقة التاريخية ارفع كاسي فاشرب نخب لبنان والموارنة اه

عيد مار مارون وازمة المنوبول

في ٩ شباط سنة ١٩٣٥

الجماهير الغفيرة تحتشد في حفلة مار مارون

المطران مبارك يدعو الشعب الى المسالمة والامتناع عن المظاهرات

احتفلت الطائفة المارونية الكريمة بعيد شفيعها القديس مارون احتفالاً كبيراً. قد وفدت الجماهير الى كنيسة مار مارون في هذا الثغر لحضور الحفلة حتى ان عدد الذين احتشدوا في الكنيسة والباحة بلغ اضعاف اضعاف ما تعودنا ان نراه في السنين الماضية.

ولاحظنا بين الحاضرين اصحاب معامل الدخان الوطنية والعمال والمزارعين وقد جاؤوا خصيصاً لسماع خطاب سيادة المطران مبارك. ولاحظنا ايضاً ان ممثل العميد يأتي لاول مرة بصورة رسمية يواكب سيارته فرسان الحرس الجمهوري.

واتخذت السلطات يوم امس احتياطات «كثيرة» للمحافظة على النظام اثناء الاحتفال بعيد مار مارون، فقد اقيمت منذ الصباح كتائب من البوليس في الساحة الممتدة امام الكنيسة المارونية وانبث رجال التحري بين الجموع المتألبة وبين المصلين.

وانتشر افراد الدرك في الشوارع والمنعطفات كأن هناك معركة حربية...

وفي الساعة التاسعة وصل سيادة المطران الى الكنيسة فاستقبل بالتصفيق واقام القداس الرسمي الذي حضره المسيو لافون مندوب المفوضية العليا ممثلاً العميد والامير جميل شهاب والاستاذ جورج حيمري عن رئيس الجمهورية والحكومة اللبنانية والمحافظ سليم بك تقلا والكولونيل بارون ولفيف من النواب والموظفين . وفي نهاية القداس القى سيادة المطران موعظة دينية وجيزة .

وكانت الجماهير في قاعة الاجتماع تنتظر سيادته لسماع خطابه، فاقبل عند الساعة العاشرة والنصف يصحبه الرجال الرسميون وقد دوت القاعة بالتصفيق ثم خطب احد تلاميذ مدرسة الجمعية المارونية منوها بخدمات سيادة المطران، وتلاه حضرة الطبيب الخطيب الامير رئيف ابي اللمع فالقى خطاباً عن اعمال الجمعية الخيرية المارونية كان له أجمل وقع وقوطع غير مرة بتصدية الاستحسان .

خطاب الدكتور ابي اللمع

ونحن نقتطف من الخطاب النفيس ما يلي :

ليس العيد اليوم عيد هذه الكنيسة فحسب، بل هو عيد الموارنة اجمع . فخليق بهم — من رؤساء ومرؤوسين — ان يفتحوا

اعينهم لنور الحقيقة المؤلمة ليروا بانفسهم ما وصل اليه الحال!

ان الموارنة اليوم قد اتحد اسمهم باسم لبنان وامتزجت دماؤهم بترابه واستقرت عظام آبائهم بين وديانه وهضابه. هم مسؤولون اكثر من سواهم عن سوء حاله!

فاذا لم يأخذوا بالاتحاد عوض التفرقة.

وبالحكمة عوض الحدة

وبالتضحية عوض الانانية.

اضاعوا البلاد وكانوا اول الضائعين!

ان الطائفة المارونية يا سادة، بعلمها وثقافتها، بعددها وعددها ركن من اركان الكيان اللبناني، فاذا ما انشقت على ذاتها تصدعت اركانها وتلاشت قوتها واصبحت عالة على نفسها وعالة على لبنان.

فلنخلع عنا اذن - بمناسبة هذا العيد - ثوب الماضي العتيق ولترتدِ حلة العمل والاخلاص والاتحاد والجهاد، ولنمد يد التفاهم والاخاء لجميع الطوائف والملل لان وراء رايتنا المارونية الخاصة يوجد راية اكبر واعم هي راية الوطنية والوطن.

خطاب المطران مبارك

ووقف سيادة المطران اغناطيوس مبارك وبدأ خطابه بكلمة افرنسية وجهها الى المسيو لافون مندوب المفوضية وممثل العميد السامي فقال:

يا حضرة المندوب

اسمح لي بمناسبة عيد القديس مارون ان ارفع كأسي شارباً نخبك شخصياً ونخب فخامة الكونت دي مارتل المفوض السامي ونخب فرنسا. وانه ليحزننا ان يمر هذا العيد وبين رئيسنا غبطة البطريرك وبين فخامة المفوض السامي سوء تفاهم نود ان يزول. اجل يحزننا جداً ان يكون بين العميدين الكبيرين هذا الجفاء، وكما انك يا حضرة المندوب صلة تقارب بين الانتداب والحكومة هكذا نود ان تكون وامثالك صلة تقارب بين البطريرك والعميد. وعلى هذا العمل اشرب نخبك ونخب العميد الذي تمثله ونخب فرنسا

المطران يخطب بالعربية

ثم وجه سيادة المطران مبارك كلامه الى حضرة الامير جميل شهاب مندوب الحكومة والى الشعب باللغة العربية فقال:

حضرة ممثل الحكومة اللبنانية، اخواني

اهنىء الطائفة المارونية وسائر ابناء الطوائف بعيد القديس مارون الذي هو عيد لبنان لا عيد طائفتنا وحدها. ولا اخفي الكدر والحزن الذي يستولي علينا بسبب المشادة التي تكونت بين رئيس الطائفة وممثل فرنسا في هذه الديار. اننا سكتنا وندد الكثيرون بطول سكوتنا، ولعلهم جهلوا ان حالة الحرب ليست تدوم، وان الشغل المفيد انما يتم في حالة السلم

هذا الامير جميل يشهد امامكم جميعاً كم كان شغلنا مفيداً عنده وعند الحكومة والسلطة حتى بلغنا الغاية وهي تخفيض الضرائب، فقد خفضت بعد تلك الحملة ١٥ و٢٠ بالمئة واني انتهز هذه الفرصة لاوجه كلامي الى الامير جميل شهاب طالباً منه ان لا يتذكر فقط انه خزان الدولة، وقد قام بهذه المهمة احسن قيام، ولكن يا سيدي الامير اذكر انك حفيد ذاك الامير الكبير، الامير يوسف الشهابي، انك نسيب ذلك الامير العظيم الذي نتباهى به، الامير بشير الكبير الذي فتش دائماً على مصلحة لبنان. انك ابن اولئك الامراء وابن هذا الشعب اللبناني فاذا اردت ان تملأ خزينتك فليعش الشعب، والا فاذا مات ماتت الخزينة في الوقت نفسه

ازمة احتكار الدخان

لكن هناك أزمة خصوصية قد شغلت الافكار وهي احتكار الدخان «هتاف مكرر: ليسقط المونوبول»

يقول الناس ان المطران مبارك يقف متحايداً تجاه هذه القضية... حاشا للمطران مبارك أن يقف متحايداً (هتاف) ولذا لنا الشرف أن نقف بالقرب من رئيسنا البطريرك لنطالب مصلحة الشعب ومصلحة لبنان لكننا لا نريد ان نحيد عن خطة السلم التي اختططناها والتي افادتنا حتى الان فوائد حسنة. لقد خبرت المفوض السامي اكثر من غيري فتأكدت من حسن

نيته، ومتى شرحنا له الحقيقة يصغي لها

لذلك اتيت اليكم اليوم بصوت المسالمة وصوت الاتفاق واني لواثق باختبار شخصي اننا نصل عن طريق السلم الى ما لا نصل اليه عن طريق الحرب

لقد امرني صاحب الغبطة وانا اول الطائعين له ، واستحسن المفوض السامي ان نؤلف لجنة لدرس هذه الامور الاقتصادية التي ستجري في البلاد . ومتى تلقوا هذا الدرس يعملون بمقتضاه لان كلاً من البطريرك والعميد يريد مصلحة هذه البلاد ونجاحها وتقدمها ، وبما ان مسئلة المونوبول مسألة مستعجلة فقد اجتمعنا في لجنة خصوصية ودرسنا الموضوع ورفعنا النتيجة شفاهاً و كتابة الى المفوض السامي

والشيخ يوسف الجميل يشهد اننا لم نسكت لا سراً ولا جهراً لكن الفائدة تأتي بدرس عميق ، بالمطالبة الودية لا بالمظاهرات العدائية ، فان اردتم ان نصل الى نتيجة مرضية فعليكم ان تعطونا مثال السكينة والهدوء ، والا فاني اخاف ان المظاهرات تخلق المظاهرات ، والقوة تناهض القوة وتسوء العاقبة

ان السلم يولد السلم . فعلينا ان نسالم حتى نتمكن من رفع هذه الاحتكارات التي تقيد البلاد وتضر بسمعة الدولة (هتاف ومناداة باسقاط المونوبول)

لقد نجحت هذه المساعي فرفض البارحة احتكار النقليات ،

وأملي وطيد باننا واصلون في قضية احتكار الدخان الى النتيجة المرغوبة (مناداة باسقاط المونوبول)

نحن ساعون لتأليف لجنة جامعة لكل الطوائف كي نتمم درس باقي الامور التي قد يقوم حولها الخلاف بين الشعب اللبناني وممثلي الدولة المنتدبة

ونود انشاء جامعة لبنانية وطنية بالاتحاد والاتفاق بين جميع الطوائف ، حرصاً على مصالح هذا الشعب ، وان فرنسا المنتدبة لا تريد الا راحته ورقيه والشعب لا يريد الا الراحة والرقي .

(صوت من بين الجمهور : الشعب يريد رغيف الخبز)

واني ارفع كأسي فاشرب نخب العميد اللبناني (هتاف طويل للبطريرك) ونخب العميد الفرنسي الذي نعرف حسن نيته ، ونشرب لا نخب الطائفة المارونية بل جميع الطوائف (هتاف طويل) سائلين المولى تعالى ان يتم افراحهم بالاتفاق والاتحاد لاجل المصلحة اللبنانية

جواب مندوب المفوضية

ووقف المسيو لافون مندوب المفوضية العليا وممثل العميد السامي في الحفلة وقال :

يا صاحب السيادة

لقد تأثرت جداً من العبارات التي تفضلت بها في كلمتك

ولشربك نخب المفوض السامي ونخب فرنسا . واني بدوري بمناسبة هذا العيد السعيد اشرب نخب الطائفة المارونية ورئيسها الاعلى غبطة السيد البطريرك ونخبك يا صاحب السيادة شخصياً ونخب لبنان

بين الهتاف

وهناك تعالت هتافات متعددة ، للمطران مبارك ، وللاتحاد بين سوريا ولبنان ، وتخللها مناداة بسقوط المونوبول .

التوصية بالهدوء والسكينة

وبعد ان ودع سيادة المطران الرجال الرسميين عاد الى القاعة وكرر التوصية بالتزام الهدوء والسكينة وتجنب القيام بمظاهرات تضر بالمساعي الودية المبذولة لحل المسائل المختلف عليها

ثم بارك القوم فانصرفوا

خطاب المطران في عيد الفصح

٢٢ نيسان سنة ١٩٣٥

سياسة البطريركية المارونية : استقلال لبنان وصداقة فرنسا

حضرة القائد

اعلم ان العسكريين يفضلون العمل على القول – فاكتفي بكلمة وحيدة لارحب بوجودكم فيما بيننا – اهلًا بكم كممثل فرنسا – اهلًا بكم كرئيس الجيش الذي يدافع عن لبنان

وبصفتكم المزدوجة كممثل فرنسا وصديق لبنان اسمح لي يا حضرة القائد ان اطلب منك في عيد التصافي والسلام – ان تكون على الرغم من شاراتك العسكرية – رسول التصافي والسلام بين رئيسين نريد اليوم ان نجمعهما في اكرامنا واحترامنا وهما فخامة الكونت دي مارتل وغبطة البطريرك الماروني وكلاهما يتلهب غيرة على مصلحة البلاد – ولكن بنظريات مختلفة على اختيار الوسائل

اعرف الكونت ده مارتل عن قرب واعلم نياته الحسنة في سبيل تعزيز اقتصاديات هذه البلاد وقد وقفت بخاصة على عطفه وشعوره الصادق بمناسبة المفاوضات التي قمت بها

شخصياً معه لانهاء اضراب السواقين واني اصرح بذلك عالياً واسديه خالص الشكر

وانا اولى بان اعرف ايضاً ما يكنه غبطة البطريرك عريضه من الرغبة القلبية في انهاض اقتصاديات البلاد وسط الازمة العالمية دون ان ينحرف عن المبادىء التي كانت دائماً اساس السياسة البطريركية

حان الوقت يا حضرة القائد لوضع حد لبعض الذين ساءت نياتهم والتوى قصدهم — فنشروا على صفحات جرائدهم او باقوالهم ان البطريرك الماروني قد اهمل قضية الاستقلال اللبناني والصداقة الفرنساوية — اني اؤكد عالياً في هذا المكان ان البطريرك الماروني الحالي والامة باجمعها ما زالا يعملان من صميم القلب على الاحتفاظ بهذين المبدأين الاساسيين استقلال لبنان وصداقة فرنسا على ممر الاجيال

انني اطلب من جميع الاصدقاء الذين حسنت نياتهم وانت منهم يا حضرة القائد — واطلب من رئيسنا العزيز صديق فرنسا الصادق وابن البطريرك الماروني الحبيب اطلب من الجميع ايها السادة ان يعملوا على الاحتفاظ بهذا الاتحاد المتبادل — وكن على ثقة يا حضرة القائد من ان الامة المارونية سترد دائماً الصرخة التي لم ينقطع صداها من اذان الاجيال والعصور — فلتحيا فرنسا

ملحق

«تصريحات سياسية»

لبنان غير سوريا

موجز تصريح المطران مبارك لوفد الشباب الدمشقي في ٨ حزيران ١٩٢٨

انني اغار على تقاليد لبنان واستقلاله ووحدته التي لا تتجزأ ككل لبناني صميم. اريد الخير للجارة العزيزة سورية واتمنى لها السبق في حلبة التقدم وبلوغ ما تتمناه من الاستقلال بارشاد فرنسة. لذلك يجب على السوريين ان يسعوا في ازالة الفوارق واطراح التصعب الذميم ونشر المدارس ذات البرامج العصرية الراقية ووضع النظم الدستورية التي تسهل تمازج العناصر السورية بعضها ببعض وتؤدي الى التفاهم حتى لا يبقى هنالك من فرق بين مختلف الطوائف.

كان بعض اللبنانيين قبل الثورة قد بدأوا يفكرون في السعي الى التقريب بين البلدين المتجاورين وازالة ما بينهما من حواجز ولكن فظائع الثورة اثبتت لهم استحالة هذا الأمر

وابعدتهم عنه اشواطاً وربما مرّت مئات من السنين قبل ان ينظروا في الامر ثانية ويعودوا الى التفكير فيه .

في الختام اكرر نصائحي الى وفد الشباب الناهض بترك مسألة لبنان وانضمامه الى الوحدة في الوقت الحاضر والانصراف الى اصلاح شؤون سوريا الداخلية وترقية افكار بنيها الى المستوى الذي تضيع فيه الفوارق وتزول الحواجز .

تصريح المطران مبارك لمندوب جريدة الشرق

بعد قنبلة مار مارون (٢٠ شباط سنة ١٩٣٣)

قال مندوب « الشرق » :

قصدت الى سيادته بصفتي محرراً في « الشرق » ومكاتباً لجريدة « الايام » وكان رفيقي احد وجهاء القوم في لبنان فقدمني اليه قائلًا :

– الاستاذ . . . . . صحفي من اخواننا الارثوذكس

– اهلًا وسهلًا

فرنت في اذني تلك النغمة الساحرة التي رددتها جوانب « مار مارون » ولا يزال صداها يتغلغل في اعماق القلوب حتى اليوم

ثم استطرد فقال :

– الا ترى اننا والارثوذكس على احسن ما يكون الاخ مع اخيه فقد فشل والحمد لله الدعاة في محاولتهم تشويه وجه الحقيقة ؛ اولئك الذين ارادوا استغلال كلماتي في نادي المدرسة المارونية فأولوها حملة على رئيس ارثوذكسي . فمتى كانت الطائفية هدفي في حياتي الوطنية العامة ؟ . ولماذا يريدون اثارة نعرة مائتة ليخدموا مصالحهم الخاصة ؟ غير ان رؤساء الطائفة الكريمة

كانوا عند حسن الظن بهم وعرفوا اني تكلمت كلبناني يشعر بشقاء حالة بلاده . لا كماروني يتعصب لطائفته

قال مندوب الشرق : وكان رفيقي يخالسني نظرات الارتياح اثناء تدفق سيادته في الكلام ويبتسم بين حين وآخر فعلمت انه تعمد بقوله « ارثوذكسي » وعند تقديمي اليه ان يطلعني على رأي سيادته في موقف الطائفة الارثوذكسية . وقد تم له ما اراد

وسيادة المطران مبارك قصير القامة ممتلؤها بدين يرى المتفرس فيه وجهاً تتلألأ القوة من تقاطيعه وعينين تطفو عليهما اشعة الذكاء . ويحس جليسه انه امام رجل لا يحبس الكلام في صدره ولا يتفوه بغير ما في اعماق نفسه . واذا تكلم لا يخاف ولا يتلعثم فتراه يتدفق كالسيل واكثر ما يرافق حديثه نظراته الحادة فيصل بقوة الحجة وجاذب العين الى ما يرمي اليه من تأثير بعيد في نفس السامع .

وبعد ان انتهى سيادته ، من الكلام عن الارثوذكس قال رفيقي مشيراً الي :

— ان الاستاذ صحفي . وتعلمون ولا شك ان الصحفيين يتوخون من زياراتهم في هذه الايام ..

فقاطعه سيادته ضاحكاً وقال

حديثاً ... وانا مستعد ان افضي اليه بما يريد ولكن بشرط ان ارى الحديث واوافق عليه قبل نشره فيكون حجة علي ويكون

الحديث الاول الموافق عليه مني .

– اتفقنا

باعوا الصحون والطناجر

س – لماذا ارسلتم تلك القنبلة التي ما برحت تدوي في البلاد منذ انفجارها في « مار مارون »

ج – لقد خطبت على الرغم من الصداقة الشخصية التي تربطني بالاستاذ الدباس ، لاني لم استطع ان اسد اذني دون سماع انين البلاد واتعامى عن شقائها وبؤسها . وقفت اتكلم مدفوعاً بصوت الشعب ، الذي يتألم من فداحة الضرائب ويشكو ويحتج ويطلب الخروج من ازمة خانقة ، تكلمت وانا اعلم ان الشعب يطلب الخبز ليأكل بينما الجباة يبيعون « الدسوت والطناجر » وكل ما تبقى في الدور من ادوات الحياة انفاذاً لاوامر الحكومة التي يهمها ان تجبي الضرائب . خطبت لان البلاد « بدها تعيش »

ايكون الاصلاح ارهاقاً ؟

س – او لم تحتجوا قبلاً على فداحة الضرائب ؟ .

ج – كيف لا فمن زمن بعيد اطالب بتخفيف وطأة الضرائب عن الفقراء المساكين واحتججت علناً في ٨ ايار الماضي عندما زارتني الجماهير وفي طليعتها « الخباز » صاحب الاوريان نفسه . وطلبت فيما طلبته تخفيف الضرائب واحتججت ايضاً في حفلة المرحوم نعوم المكرزل في مدرسة الحكمة . واحتججت

ايضاً في حفلة البطل اللبناني يوسف بك كرم في اهدن والجميع يذكرون هذه الخطب . فاذا « بهم » يسلمون مقاليد الحكم لهذه الحكومة ويعمدونها « بالاصلاح » فاين هو الاصلاح ؟

نحن نسألهم تسمية الاشياء . ونطلب اليهم ان يبينوا لنا ما اصلحوا حتى يطابق الاسم المسمى . ايكون الاصلاح بارهاق الناس والضغط عليهم ؟ . . .

باعوا حماره وسجنوه

س — وهل وقفتم على حالة الفلاحين ؟ .

ج — انا اكثر اختلاطاً بالطبقات الفقيرة بالنظر الى الزيارات الرعائية وطوافي المستديم على القرى الصغيرة واحتكاكي بالفلاحين . هذا فضلاً عن الوفود التي تأتي الي من عكار وبعلبك والشوف وكسروان ولبنان الشمالي شاكين متألمين ، ويقص علي الوافدون اقاصيص الجباة . فقد زارني رجل منذ ايام وقال بان للحكومة في ذمته مبلغ خمسين ليرة سورية — متأخرات ضرائب — ولما كان لا يملك منها غرشاً واحداً باع الجباة بقوة الجند المسلح حماره بمبلغ ثلاث عشرة ليرة سورية وأرسل الى السجن مقابل البقية المترتبة في ذمته للحكومة . ولما قضى المدة القانونية وخرج ليرى ما حل باولاده كان الجابي اول مستقبليه وطالبه بدفع البقايا . . .

ونحن الرؤساء الروحيين الذين نرى ونسمع لا نستطيع

السكوت تجاه جميع هذه الامور ولم يعد من الممكن ان اتحمل اكثر مما تحملت فافرغت ما جاش في نفسي وتراكم طوال السنوات الماضية ليقف اولياء الامر على الحقائق الراهنة

لا يصالح . . .

س – ذكرت الصحف ان هنالك محاولات لحملكم على الاعتذار ؟ .

ج – لا علم لي بذلك الا من الصحف ولم يراجعني احد من الموظفين الفرنسويين او الوطنيين بهذا الشأن . وجل ما هنالك ان الاستاذ باترو طراد زارني كما زارني الكثيرون غيره وطلب اليّ الاستاذ طراد ان يتدخل بصفته الشخصية للصلح بيني وبين الرئيس فاجبته انه ليس بيني وبين الاستاذ دباس شخصياً ما يستوجب تدخل المصلحين اما من جهة حملتي على رئيس الحكومة فامر آخر اقوم بها مدفوعاً بعامل الواجب وليس من الممكن ان اسكت عنها او اتساهل بها لانها تتعلق بالبلاد رأساً وليس لها اقل صلة بالاشخاص .

البطريرك مؤيد

س – وما هو موقف غبطة البطريرك ؟

ج – انه يؤيد ما جاء في خطابي وهو ولا شك يعلم ما نعلمه نحن عن بؤس الفلاحين وشقاء سكان البلاد . والذي اعرفه ان سيادة المطران عقل زارني وقال لي « يسلم عليك

سيدنا ويقول لك انه يؤيد خطابك الا ببعض التعابير القاسية »

هذا من جهة البطريرك اما من جهة موقفي وموقف الرئيس فنحن على طرفي نقيض . زاره كبار الفرنسيين وزارني اهل البلاد وزعماؤها وذلك ما تستطيع الاطلاع عليه بنفسك هنا

انه صديقي . . .

س — ما هي هذه الامور الشخصية التي يتحدثون عنها في الصحف ؟

ج — لا يوجد امور شخصية بيني وبين الرئيس ابداً وانا اول من يزوره بعد ان يرجع الى منزله كشارل دباس لانه صديق قديم لكني اهاجمه كرئيس حكومة لم تعمل عملاً مفيداً حتى اليوم

والغريب انهم يقولون اني ايدته ثم انقلبت عليه — فلقد ايدته ضد الامير لطف الله في سنة ١٩٢٩ اما في ٨ ايار فلم اؤيده مطلقاً وخطابي في ذلك الحين يتناوله اسوة بالباقين من رجال الحكومة

وكان الحديث قد طال وعلمنا ان سيادة المطران يوحنا الحاج ينتظر في الردهة فاستأذنا وودعنا شاكرين . وفي اليوم التالي كتبت الحديث كما يراه القارئ هنا وعرضته على سيادته فوضع عليه بيده اشارة الموافقة

تصريح لسيادة المطران مبارك

لجريدة العاصفة في ٢٥ شباط سنة ١٩٢٣

بعد قنبلة مار مارون

« دخلنا على سيد الحكمة في عرينه فاذا هو رابض كالاسد وراء مكتبه فخف الى استقبالنا ومصافحتنا ، ثم دعانا الى الجلوس ازاءه . قال :

— باسم من تريدون ان تتحدثوا الي ؟

قلنا : باسم « العاصفة » التي تؤيد خطتكم وتود ان تطلع قراءها على مضامين برنامج سيادتكم !

قال: اشرت في خطابي الاخير الى بعض النقاط التي يتضمنها برنامجنا المقبل وهي مختصرة اوجزها لكم في قليل من العبارات:

« اننا نطلب الرجوع في لبنان الكبير الى نظام لبنان الصغير بحكومة وطنية مصغرة ، ومجلس وطني مصغر ومنتخب من الشعب مباشرة على درجة واحدة ، مع مرتبات للموظفين صغيرة تناسب فقر البلاد ، وتوزيع الوظائف بعدل على الطوائف مع مراعاة اهلية الاشخاص . اي ان كل طائفة تعرف الوظائف المخصصة بها . فاذا خلت وظيفة من الوظائف لا يتزاحم عليها هذا وذاك بل ينحصر اختيار صاحبها بالطائفة التي اضحت صاحبة

الحق في هذه الوظيفة كما كانت الحال في لبنان القديم ، وهكذا لا نسمع اي شكوى من اي كان ، اذ ان كل طائفة تحتفظ بحقها الصريح لا ينازعها اياه احد على الاطلاق .

قلنا : أترى سيادتكم من الضرورة مراعاة الطائفية في الوظائف ؟

– نعم ، وضرورة عظيمة ، وقد تقولون لي ولكن هناك الكفاية ، وجوابي اننا اليوم في عصر علم ورقي ، وفي كل طائفة جماعة من المتعلمين ، وبالامكان اختيار صاحب الكفاية من هذه الجماعة في امتحان عام يجري لهذا القصد ان يكن المنصب من المناصب الفنية التي تحتاج الى امتحان . وعندي انه يلزم قرون طويلة قبل ان يتساهل ابناء هذه البلاد التساهل الكافي في مشكلة الطائفية . وقد اوضحت لك ان تحديد الوظائف مع مراعاة الطائفية يرضي الجميع بلا استثناء ، فننقذ البلاد من نعرات مؤلمة ليست في مصلحتها !

– وبماذا تطالبون ايضاً ؟

– نطالب ايضاً بان نتسلم نصيبنا من جاركنا كي نقيم التوازن في موازنتنا ونخفف ضرائبنا بالنسبة الى حالتنا . ونريد من رجال الانتداب ان يقدموا لنا حساباً عن اموال جاركنا فقد انقضت السنوات الطويلة ولم نقف على هذا الحساب . واننا لنتساءل عن السبب ، ألسنا اصحاب هذه الجارك ؟ ... فان نكن اصحابها يجب ان نقف على موازنتها وان نتسلم

نصيبنا منها. ثم ان تركيا لا تدفع لحملة اسهم الديون ما ندفع نحن. فهي تدفع لهم عملة ورق ونحن ندفع لهم عملة ذهب. ولا ادري ما معنى هذا الفرق بيننا وبين تركيا. فانتم تعلمون ان تركيا هي المديونة لا نحن واذا قضي علينا بالدفع فاننا ندفع نزولا على مبدأ الوراثة. ومع ما في هذا المبدأ من جور أيجوز ان نضيف اليه جوراً اعظم بان ندفع ديوننا ذهباً بينما تركيا وهي المديونة الاصلية تدفعها ورقاً؟... لقد جاء في نصوص الاتفاق الذي عقده اوغست باشا اديب – مندوب لبنان – وحملة اسهم الديون في مؤتمر الديون العام الذي عقد في باريس ان البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي تدفع كما يدفع المديون الاصلي فلماذا لا يعاملوننا هذه المعاملة ونحن فرع في القضية لا اصل

قلنا: أتعتقدون ان ابناء الولايات التي اندغمت بلبنان القديم يرضون بان يسير لبنان الكبير على نظام لبنان الصغير؟

فاجاب سيادته: ولماذا لا، فان نظام لبنان القديم يخفف الضرائب ويضمن حقوق الجميع. والذين قبلوا من ابناء الولايات الانضمام الى لبنان القديم قبلوا ذلك على ثقة منهم بانهم سيتمتعون بما كان يتمتع به ابناء لبنان الصغير من امتيازات قائلين: «هنيئاً لمن له مرقد عنزة في لبنان»

اجل، ان ابناء الولايات التي انضمت الى لبنان ترضى

بالعودة الى نظام لبنان الصغير ولدرس هذا النظام وتطبيقه على لبنان بعد تكبيره سنحاول تأليف لجنة تضع مشروع الدستور الجديد على هذا الاساس . فنلبس بلادنا ثوباً يناسب جسمها ، فلا يكون فضفاضاً لا تستطيع جر ذيوله ، ولا يكون قصيراً تبدو به عوراتها . اننا سنعمل بالقول المأثور : « على قد بساطك مد رجليك »

« وقد قلت في خطابي ان الوكالة التي نيطت بي في عام ١٩١٩ حين ذهبت برفقة الخالد الذكر البطريرك الحويك الى فرسايل للمطالبة باستقلال لبنان ، والتي جدد بها الجماهير بصوت حي في التفافها حولي وتأييدي ، ان هذه الوكالة تضع في عنقي مهمة شاقة ، ولن انفك عن مراجعة ولاة الامر بشأنها ، ولن اتأخر عن الاقتداء بالعميد اللبناني والسفر الى باريس وغير باريس للدفاع عن حقوق هذا الشعب !

قلنا : وبعبارة اخرى ستهتم سيادتكم بتأليف هيئة وفد لبناني كالوفد المصري لملاحقة الدفاع عن القضية اللبنانية !

قال : نعم ، نعم ، اننا فاعلون ذلك بتأييد ابناء لبنان لنا وبمساعدة المفكرين في هذا البلاد !

تصريح المطران اغناطيوس مبارك

لجريدة « المقطم » بعد قنبلة مار مارون

كان مراسل المقطم الاستاذ زيدان زيدان قد طلب الى سيادة المطران مبارك ان يدلي اليه بحديث سياسي عن الموقف الحاضر في لبنان فأدلى اليه بهذا الحديث :

انكم معاشر الصحفيين اخطأتم فيما نسبتموه اليّ من انني ناقم على الحالة الحاضرة دون ما سبب أفلا ترون الجوع ضارباً اطنابه في لبنان، أفلا تشعرون بالعوز، أفلا تشعرون بحاجة الناس حاجة شديدة الى اقل ضروريات الحياة وابسطها ؟ لهذه الاسباب ولما كنت انا بحكم تجوّلي بين الشعب اشعر بكل هذه الامور قمت هذه القومة ضد الحكومة الحالية . واذا كنتم تذكرون ما قلته في ٨ مايو قبل تعليق الدستور اللبناني بيوم واحد اننا نريد حكومة لتخفيف الضرائب عن الشعب وكنتم ترون ان هذه الغاية لم تدرك وان الضرائب باقية على حالها وان الحكومة الحالية لم تعمل شيئاً للان تدركون مغزى هذه الحملة التي احملها على الحكومة الحالية

قال المراسل : وهل لكم برنامج خصوصي للعمل وتحقيق رغائب اللبنانيين ؟

فاجاب سيادته : انني في خطابي الاخير اعلنت برنامجاً سياسياً (نشرت خلاصته في مقطم الجمعة في ٢٤ شباط) وانا

الان اعد هذا البرنامج بالتفصيل وغايتي فيه ان يعاد لبنان الى نظام يتشابه بنظامه السابق، نظام بسيط في تركيبه ونفقاته اي ان لا يزاد على نظامه السابق من الحواشي والذيول الا بنسبة الزيادة التي دخلت عليه من اعادة الاراضي التي كانت مسلوخة عنه وبنسبة حاجات وضروريات العصر الحاضر

واللبنانيون اليوم يفتقدون جداً تلك الحالة الهانئة التي كانوا فيها لا ضرائب تبهظهم ولا رسوم، وما كان الذين انضموا الى لبنان من الملحقات يرغبون في الانضمام الا ليتمتعوا بنعمة النظام البسيط الذي كان للبنان

فوالحالة هذه لا يمكن للبنان ان يعيش ما لم يشعر كل لبناني في حدوده من النهر الكبير الى ناقورة عكا ومن لبنان الشرقي الى شواطئ البحر انه ناعم البال في ظل نظام بسيط التركيب قليل المصارفات خفيف الحمل

قال المراسل : وهل لاتفاق من يلتفون حولكم من سائر الطوائف فائدة لنوال هذه الغاية ؟

فاجاب سيادته : وقد عجب البعض لالتفاف كثير من العناصر حولي . ولكنهم جهلوا ان عملاً كهذا الذي ارمي اليه اولى من ان يتم باتفاق جميع العناصر من ان يتم من جانب واحد . واكثر النافذين من الطائفة الاسلامية من رأيي . فانا بهذه الخطة انما اعالج المرض الذي نشعر جميعاً باعراضه المميتة في بيتنا اللبناني بواسطة انشاء ادارة وحكومة سعيدة في لبنان

توزع فيها الوظائف توزيعاً نسبياً على الطوائف مع مراعاة الكفاءة . فلبنان القديم لم يعش الا بمراعاة هذه الامور وببساطة تركيب حكومته . فالمسلم اللبناني الساكن في الشوف او في جبيل مثلاً من بقاع لبنان القديم قد حافظ على لبنانيته تمام المحافظة لانه ذاق حلاوة ذلك النظام القديم وتمتع بنعمه وبركاته

هذا هو مذهبي السياسي ولاجل هذا تسمعني ألقي الخطب . واني اعد برنامجاً وافياً ساسعى لتحقيقه بالطرق المشروعة وبالتفاهم مع جميع العناصر والطوائف في لبنان

قال المراسل : أسيادتكم واثقون ازاء هذا التطور الذي تتطور به حالة الانتداب في سوريا ولبنان وبعد الحملات التي توجه ضد بقائه منفصلاً عن سوريا وعدم اشتراكه بمعاهدة . أسيادتكم واثقون بان لبنان هذا الذي تنظمون له هذه الخطة سيبقى ؟

– ان لبنان سيبقى ونحن واثقون كل الثقة ببقائه وبان هذه الضجة لا تؤثر بكيانه الحالي وبرنامجنا المبسوط فيما تقدم سيزيد في عوامل بقاء لبنان عاملاً جوهرياً اساسياً

– اذن سيادتكم لا تشتغلون لفئة معلومة ناقمة على الحكومة ؟

– كلا ، بل غايتي خدمة اللبنانيين عموماً دون تمييز بين الاحزاب والطوائف .

– ما هي الخطة التنفيذية لهذا البرنامج ان من جهة تحضير الشعب له وان من جهة خفض الضرائب ؟

– ان الخطة التنفيذية هي الآن القاء الخطب لافهام الشعب الطريق الذي يجب ان يسلكه للخروج من هذه الحالة ثم تحضير برنامج تفصيلي وانشاء حزب سياسي كبير يوافق عليه. اما من جهة الضرائب وخفضها فهذا لا يتم الا بتصغير الهيكل الحكومي وباعادة حصة لبنان من الجمارك الى لبنان. ومتى تم ذلك امكنا خفض ضريبة التمتع وخفض ضرائب المسقفات في المدن والغاءها في القرى التي لا ايجارات فيها لهذه المسقفات. وامكنا ايضاً خفض ضريبة الاعشار التي لم تكن موجودة في لبنان القديم. ويجب ان يكون مفهوماً ان الغرض من هذا خدمة لبنان وخدمة الفرنسويين وبالتالي ايجاد الراحة والطمأنينة لاهل لبنان

– ولكن بعض واردات الجمارك يا صاحب السيادة مرهونة لوفاء الديون العثمانية العمومية لحملة الاسهم والسبيل الى تحريرها من هذا القيد يحتاج الى عناء وجهد. فقال:

– علينا ملاحقة الفرنسويين للاستفادة من الاتفاق الذي اتفقوه مع الاتراك. والشرط على امكان استفادتنا من هذا الاتفاق موجود في اتفاقنا الذي وضعه اوغست باشا اديب ووافق عليه مجلس النواب. وهل من الحق ان ندفع نحن ديننا ذهباً ويدفعه الاتراك ورقاً، كلا ومتى تمّ هذا الاتفاق وعدل على هذا الشكل لا يبقى امامنا من الدين الا الشيء القليل السهل الوفاء بامد قريب!

بيانا سيادة المطران مبارك

اذاع سيادة المطران اغناطيوس مبارك البيان التالي

(في ٦ تموز سنة ١٩٣٣)

الى الشعب اللبناني

لم نسمع صوتنا عالياً منذ زيارة الافرنسيين لنا في مدرسة الحكمة في ٢٣ نيسان الماضي فظن البعض اننا اكتفينا ببعض عبارات الولاء والحب التقليدي وشرب نخب متبادل وتركنا الشعب اللبناني في بؤسه تخنقه الازمة وتكاد تذهب به يد الفناء : فليعلم الشعب اللبناني العزيز اننا لم نسكت يوماً واحداً عن المطالبة بحقوقه المهضومة فبعد المطالبة العلنية والتفاف الشعب حولنا في الوطن والمهجر فهمت السلطات ان كلامنا لم يكن منا لكن من قبل هذا الشعب المتألم فانفسح لنا المجال بعد زيارة الافرنسيين لنا لان نتعاطى الامور بالهدو والسكينة فقابلنا اركان المفوضية العليا مراراً متعددة واخيراً حظينا بمقابلة فخامة المفوض السامي ذاته رغم انقطاعه عن المقابلات وهو في سريره وما كان موضوع حديثنا في مقابلاتنا المتعددة الا المطالبة بحقوق هذا الشعب وطلب تخفيف الضرائب عنه

ومساعدته بكل الوسائل للتغلب على هذه الازمة الخانقة ووضع حد قريب للحكم الاستثنائي والرجوع الى الحكم العادي مع اختصاره بموجب روح نظام لبنان القديم ودرس هذا النظام درساً وافياً بالاشتراك بين السلطات وممثلي الشعب حتى لا يعمل للبنان نظام يجهله اهله

وقد نلنا وعوداً كثيرة تحقق منها البعض القليل ولا نزال نطالب بالباقي الاهم ان شاء الله ننال كل ما نتمناه لسعادة هذا الشعب الذي احببناه واحبنا ووقفنا ذاتنا على خدمته بيد ان الواسطة الوحيدة للوصول الى الاصلاح هي الثبات ونحن ثابتون الى النهاية واملنا وطيد اننا ننجح في مساعينا الودية نظراً لما رايناه من حسن النية والاستعداد لدى الدولة المنتدبة اما ان فشلنا لا سمح الله فندعو حينئذ الشعب اللبناني الى اجتماع عام تشترك فيه جميع عناصر البلاد للبحث فيما يجب عمله وصولاً الى الاصلاح المنشود ولتبادل الاراء في ما يمكن الحصول عليه من مطالب اللبنانيين

وعلى كل حال فليتأكد الجميع اننا مستعدون لملاحقة القضية اللبنانية حتى النفس الاخير لحياة وسعادة هذا الشعب اللبناني العزيز —

بيان المطران مبارك

في مسألة المونوبول في ١٦ شباط سنة ١٩٣٥

سيادته في جانب غبطة البطريرك

نشر سيادة مطران ابرشية بيروت المارونية البيان التالي:

تناقلت الالسن وبعض الاقلام موقفنا من المونوبول وما اثارته هذه الازمة من اختلافات بما لا يتفق وحقيقة الواقع. فقد كنا ولم نزل كما يعرفنا الخاص والعام خادمين افكار صاحب الغبطة السيد البطريرك باذلين ما في وسعنا في سبيل راحة مواطنينا. وخصوصاً زارعي الدخان بينهم

وقد كانت مساعينا الاخيرة فى سبيل التوفيق بين النظريتين المختلفتين ايلة لهذه الغاية الوحيدة، منعاً لما قد تجره المشادات العنيفة من الاضرار. فبرضى صاحب الغبطة السيد البطريرك وباشارة كثيرين من الاصحاب الغيورين على المصلحة العمومية طلبنا من ارباب الامر مهلة قصيرة للدرس وتدقيق النظريات. على ان هذا المسعى لم ينجح لسوء الحظ لاسباب ليس هنا مجال لسردها

فاذ ذاك لا يمنعنا موقفنا المخلص للوطن وللانتداب ان نصرح باننا تجاه الحالة الحاضرة لم نزل كما كنا، مع المحافظة

على الصداقة التقليدية ، بجانب غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى لخدمة مواطنينا الكرام ومساعدة الفلاح اللبناني الذي كان دائماً حراً في زراعته ويرى في قيد هذه الحرية قتلاً لهذه الزراعة وللبلاد دون ادنى فائدة للدولة المنتدبة

فندعو سائر ابناء ابرشيتنا البيروتية من كهنة وعلمانيين الى الصلاة الحارة في هذه الايام وخصوصاً في الاحاد والاعياد ، ليرمقنا الله بعين عنايته ويشفق على شعبه ويرجع الصلح والسلام بين الرؤساء الذين بيدهم مقدرات البلاد ليجدوا حلاً مناسباً لهذه الازمة الحاضرة يكون آيلا لخير هذا الشعب الذي لا يطلب الا لقمة الخبز ليسد بها رمقه

ونأمر ان تتلى الصلاة الآتية في سائر الزيارات التي تقام في كنائس الابرشية : « ارحم يا رب . ارحم شعبك ولا تسخط علينا الى الابد ! »

القسم الثالث

الخطب الادبية

خطبة ترحيب

بالكولونيل جاكمن ، والمسيو بتي الحاكم العام

القاه في مدرسة الحكمة نهار الجمعة في ١٧
حزيران ١٩٢١ اثناء تمثيل رواية
جان دارك .

حضرة الكولونيل . حضرة الحاكم العام . سيداتي . سادتي .

اقدم لكم خالص شكري لحضوركم هذه الحفلة المدرسية ولتشريفكم هذه المدرسة التي هي تقريباً اول المدارس الكبرى التي علمت اللغة الافرنسية في بيروت . نعم ان حضرة الاباء اليسوعيين في غزير اسسوا مدرستهم قبل هذه المدرسة بزمن طويل لكن في بيروت عمر مدرسة الآباء ومدرستنا هو ذاته . لذا قلت تقريباً هي اول المدارس .

المدرسة تكمل تقاليدها الماضية بتلقين آلاداب الافرنسية الشريفة . لذا رأت ان تمثل في هذه الحفلة رواية افرنسية ربما يراهـا البعض رزينة اكثر من اللازم لأن مؤلفها اراد ان يتشبه بالروائيين الكبار فنفى المناظر التي تروق التصور والاعين واكتفى بما يلذ للعقل فقط . فحتى نعوض عن النقص ارادت

ادارة المدرسة ان تمثل بعض فصول من رواية موليار الشهيرة : « الطبيب رغماً عنه » واظن ان الجائزة تعطى لممثلي الرواية الهزلية .

لكن المقصد والغاية الكبرى من هذا التمثيل هي ان نعلم ناشئتنا واولاد وطننا كم يجب ان نحب ونعتبر البلاد العظيمة فرنسا ونتعلق بها . وكم نحن سعداء ان نكون تحت انتدابها بما ان الله صنع العجائب لخلاصها .

صنع اعجوبة عظيمة لنجاتها بواسطة جان دارك تلك الفتاة الغريبة التي ادهشت العالم بشجاعتها وحبها للوطن وبقداسة حياتها . أليست اعجوبة ان بلاداً كاد العدو يفنيها تنجو بواسطة ابنة فقيرة في الثامنة عشرة من عمرها .

والله لا يزال يصنع عجائبه لخلاص فرنسة . ففي الحرب الأخيرة خلصها من اكبر عدو بواسطة ابطال اشتهروا مثل جان دارك بشجاعتهم وحبهم للوطن ودينهم المتين . اخص منهم بالذكر ذاك الجندي الباسل والفارس المقدام الذي مثل بايار هو بدون خوف ولا زلة اعني به الجنرال غورو . فارجوك يا حضرة الكولونيل بما انك تمثله بيننا ان تقدم له خالص حبنا وتعلقنا بشخصه وبفرنسة المحبوبة التي يمثلها .

وهذه فرصة لي كي اعلن قدام هذا الجمع الغفير (وتعرفون اني لا اداهن ولا احب التدليس) اننا رغم بعض تنديدات أسمعها بحرية احياناً ، مقيمون على المبدأ . فالمبدأ الذي كنا

عليه وسنكون عليه دائماً : استقلال لبنان وانفصاله التام عن سورية مع الانتداب الافرنسي . لذا عندما طلب منا ان نشترك بوفد غايته مضادة استقلال لبنان والانتداب الافرنسي قلنا والآن نجاهر باسمنا وباسم الطائفة جمعاء وباسم معظم البلاد : لا نقدر ان نشترك بمثل ذلك السعي اذا تركنا فرنسا .

عندما سمعنا بذلك الخبر (غير الصحيح) ان الاتراك قربوا من حلب ، تساءلنا وقلنا اذا تركتنا فرنسة ماذا يحل بنا لذا على فور هذا التأمل ازداد تعطفنا وازدادت محبتنا لفرنسة الضامنة استقلالنا .

وبحركة طبيعية ضممنا بين ذراعينا راية لبناننا المستقل وصرخنا بكل قوانا مكررين ما قلناه دائماً : « فلتحي فرنسة »

تأيين المثلث الرحمة

البطريرك اغناطيوس افرام رحماني

الخطاب الذي القاه صاحب السيادة المطران
اغناطيوس مبارك رئيس اساقفة بيروت

كتب القديس بولس الرسول في آخر حياته الى تلميذه تيموتاوس هذه الآية الشهيرة وهي : « اني قد تممت سعيي وأكملت جهادي وحفظت ايماني فلم يبقَ إلا ان انتظر الاكليل الذي وعدني به سيدي الديان العادل ، ليس لي فقط بل ولكل الذين احبوا ظهوره ايضاً »

لكل انسان سعي في هذه الدنيا بحسب حالته في الدعوة الخاصة التي دعي اليها : فالمسيحي سعيه في هذا العالم ان يتمم واجباته المسيحية ويحفظ الوصايا ويقوم بمعاش عائلته ويحفظ شريعة العدل والمحبة . فاذا تمم هـذا السعي كان له الاكليل الذي أعدّه الديان العادل . وبقدر ما يعلو الانسان مقاماً بقدر ذلك يعظم سعيه وتكبر مسؤوليته . فاذا تمم هذا السعي وأكمل جهاده ، رغم المخـاطر والمصاعب ، كان له الاكليل الاعظم . فالكاهن له سعي ، وعليه واجبات تفوق واجبات العلماني . وعلى الاسقف واجبات تفوق واجبات الكاهن . والبطريرك

في الكنيسة له سعي سامٍ يعلو سعي الاساقفة، وبتعدد واجباته يكبر الخطر عليه. ولكن اذا هو أتمّ سعيه وأكمل جهاده، فإكليله يكون اعظم من اكاليل الكهنة والرؤساء.

اما قدوة جميع المؤمنين من رؤساء ومرؤوسين، فهو سيدنا يسوع المسيح: ففي حياته الخفية هو قدوة للمؤمنين الذين هم في العالم، وفي حياته العلنية هو قدوة للكهنة، وللرؤساء العظام خاصة. فبقدر تشبه الرئيس بحياة السيد المسيح العلنية، بقدر ذلك يتمم سعيه ويكمل جهاده ويظفر بالاكليل الذي أعده الديان العادل

وان حياة السيد المسيح العلنية، تختصر بثلاث كلمات: علّم، وعمل، وتألّم:

علّم، كما جاء في الانجيل، اذ كان يطوف القرى والمدن ويعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت — وعمل في تهذيب الرسل ليجعلهم قدوة القداسة والطهارة، وقادة الشعوب الى الخلاص. وعمل ايضاً بالخير الذي كان يصنعه، كما جاء في الانجيل: كان مارّاً عاملاً خيراً. فكان يشفي المرضى ويطهر البرص ويفتح العميان ويقيم الموتى. وهذه اوضح علامة أثبت بها السيد انه هو المسيح الآتي، فقال ان العميان يبصرون والصم يسمعون والبرص يطهرون والموتى يقومون والمساكين يبشرون — وأخيراً أراد ان يكفر عن الخطيئة التي اساسها في كبرياء النفس ولذة الجسد وذلك باحتمال الآلام

الداخلية ، أعني الاهانات والشتائم والنميمة ، وباحتمال الآلام الجسدية بالجلد واكليل الشوك والصلب وسفك الدم والموت على الصليب

فاذا شئتم ان تعرفوا كيف يقدر الكاهن ، والرئيس خصوصاً ، ان يتشبه بحياة سيدنا يسوع المسيح ، فتعالوا اليوم وتأملوا في حياة فقيد الدين والعلم والوطن ، المثلث الرحمة ، البطريرك اغناطيوس افرام رحماني . لاننا نقدر أن نختصر حياته بتلك الكلمات الثلاث التي اختصرنا بها حياة سيدنا يسوع المسيح ، وهي : علّم ، وعمل ، وتألّم

ان الله حينما يدعو الانسان الى دعوة سامية يهيئه لها بما يمنّ عليه من النعم منذ نعومة اظفاره . كذلك هيأ الله هذا الفقيد العظيم بان جعله يتربىّ تربية مسيحية في ظلّ ابوين فاضلين ارضعاه الصلاح والتقوى . ثم ارسلاه ، بتحريض الرؤساء ، الى المدرسة الاكليريكية ، حيث رأى معلموه فرط ذكائه فأقرّوا ارساله الى عاصمة الكثلكة ليكمل فيها دروسه الكنسية ويتلقن العلوم العصرية . فأحرز السبق ونال شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني . وأكب على تلك العلوم العصرية التي تساعد العلوم الدينية ، التاريخ والآثار والطقوس القديمة . وبعد ان سيم كاهناً عاد الى وطنه ، واخذ ، على مثال السيد المسيح ، يجول القرى والمدن يبشر بكلام الله مروضاً النفوس بالرياضات الروحية والرسالات المفيدة بين المؤمنين

المشتتين في انحاء المملكة العثمانية . فكافأ الرؤساء غيرته وغزير علمه بان رقوه الى الدرجة الاسقفية فكان فيها معلماً ومرشداً وواعظاً شهيراً : لان من اخص واجبات الاسقف الوعظ والارشاد . وبعد تسنمه العرش البطريركي على الطائفة السريانية لم ينثن عن القاء المواعظ ، فجال في جميع انحاء بطريركيته ما يزيد على اثنتين وعشرين مرة ، متمماً تلك الوظيفة السامية ، وظيفة المعلم ، التي لُقب بها السيد المسيح . وعند الفراغ من اعماله الرسولية ، لم يكن له شغل شاغل الا مواصلة الدرس والكتابة والتأليف ، فأغنى الكنيسة الشرقية بمؤلفاته ، واستحق ان يعين مستشاراً في المجمع الشرقي الذي أنشأه السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر ، لما عرف في الفقيد المثلث الرحمة من العلم الراسخ والرأي الثاقب وألف المؤلفات الكثيرة في الآثار والتاريخ والطقوس . لذلك دعتهُ عدة مجامع علمية ليكون عضواً فيها . ولما أنشأت الحكومة اللبنانية المجمع العلمي اللبناني ، كان البطريرك رحماني اول عضو فيه . ثم اختاره اعضاء هذا المجمع رئيساً فخرياً ، فبقي في وظيفته هذه الى يوم وفاته . اذن يحق لابناء الشرق ان يتباهوا به ويجعلوه في مصاف مشاهير العلماء : فقد رفع رأسهم أمام الاوربيين وعرّفهم ان هذا الشرق لا يزال كالغرب منبتاً لاعاظم الرجال !

ولكن ، هل يحق لنا ان نتكلم عن الشهرة والعظمة امام هذه الجثة الهامدة التي بلسان حالها تشير الى ما في هذه

الدنيا من الاباطيل . باطلة الشهرة ، وباطلة العظمة ، والعلم نفسه باطل ، اذا لم يكن مقروناً بالعمل الصالح فان الانسان لا يبقى له من حياته الا صالح الاعمال . هذا ما جعل الفقيد العظيم يقرن العلم بالعمل ، فعمل بروح الغيرة والنشاط والهمة التي اشتهر بها في تهذيب الاكليروس اولاً ، على مثال السيد المسيح ، فأسس المدارس الاكليريكية ، او حسَّن حالتها الى درجة جعلتها تقوم افضل قيام بتهذيب الاكليروس وتثقيفه . وقد خرج من هذه المدارس كهنة واساقفة اختارهم وكرسهم لله فكانوا آية فخره في اعماله الرسولية

عمل بتأسيس رهبانيات للرجال والنساء غايتها تكريس الذات لله بالنسك والتقشف وتهذيب الشبان والفتيات ، حتى يجعلهم في المستقبل آباء وامهات عيال بحسب روح المسيح

عمل بانشاء الرسالات العديدة في انحاء اسقفيته اولاً ثم في بطريركيته ، وذلك محافظة على الايمان بين ابناء طائفته

عمل بتشييد الكنائس والمعابد وتوزيع الاعانات على المحتاجين وخصوصاً على الذين كانوا يرتدون عن يده او يد اعوانه الى الكثلكة ، وهم محتاجون الى مساعدات مادية قياماً بمعاش عيالهم وتهذيب اولادهم . فازدهرت طائفة السريان في ايامه اي ازدهار ونجحت افضل نجاح

وبينما هو يسر بنتائج اعماله الرسولية ونجاح طائفته وازدياد عددها بكثرة المرتدين اليها ، اذا بالشيطان يجربه كما جرب

ايوب ، فطلب من الله ان يمتحنه ليرى صبره . فثار ثائر الاضطهاد ابان الحرب الكونية وبعدها ، فكانت النتيجة تلك المذابح الفظيعة التي تقشعر لذكرها الابدان ، والتي اودت بحياة نصف طائفته تقريباً ! فجرت دماء العوام ممزوجة بدماء الكهنة ! وكانت الانباء تتوالى عليه تواليها على ايوب . فكان مع صبره وتسليمه لمشيئة الله ، يبكي على فقد بنيه بكاء راحيل ! وينوح على خراب بطربر كيته بكاء ارميا على اطلال اورشليم ! وقد كان ذاك بسماح من الله زيادةً لتثبيت الايمان بازدياد عدد الشهداء ، وامتحاناً للاب كي يكون شريكاً لسيدنا يسوع المسيح في آلامه الداخلية . فان الآلام شرط لازم في كل من يريد ان يتشبه بيسوع المسيح ويهتم بخلاص النفوس

لكن الله لم يشأ ان يبقي قلبه الحزين بلا تعزية ، فأراه رايات تلك الدولة المحبوبة فرنسة تخفق فوق هذه الديار ، ناشرة في ظلها الامن والعدل والراحة ، فاراحت هذا الجبل العزيز وانشأت فيه حكومة مستقلة وحفظت له حرية الاديان باكمل مظاهرها . لذلك رأيناه من اكبر المناصرين للانتداب الفرنساوي والاستقلال اللبناني

نعم سمح الله له بالتعزية وتخفيف الآلام النفسية ، ولكن عوّض عليه بازدياد الآلام الجسدية ليكمل جهاده ويكون شريك السيد المسيح في الصليب . فابتلاه اولاً بمرض رافقه كل حياته وجعله يحرم لذة العيش طعاماً ورقاداً . وكان مع

ذلك مثابراً على العمل والزيارات الرعائية المتواصلة كأن لا مرض فيه. واخيراً ارسل الله اليه المرض الاخير الذي سمره بفراشه كالمسيح بالصليب. فقدم حياته ضحية عن ابنائه، شأن الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن رعيته. وعندما رأى اشتداد وطأة المرض، سلم مقاليد الكنيسة الى وكلاء عيّنهم، وتخصص للاستعداد القريب بقبول الاسرار واصلاح ما ربما يكون قد فرط منه في الماضي، وتهيئة مستقبله الابدي

وكنا نظن ان هذه الراحة من عناء الاشغال تريحه من مرضه وتطيل حياته زماناً، فاذا بنبأ موته ينقض علينا كالصاعقة. فذكرنا هذا النبأ المفجع بما قاله الكتاب المقدس في موت يهوذا المكابي عندما وصف عويل الشعب وصراخه، عويلاً راجعت صداه جبال وأودية يهوذا، ان قد سقط رجل عظيم في اسرائيل! هكذا، عند وصول هذا الخبر تعالى الصراخ والنحيب، فسمع صداه في جبال وأودية لبنان وسورية وبلغ رجع الصدى الى آخر انحاء اوربة واميركة، ان قد سقط في الشرق رجل عظيم! لذلك نحني الرؤوس امام هذه الجثة الهامدة، ذارفين الدموع السخينة على من فقدنا!

فيا سادتي، يحق لكم ان تذرفوا الدموع على من كان لنا جميعاً افضل مثال في الغيرة الرسولية ومحبة النفوس. يحق لكم، يا ممثلي فرنسة، ان تبكوا صديقاً لفرنسا حميماً. يحق لكم، يارجال لبنان وسورية، ان تذرفوا دمعة على من حافظ

الى آخر نسمة من حياته ، على المبادىء الوطنية . يحق لكم يا رجال العلم ، ان تبكوا اليوم فقيد العلم ، ويا ابناء الوطن ان تبكوا فقيد الوطن ، ويا ابناء الطائفة السريانية ، بل يا ابناء الكنائس الشرقية ان تبكوا من كان اعظم من ابناء هذه الكنيسة علماً وعملاً وتضحية !

ولكن بين هذا البكاء والنحيب ، ينظر الفقيد الينا من العلى مستغرباً حسرتنا ودمعنا ، وهو يهتف قائلاً لنا : ارفعوا القلوب الى العلى ! واذا ما رفعناها وجدنا موكباً حافلاً يفوق هذا الموكب يرئسه السيد المسيح ذاته ، حاملاً اكليل الظفر لذاك الذي قد تمم سعيه وحفظ ايمانه وايمان شعبه ، وبرفقة السيد المسيح الاساقفة والكهنة الذين علمهم الفقيد وثقفهم وقد سبقوه الى الابدية . وبرفقة الرهبان والراهبات الذين قدسهم بامثلته وارشاداته ؛ وبرفقة اولئك المؤمنين الذين خلصهم بغيرته الرسولية ؛ وبرفقة اولئك المرتدين الذين ارجعهم من ظلام الموت الى نور الايمان . وعندئذٍ يتقدمهم هو ذاته الى السيد المسيح قائلاً : اعطيتني ، يا رب ، خمس وزنات ، وها هي خمس وزنات ربحتها بمتاجرتي الروحية . فيجاوبه السيد المسيح واضعاً اكليل الظفر على رأسه قائلاً : هلمَّ يا عبداً امينا . وجدت امينا على القليل ؛ فسأقيمك امينا على الكثير ؛ ادخل فرح سيدك . فتدخل نفسه الطاهرة تلك الاخدار السماوية في ذاك الموكب الحافل ، وهناك تنال السعادة بمشاهدة الله وجهاً

لوجه ، برفقة الآباء والانبياء الذين ضاهاهم بغيرته ، برفقة الرسل الذين تشبه فيهم باتعابه ومشقاته ، برفقة الملافنة الذين جاراهم في علمه ، والشهداء الذين شاركهم في آلامه وبكى على فقدهم في حياته .

فما اعظم التعزية عند التأمل في هذا المشهد

فيا اخوتي ، رؤساء وابناء الطائفة السريانية ، كفكفوا الدموع ، فان فقيدكم عاش عيش القديسين ومات موت القديسين ونال اكليل الظفر مع القديسين

ونحن الرؤساء ما اعظم المثال الذي امامنا ، وما احرانا بان نقتدي به ونتتبع آثار غيرته وتفانيه وعلمه وعمله ، فنستحق يوماً ان نقول ما قاله رسول الامم على مثال فقيدنا : اني قد تممت سعيي واكملت جهادي وحفظت ايماني ، فلم يبق الا ان انتظر الاكليل الذي وعدني به سيدي الديان العادل ، ليس لي فقط ، بل ولكل الذين احبوا ظهوره ايضاً . امين

تأبين

المثلث الرحمة المطران نعمةالله ابي كرم

لفظه في كاتدرائية بيروت نهار الاثنين ١٣ نيسان سنة ١٩٣١ (١)

ان الذين استحقوا ان يشتركوا مع المسيح بالامه ، يستحقون
بان يشتركوا بقيامته (رومية ٦ : ٨)

ان هذا الكلام يفيدنا في هذه الايام الفصحية المباركة التي تأمرنا بها امنا الكنيسة المقدسة ان نتأمل بقيامة المسيح بعد آلامه وموته . وبالوقت نفسه نرى فيه مختصر حياة من فقدناه اليوم ، حياة فقيد الكنيسة والطائفة والعلم والفضيلة المثلث الرحمات المطران نعمةالله ابي كرم . لانه بحياته تشبه بحياة المسيح المتألمة . ان المسيح دعاه منذ صغره ، فلبى دعوته وحفظ تعليمه وتشبه به في حياته المتألمة حتى مماته . نعم ان المسيح لما اتى على الارض لم يرد الا ان يطيع اباه مضحياً بارادته لابيه السماوي لذلك عند دخوله العالم قال : ذبائح ومحرقات لم تشا لذلك البستني جسداً فقلت هانذا آت لاصنع مشيئتك يا الله

---

(١) اخذنا هذا الرثاء بينما كان سيادته يلقيه لان سيادته لم يعتد كتابة خطبه .

وهكذا ارانا المخلص انه اتى للتضحية واولاها مشيئته لتكون خاضعة لابيه. فمارس كل الفضائل الدالة على الطاعة لارادة الله : فاذا رايناه في مغارة فما ذلك الا اتماماً لارادة ابيه ، ولهذا السبب نراه يذهب الى مصر ، ويتزوي ثلاثين سنة في حانوت النجارة ، وعندما كان يبشر كان كانه تائه ليس له موضع يسند اليه راسه. فبعد ما اعطانا هذا المثال العجيب ابتدأ يعلم وحق له ان يعلم تلك التعاليم السامية التي لم يستطع بشر ان يأتي باسمى منها ، ثم ضحى بجسده وذاته سافكاً دمه على الصليب. لذا لا تعجبوا اذا كان الآب رفعه بالقيامة واعطاه اسماً تسجد له كل ركبة من في السماء ومن على الارض وتحت الارض. لا تعجبوا اذا كان المسيح ختم عمله متلاشياً على عود الصليب بموته ، انما قد اتمه بقيامته ونشره في المسكونة كلها بواسطة رسله ، ولا تزال الكنيسة منذ الفي سنة تكمل هذا العمل العجيب. فعلى هذا المثال يجب على كل مسيحي ان يعيش ويسير ، وبنوع خاص على من تجند لخدمة المسيح بالدعوة الاكليريكية ، وبنوع اخص اذا كان اسقفاً.

تعالوا يا مؤمنين وانظروا الاسقف الجليل الذي فقدته الطائفة والكنيسة ، مثالاً كاملاً للمسيح ؛ اذ انه اتبع الدعوة الاكليريكية التي بها يلبس الكاهن حلة سوداء دلالة حداده وانفصاله عن العالم ، وقد اهله الله لهذه الدعوة بتلك التربية

المسيحية على والدين فاضلين ؛ فشب بعدها على كل الفضائل المسيحية ؛ وقيض له الله ان يدخل مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ، وتممها في بيروت بعد نقل المدرسة المذكورة اليها ، وخرج منها بعد ان قبل تلك التربية السامية عن يد معلمين شهيرين ليس فقط بعلمهم وفصاحتهم ، بل بالاكثر بالفضيلة والتقوى ؛ فرأينا فقيدنا يتحلى بكل تلك الفضائل التي بها ينفصل الانسان عن العالم ، واراد ان يحافظ على هذا الانقطاع بتلك الطهارة الملائكية حتى لم يقدر احد ان يمسه بكلمة لا في كهنوته ولا في اسقفيته .

مات عن العالم بفضيلة التواضع التي كان يمارسها مبتعداً عن الشهرة والفخفخة الباطلة تشبها بتواضع المسيح . تشبه بميتوتة المسيح اذ كرس ذاته لخدمة القريب بتهذيب الشبان وتربيتهم التربية المسيحية ليقيهم الشرور والاخطار المحدقة بهم ، فتنقل من مدرسة الى مدرسة ليعم تعليمه ونفعه الجميع ، تنقل من مدرسة الآباء اليسوعيين الى مدرسة الحكمة ، ومنها الى مدرسة عبيه ، فمدرسة قرنة شهوان ، فمدرسة اخوتنا الرهبان الكاثوليك في صربا حتى دعاه غبطة بطريرك الطائفة بالاتفاق مع الاب الاقدس لتهذيب شبيبة مدرستنا في رومية ، فقام بها احسن قيام .

اقتدى بالمسيح بممارسة فضائل دعوته الاكليريكية وبقي محافظاً على هذه التقوى رغم المقام الرفيع الذي كافأه به الاب

الاقدس بترقيته الى درجة الاسقفية واراد ان يقدمه كمثال حي للتشبه بالسيد المسيح .

اما هو فبقي محافظاً مدة اسقفيته على فضيلة التواضع وحب الاختفاء رغم اشتهاره بيننا بعلمه الواسع . لان هذا العلم كان واسطة له للتشبه بميتوتة المسيح ، نعم انه عوضاً عن ان يفاخر بهذه العلوم نظير سائر علماء العالم ، فعلى مثال المسيح حفظ بهذه العلوم الشريفة فضيلة الاتضاع وربما لا يعرف العالم قدر التوفيق بين هذين الامرين : العلم مع الاتضاع . فالف في شرح الكتاب المقدس والحق القانوني والفلسفة ، وما غايته منها الا ليرفع نفس قرائه الى ما هو اسمى من هذه الدنيا . واذا كان العالم لا يعرف قيمة هذه التآليف فيعرفها ذاك الذي نشر الانجيل بين السذج . لان تعليم المسيح هو اساس التمدن العصري ، وكل علم يخدم هذه الغاية هو اشرف من سائر العلوم ويخدم البشرية اكثر من كل كلام فارغ .

اشتهر المطران نعمة الله ابي كرم في الجيلين ١٩ — ٢٠ بعلومه واشتهر فيها كعلماء طائفتنا في العصور الماضية والحاضرة .

رغم هذا رايناه مثابراً على تلك العيشة البسيطة وكأن الله ابعده عن وطنه ليكمل فضيلة ميتوتة يسوع في اختفائه . فلم يتمتع بشيء من امجاد الاسقفية وعندما اراد ان يرجع الى وطنه فكان الله لم يشأ الا ان يكمل به مثال ميتوتة يسوع

فما وصل الى هذا الوطن حتى حل في جسمه مرض عضال سعى الاطباء بتخليصه منه ، ولكن رغم عنايتهم وسهرهم لم تكن النتيجة الا زيادة الالام . فكما ان المسيح انهى حياته على الصليب هكذا انهى فقيدنا الحياة على فراش الالام ، على صليب المسيح . وكأن الله اراد ان يجرعه كاس الالام جرعة جرعة ، حتى لا يفوته شيء منها ، فجرعها بكل خضوع وتسليم وصبر ؛ ونحن الذين كان لنا الحظ بعيادته يومياً كان لنا الحظ ايضاً لان نرى فيه مثال الصبر والاحتمال : لا كلمة شكوى ، او تذمر بل كان يطلب من الله ان يقبل هذه الالام كفارة عن خطاياه وانه لم يشأ ان يكتفي بها بل اراد ان يزيدها باماتات اخرى تكفيراً عن خطاياه . فكان كل مرة نذهب اليه يطلب الينا سماع اعترافه ، وكم كان يكفر عن خطاياه بدموع سخينة .

ولم ينقصه شيء من هذا التشبه الا امر المغفرة لاعدائه ، وذلك لان فقيدنا لم يكن له اعداء ليغفر لهم ، فانه عاش دون ان يسيء الى احد بل صنع الخير مع كل احد . وبعد ان اكمل هذا التشبه اسلم روحه ليد خالقه .

لا تعجبوا اذا كان حبرنا مات مع المسيح متألماً فانه يقوم اليوم بمرافقة الناس له ليعرفوا حقيقة عمله وفضيلته ، لان المسيح اراد ان يكافئ الفضيلة بمعرفتها اقله بعد الموت ، واذا كانت هذه الجماهير تلتف اليوم حول نعشه ما ذلك الا لانه

المسيح اراد ان يقيمه .

ولا تعجبوا اذا كان الموكب السماوي يفوق جمالاً هذا الموكب الارضي : فان المسيح رئيس الشهداء وامام الاحبار يأتي لمقابلة وملاقاة خادمه الامين الذي تاجر بالوزنات التي وهبه اياها . وكذلك نرى الرسل بعد السيد المسيح آتين لملاقاة هذا الرسول الحقيقي لابن الله بتبشيره بكلمة الانجيل ونشر تعاليمه المقدسة . والشهداء الذين ماثلهم في احتمال الالام والاوجاع يرون فيه اخاً محبوباً يعانقونه فرحين ، وجماعة الابكار من الشبان والعذارى الذين ضاهاهم بالطهارة الملائكية هم ايضاً يلاقونه مرتلين ذاك النشيد المختص بهم حول عرش الحمل .

لا تعجبوا اذا كنا نرى بين الموكب السماوي قديسين وقديسات من شبان وشابات واولاد وشيوخ وكهنة تلقوا التعليم المسيحي من فمه وقبلوا الاسرار من يده وقد سبقوه الى الديار السعيدة الخالدة ياتون اليوم للقائه !

نعم لا تبكوا على الفقيد فانه لم يمت الا ليقوم مع المسيح الذي تشبه به .

هذه هي التعزية التي نقدمها لحبر الاحبار قداسة سيدنا البابا بشخص ممثله القاصد الرسولي الذي كان يعوده مراراً ويتفقده باسم البابا وقد حمل اليه بركة قداسته وقد تلطف وشاركنا بالصلاة عن نفسه

هذه هي التعزية التي نقدمها لشيخنا الجليل غبطة بطريركنا

السامي الاحترام الذي فقد به خير مثال للكهنوت والاسقفية .

هذه هي التعزية التي اقدمها لكم ايها السادة الاساقفة وهي تحملنا في الوقت نفسه على الاقتداء بفضائله ، بتواضعه ، بغيرته بتجرده عن هذا العالم ، بتشبهه بالسيد المسيح ، وبطهارته وقداسته .

وهذه هي التعزية التي اقدمها الى اخوته واقاربه وسائر ابناء عائلته ؛ ولعموم ابناء الطائفة والوطن لانهم فقدوا به وطنياً صادقاً وقد خدمه خدمة جلى بعلومه وعمله .

واخيراً هذه هي التعزية للتي اعزي بها نفسي انا الذي تشرفت بصداقته وقد درست الفضيلة بشخصه ، ولسوء الحظ لم تدم هذه الامثولة ، ولكن الفقيد اعطانا اكبر مثال نحن الاساقفة للتشبه بميتوتة المسيح . فاذا كان حبرنا مات عن الدنيا فلقد مات عنها من زمن طويل ؛ وانه بعد ان اشترك بميتوتة يسوع وبغيرته ، ومحبته ، فلا عجب اذا راياناه اليوم يشترك بقيامته ويأخذ اكليل الظفر ، لان الذين استحقوا ان يشتركوا مع المسيح بالامه وموته يستحقون ان يشتركوا بقيامته آمين .

خطاب

حفلة ازاحة الستار عن تمثال يوسف بك كرم

في ١١ ايلول سنة ١٩٣٢

سادتي :

اني ادع لسائر الخطباء والشعراء ان يستفيضوا بوصف المواقع والمعارك التي يذكرنا بها هذا التمثال الذي ابدعته يد الفنان اللبناني واكتفي بدرس فلسفة حياة من لدى ذكره ينتفض قلب الشاب اعجاباً ببطولته ، من لدى ذكره يكبر قلب الرجل اقتداء بشجاعته ، من لدى ذكره يتعلم قلب الوطني الصميم اكبر امثولة للوطنية بالاخلاص والتضحية : بطل لبنان مفخرة الشمال ابن اهدن وعميدها يوسف بك كرم

ما فلسفة الحياة سوى معرفة اسباب اعمال الرجل في سائر اطوار حياته فحياة يوسف بك كرم تختصر بثلاث كلمات كانت المحرك الوحيد لاعماله في كل اطوار حياته : حب الدين ، وحب لبنان ، والثقة بفرنسا

كان يوسف كرم معتصماً بالدين مثل كل ابناء الشمال لكن دينه كان قبل كل شيء مؤسساً على المحبة فحمل السيف ليس للفتك والظلم بل للمحاماة عن المظلومين وقد اوصى رجاله

ان ينكفوا عن كل تعد على النساء والاطفال وعلى كل مسالم مكتفين بالدفاع عن المظلوم وعندما احتل الجيش الفرنسي هذه البلاد اراد البعض ممن يدّعون الغيرة ان يفتك يوسف كرم باعداء دينهم فاجابهم : حاشا ان اتعدى وصايا الله وروح الدين المسيحي فافتك باناس لم يعد لهم مقدرة على التعدي فغايتي ليست الفتك بل ارجاع روح التآلف والتعاضد والمحبة بين سائر الطوائف اللبنانية واصلاح ما افسدته السياسة بتحريك النعرة الطائفية فان لبنان منذ نشأته عاش بالاتحاد والاتفاق ولم يعرف هذه الاختلافات الا عندما ادخلتها السياسات الدولية .

وهكذا ترك للجيش الفرنسي تدبير الامور منتظراً تقرير الدول فالحكومة الفرنسية كانت تود ان تقرر حاكماً وطنياً لكن تنازع الدول على النفوذ في لبنان اضطرها على قبول حاكم تركي من الطوائف المسيحية فرغماً عن دينه المسيحي خشي كرم ان تبقى النزعة الطائفية بسبب تدخل يد الاتراك في لبنان وقد علمه الاختبار ان هذا التدخل كان سبباً لخراب لبنان بعد ذهاب الامير بشير فهبّ هبته لمقاومة هذا النظام محافظة على روح المسالمة بين الطوائف وخشية من رجوع المذابح المشؤومة لكنه لم يكن يهجم على الاعداء الا بعد استماع القداس والالتجاء الى الصلوة فلم يكن ينفك عن صلاته رغماً عن مهاجمة الاعداء وسقوط وابل الرصاص حواليه

الا بعد تأكده حلول المعونة من الله فيصرخ برجاله ويهجم في مقدمتهم و كجدعون آخر يقهر ببضع مئات عشرات الالوف من الجيش التركي وهكذا كان يطير برجاله من اكمة الى اكمة ومن واد الى واد ومن انتصار الى انتصار حتى استولى على نصف لبنان وبفضل هذه الانتصارات ادخلت الدول تحويرات عديدة على النظام السابق فرضي بها موقتاً البطريرك الماروني واشار الى كرم ان يوقف القتال ويحقن الدماء فرغماً عن تأكيد انتصاره النهائي اغمد سيفه خضوعاً لارادة رئيسه الديني

فيحق لك يا صاحب الغبطة ان ترأس اليوم هذه الحفلة التي يكرم بها الشعب اللبناني رجل الدين وابن البطريركية الابرّ فغايته كانت التوحيد بين الطوائف اللبنانية. فلذا قد اهتزت عظامه في قبره يوم رأت كل الطوائف اللبنانية ملتفة حول البطريرك الماروني كعميد للبنانيين لانه رجل المحبة رجل التآلف رجل العمران خدمة للوطن اللبناني دون تمييز بين طائفة واخرى. واليوم تهتز عظامه ثانية في قبره اذ ترى لبنان بمجموع طوائفه يلتف حول تمثاله لتكريم رجل الوطنية الذي كانت ضالته المنشودة في روح دينه ارجاع المحبة الى قلوب سائر اللبنانيين فان محبة دينه كانت المحرك الاعظم لمحبة وطنه لبنان

لبنان، يا سادتي، كان الشغل الشاغل ليوسف كرم وبما انه ظن ان في نظام لبنان مساً لاستقلاله هبّ هبته المشهورة

فانظروا الان ما اعظم الفرق بينه وبين اولئك المنتفعين الذين لا يعرفون للوطنية معنى الا اذا امتلأت جيوبهم فقد سمعنا بعضهم يتشدق بالوطنية ويؤكد لسامعيه استعداده لسفك دمه حباً بوطنه وقد نسي الجاهل انه باع لبنان باكلة عدس فارهق الشعب هو وزملاؤه تحت ثقل الضرائب المستنكرة وداس حقوق لبنان وتقاليده وشرفه لاجل منفعته الشخصية واتى اخيراً يتشدق بالوطنية فاذا كان نسي ماضيه فالشعب اللبناني لا ينساه

فتعالوا يا بني لبنان وتعلموا الوطنية الحقة من بطل لبنان بالتضحية الكاملة فان يوسف كرم جمع رجاله وزحف بعسكره للمحافظة على استقلال لبنان ولم يشأ ان يثقل على احد في تلك الايام المشؤومة فرهن املاكه الواسعة وبيته ذاته وصرف هذا المال على عسكره دون ان يكلف اللبنانيين ضريبة او « سخرة » وكان مبداه انه لا يليق ان نخلص اخواننا اللبنانيين من الموت قتلاً ثم نحكم عليهم بالموت جوعاً . وقد وجد في ابناء الشمال من لبى افكاره مقتدين ليس بشجاعته فحسب بل بتجرده وتضحيته ولذا رأينا النصر حليفهم في كل مواقعهم ولا عجب اذا كان الاحفاد قد ورثوا الجدود فكما لبى جدودهم صوت بطلهم يوم دعاهم الى القتال محافظة على لبنان رأينا الاحفاد يلبون نداء فرنسا في هذه الايام فيفتحون الطريق لعساكرها لقمع ثورة كانت خطراً على لبنان وعلى

فرنسا في هذه الديار فاستحقوا تقريظ الجنرال غورو المشهور: انني ببضع مئات من هؤلاء الابطال اقهر عشرات الالوف من الاعداء !

فلتحي الشبيبة الاهدنية وليحي ابناء الشمال ولتحي الوطنية ! لكن يا اخواننا ابناء الشمال نرجوكم ان توفروا دماءكم الثمينة الى حين الحاجة فلا تسفكوها بالاقتتال بين بعضكم فحياتكم غالية ونريد ان تبقوها للدفاع عن لبنان وحقوقه على مثال جدودكم الذين لبوا نداء كرم وضحوا بحياتهم في سبيل لبنان نظيره

فلا عجب اذا كان اللبنانيون يلتفون حوله اليوم بالاعجاب مكبرين عمله مقدسين ذكره ليستفيدوا من مثاله في الوطنية الحقة . فمصلحة لبنان كانت لديه فوق المصالح ولذا فان روحه تهتز في مجدها لرؤية بوادر الاصلاح في لبنان

فيا مولاي رئيس الحكومة اللبنانية قد قيض لك الله ان تحقق بوادر هذا الاصلاح ومع يوسف كرم نهنئك على وطنيتك وجرأتك في هذا السبيل فانك قد اجتزت شوطاً كبيراً في اصلاح ما افسدته السنون الماضية

فنرجوك يا مولاي ان لا تتوقف في منتصف الطريق فقد قامت قيامة اللبنانيين طالبين الاصلاح بتخفيف الضرائب وتخفيض الرواتب فهذه ضالة الشعب المنشودة وطالما لم يصل اليها فلا يشعر بالاصلاح الحقيقي في هذه الازمة الخانقة حيث

جفت موارده ولم يستغل من ارزاقه ما يكفي مطاليب الحكومة

واذا قامت قيامة موظفيك فليأتوا الى ساحة اهدن ويتعلموا الوطنية الحقيقية بالتضحية . فيوسف كرم ضحى براحته . وضحى بماله ودمه حباً بوطنه وضحى بذاته ومستقبله ثقة بفرنسا

ان يوسف كرم اقتبل من ابيه وصيةً ان يحب فرنسا ويثق بها وقد اظهر هذه الثقة حينما حضر قنصل فرنسا وطلب اليه ان يغمد سيفه ويسرّح رجاله ويثق بفرنسا للمحافظة على مصالح لبنان وبدون جدال نزل عند رغبة ممثل فرنسا رغم انتصاراته الباهرة . وفوق ذلك عندما طلب اليه القنصل الفرنسي ان يغادر وطنه ويعيش في المنفى فبدون تردد ضحى بذاته وبمستقبله وغادر لبنان ليقضي حياته في الغربة متكلاً على فرنسا انها تحافظ على لبنان وعلى مصالحه الحيوية . وكان من منفاه يتتبع الحوادث وكم كان سروره عظيماً لما رأى ان فرنسا جاوبت على ثقته وبسهرها على نظام لبنان ارجعت اليه الحيوة والراحة والامن والعدل والرفاه حتى اصبح لبنان يغبطه جيرانه قائلين : هنيئاً لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان ! فسعادة لبنان كانت سعادته في منفاه وقد كتب الى احد اصدقائه الفرنسيين : اني مسرور ان أُضحّى بشرط ان يحي لبنان سعيداً بظل الحماية الفرنسية فلأضحّ انا وليعش لبنان

فيا سعادة القنصل ان روح كرم تحيي فرنسا اليوم لانها

تشق بها كما وثقت بهـا في الماضي وكما اوصلت فرنسا لبنان الى الراحة بحمايتها فانها ستوصله اليها بانتدابها فاذا كان لبنان الكبير لم يصل بعد الى السعادة التي ادركها لبنان الصغير فالعميد السامي قد وعدنا بانه يجلب لنا الراحة والرفاه بتنظيم حكومة جديدة واتخاذ الوسائط اللازمة لافراج الازمة الحاضره فكما وثق كرم ولم تخيب فرنسا ثقته فنحن نثق بعميد فرنسا وننتظر تحقيق مواعيده قريباً وكما غبط الجيران لبنان الصغير سيغبطون ولا شك لبنان الكبير مكررين القول المأثور : هنيئاً لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان !

وانتم يا ابناء لبنان لا تكتفوا بالثقة بفرنسا بل ثقوا بنفوسكم اولاً وتعلموا الوطنية الحقة من بطل لبنان يوسف بك كرم فمتى كثر مقتفو آثاره بشروا لبنان بنجاح باهر وسعادة دائمة

وعندما تتهيج براكين المصلحة الشخصية ويصعد دخانها الاسود فيعمي الابصار والعقول فتضحى مصلحة لبنان على مذبح المنفعة الشخصية تعالوا يا بني لبنان الى شمال لبنان واحضروا الى هذه الساحة الاهدنية وزوروا قبر البطل اللبناني وتأملوا بتمثاله . فمن داخل القبر تسمعون صوت كرم رغم سكوت الموت ومن تمثاله تسمعون صوته رغم جمود النحاس صوتاً يختصر فلسفة حياته كلها :

فلأضحَّ انا وليعش لبنان !

خطاب

حفلة ازاحة الستار عن تمثالي المطرانين عون والدبس
في ١٤ كانون الاول سنة ١٩٣٢

اسيادي ، سادتي

لقد كان الاجدر بي ان اتكلم مفصلاً عن أعمال السعيد الذكر والطيب الاثر المطران يوسف الدبس فهو الذي رباني صغيراً في مدرسته وارسلني شاباً الى فرنسا وقادني كاهناً في طريق الحياة الرعائية وهو صاحب الفضل على خلفائه في كرسي ابرشية بيروت فاننا نسكن في بناء فخم شيده ونقيم الاحتفالات في كاتدرائية قد بناها وكيفما اجلنا الطرف في هذه العاصمة لا نجد الا اثاراً عظيمة تدل على غيرته من كنائس ومدارس وجمعيات ، لكن الصديق العزيز الدكتور امين الجميل مقرر اللجنة لم يترك في خطابه البديع عن حياة الدبس زيادة لمستزيد

لذلك نكتفي بايراد الاسباب التي حملتنا على ضم تمثال المطران طوبيا عون الى تمثال المطران يوسف الدبس فاللجنة تألفت أولا لاقامة تمثال للدبس لكننا عند التروي رأينا ان الدبس قد بنى على أساس وضعه عون . فمع اقرارنا بفضل

الدبس العظيم لا يسعنا ان ننسي فضل طوبيا الذي بكده واجتهاده قد هيأ الموارد اللازمة التي سمحت للدبس بان يباشر اعماله الكثيرة في بدء اسقفيته فترون فضل طوبيا على كرسي ابرشية بيروت وعلى الطائفة المارونية وعلى الوطن اللبناني

ان اساقفة بيروت قبل طوبيا لم يكن لهم لا في مدينة بيروت ولا في سائر انحاء الابرشية حجر يسندون اليه رأسهم فالمطران عبدالله قرألي طلب انضمام ابرشية دمشق الى ابرشية بيروت بسبب قلة مداخيله ليستعين بمداخيل ابرشية دمشق على القيام بأود معيشته واعماله الرعائية . والمطران مخايل فاضل مع انه من ضواحي بيروت كان يتنقل من دير الى دير حتى يجد السكنى والقوت والمطران بطرس كرم اضطر ان يسكن في بسكنتا قريته خارجاً عن حدود الابرشية لانه لم يكن له مسكن فيها

فدخل طوبيا ابرشية بيروت بعد تذليل الصعوبات التي عرضت له عند تعيينه وشمر عن ساعد الجد لايجاد مورد يكفيه ويكفي كهنته . فقدم له الوجيه عساف ماضي من عين سعاده ارضاً شاد فيها كرسي عين سعاده الشهير الذي لا يزال مصيفاً لاساقفة بيروت ومن هناك اخذ اجتهاده يشع كالشمس فاشترى ما حول الكرسي ثم مزرعتي عين نجم وكفرا والجهة الشرقية من بيت مري ومزرعة مرت تقلا رشميا ثم املاكاً واسعة في جهات مجدل معوش ووادي الصفا وقدم

له الامراء الشهابيون املاكاً في الساحل فأخذ يضم اليها ما يجاورها حتى امتلك نصف التحويطه وقسماً كبيراً من المخاضه وسن الفيل وقدم له الامير امين ارسلان مزرعة كفريا في البقاع واشترى في آخر حياته معمل شملان ونال رخصة ليشيد مدرسة عالية للذكور لتهذيب الناشئة وفقاً لمقتضيات الحالة العصرية فعاجله الموت قبل تتميم هذه الفكرة فاتى خلفه وشاد مدرسة الحكمة بالرخصة التي نالها سلفه بثمن ارزاق شملان و كفريا ووادي الصفا

ولم ينس بيروت مركز ابرشيته فاشترى ارضاً على ابواب المدينة وهي الارض التي نحن مجتمعون الان فيها وبنى هذه القلاية التي كانت وقتئذ اجمل بناية في بيروت وكمل مشترى السوق الواقع تحت هذه القلاية ودعي سوق المطران وامتد شراؤه الى سوق ابي النصر وسوق رجال الاربعين . واوصل ملكية الوقف الى حيث كانت كنيسة مار جرجس القديمة . واستحصل على رخصة لبناء كاتدرائية لائقة بالطائفة المارونية في الموقع الذي شيدت فيه . ولم يسمح له الاجل بتشييد هذه الكاتدرائية فشادها خلفه بموجب الرخصة المعطاة من واردات الاملاك التي ذكرناها فجاءت اية في الفخامة والفن خلدت ذكر الدبس وخلدت ذكر طوبياً ايضاً

واذا كنا تمكنا نحن من تشييد تلك البناية الجديدة الشاهقة في شارع المعرض على ساحة النجمة فتضاعفت بذلك

موارد الوقف واذا تمكنا من تشييد الكنائس في عاليه وبيروت فما الفضل في ذلك الا للمؤسس الاول المطران طوبيا عون.

ان عنايـة المطران طوبيا عون يا سادة لم تنحصر في الماديات بل جعل شغله الاهم الاعتناء بالنفوس ادبياً وروحياً. ففي بيروت كان يشجع ابنـاء رعيته بتتميم الحفلات الدينية والواجبات الروحية بابهة وجلال مكرساً للعناية بهم كل سنة اربعة اشهر يجول فيما بينهم واعظاً مرشداً محرضاً على التقوى والعبادة وكان صوته يجلب الى بيروت عدداً غفيراً من ابناء الطائفة المارونية. فبعد ان كان عدد الموارنة في بيروت نحو خمسمائة نسمة بلغ نحو عشرة الاف عند وفاته. وفي باقي ايام السنة كان يتجول في المزارع والقرى ويقيم الرياضات بذاته زائراً الفقراء والاغنياء مشجعاً الحارين وحاضاً الفاترين مكتفياً بالحضيض مرقداً والبزّاق قوتاً كي لا يحمّل ابناء رعيته اثقاله وهذا ما نقله لنا الشيوخ الذين عاصروه. ولهذا نرى ذكره حياً الى الان في كل قرية ومزرعة من ابرشيته فاعطى بذلك مثال الغيرة والتفاني وحمل سائر رؤساء الطائفة معاصريه على الاقتداء بمثله واقتفاء اثره فانعش روح الغيرة والدين في الطائفة المارونية جمعاء.

لكن قلب طوبيا كان اكبر من ان ينحصر في الطائفة. فلبنان كله على اختلاف طوائفه ونحله ونجاحه المادي والسياسي كان مرمى مساعيه واعماله

ان البعض ينكرون على رؤساء الدين التدخل في السياسة لكن كيف يمكنهم ان ينكروا عليهم ذلك اذا كانت سياستهم منصرفة الى مناصرة المظلوم ومساعدة الفقير لايصاله الى حقه المهضوم. كيف ينكرون عليهم ذلك اذا كانت سياستهم متجهة الى رفع شأن الوطن وخير البلاد فسياسة المطران طوبيا لم تتجه الا الى هذه الغايات الشريفة.

ان انقسام لبنان الى طوائف لم يكن معروفاً منذ القديم فالطوائف كان يعيش بعضها مع بعض بالمحبة والسلام فدخلت المنازعات الدولية منذ جيل فقط وافقدتنا هذا الوئام ومزقتنا طوائف فكانت نتيجتها تلك الحرب الاهلية التي انتهت بالمذابح الشهيرة في الجيل الماضي فادمت هذه الحوادث قلب الراعي الشفيق والوطني الصميم.

فكتب المطران طوبيا التقارير المسهبة وتوفق بارسال خصيص يحملها الى السيد دوبنلو اسقف اورليان الخطيب المفوه في الندوة الافرنسية فقام هذا الاسقف الغيور وقعد عند تلاوته هذه التقارير، وبادر الى مقابلة نابوليون الثالث وطلب منه اعتمادات خاصة لارسال جيش افرنسي للمحافظة على اللبنانيين اصدقاء فرنسا وعندما عرض مشروع هذه الاعتمادات على المجلس النيابي ارتجت جدرانه بفصاحة السيد دوبنلو وسالت الدموع لدى تلاوته تقارير المطران طوبيا فصدقت الاعتمادات على جناح السرعة وارسل جيش افرنسي تحت قيادة بوفور

ودوكرو فلدى وصولهم الى بيروت فاوضوا قبل الجميع المطران طوبيا عون الذي رسم لهم الخطة لارجاع الامن الى البلاد بالارهاب اولا ثم بالعفو عن التائبين

وعندما ابتدأت المفاوضات بين ممثلي الدول الحامية لبنان كان المطران طوبيا بنظره البعيد يتطلب من ممثل فرنسا ضم مدينة بيروت والبقاع الغربي الى لبنان فحالت سياسة بعض الدول دون تحقيق هذه الامنية فالتزم المطران بان يكتفي بنظام لبنان القديم الذي جعل لبنان سعيداً مدة ستين سنة وبمفاوضاته ومراسلاته العديدة وارائه السديدة اكتسب ثقة ممثلي فرنسا في هذه الديار وبمساعدتهم توصل الى ذلك النفوذ العظيم الذي لم يستعمله الا لمناصرة الضعيف ومساعدة المظلوم وحماية ذوي الحقوق المهضومة

فانه لهذه الغاية كان يقصد مراراً دار الحكومة فترتج كل دوائرها من دوي عصاه والكل كانوا يهابون جرأته الادبية وارادته الحديدية للمدافعة عن الضعيف والبائس

ولم تكن عنايته لتشمل الموارنة فقط بل كانت تتناول سائر طوائف البلاد. واذا كان الامراء الشهابيون وقفوا على كرسي بيروت املاكاً طائلة لقاء خدمات المطران طوبيا لهم فالامير امين ارسلان الدرزي وقف ايضاً قرية كفريا في البقاع لقاء الخدمات الجلى التي اداها طوبيا للطائفة الدرزية عموماً وللاسرة الارسلانية خصوصاً. ومن لا يذكر ارجاعه لنصيف

كامله الارثوذكسي من وسط البحر بعد ان حكم عليه بالنفي

فترون يا سادتي ان فضل المطران طوبيا عم كرسي بيروت والطائفة المارونية وسائر طوائف لبنان فيجدر بكل لبناني ان يكرم ذكره برفع اثر له بالقرب من اثر خلفه حتى اذا نظر الرؤساء الروحيون الى هذين الاثرين ينبعث فيهم روح التشبه والاقتداء بغيرتهما ونشاطهما في خدمة الطائفة واذا نظر اليهما كل لبناني يأخذ عنهما مثال التفاني والتضحية في حب الوطن

وعسانا ان نقدر بعد مرور هذه الازمة الخانقة ان نرفع تمثالاً ثالثاً لخلفهما شهيد لبنان وشهيد فرنسا المطران بطرس شبلي لنتعلم منه روح التضحية الكاملة ببذل الحياة عند الاقتضاء

فعند ما نمر امام هذه الكاتدرائية ونلقي نظرة على هذه التماثيل نجدد حفظ امثولة ضرورية لكل فرد منا روساء ومرؤوسين : الجرأة في الواجب والاقدام في العمل والتضحية في الوطنية .

بلاغة وبيان

تابين شيخ صحافة لبنان وديع عقل في اليوم السادس
من تموز سنة ١٩٣٣

صاحب السيادة (سيادة المطران بولس عقل النائب البطريركي)
اخوتي الاعزاء

ان اختلاف الرأي في السياسة الحاضرة لا يمنعنا عن ان نقدر هذه الخسارة حق قدرها . خسارة جسيمة ومصاب اليم هي خسارة المرحوم وديع عقل لذويه وللبلاد، خسارة جسيمة ومصاب اليم لعائلته الحزينة وخصوصاً لارملته ولاولاده الصغار الذين فقدوا بفقده عميدهم وركنهم . فتأكدوا يا اولادنا الاعزاء اننا نشعر بشعوركم ونتأثر لتأثركم ونزيد في هذه الفاجعة المؤلمة ان نظهر لكم عطفنا الابوي واستعدادنا لخدمتكم في كل ما يؤول لمصلحتكم الدينية والزمنية حتى نقوم مقام الاب الذي خسرتموه

خسارة جسيمة ومصاب اليم للصحافة اللبنانية التي كان المرحوم شيخها وعميدها فبقلمه السيال وقريحته الجوادة وعباراته المنسجمة وانشائه المتين كان يجلب اعجاب قارئيه من موالين وخصوم

خسارة جسيمة ومصاب اليم للغة العربية التي كان من أكتب من كتب فيها في هذا العصر ويكفينا لاثبات ما نقول شهادة استاذه الشهير امام العربية من قوله فيها حجة وحكمة لا مرد عليه الا وهو المرحوم الشيخ عبدالله البستاني فقد سألناه اكثر من مرة : من تظنه، يا شيخنا، انبغ تلامذتك في العربية، فكان جوابه الدائم بدون تردد هو (بين من سماهم) وديع عقل . وتأييداً لهذه الشهادة انتخب رئيساً للمجمع العلمي اللبناني

ولكن ما اصغر عقولنا واقصر نظرنا اذ نتكلم عن النبوغ والذكاء والعلم والشهرة امام هذه الجثة الهامدة فاين النبوغ واين الذكاء واين العلم واين الشهرة . كل ذلك قد زال بزوال هذه الحياة واصبح اثراً بعد عين بضربة الموت الهائلة . انه ليحق لنا في هذا الموقف المحزن ان نكرر قول الحكيم : باطل الاباطيل وكل شيء باطل . وقد اضاف كتاب الاقتداء بالمسيح الى هذه العبارة التي هي الصدق بالذات كلمة كملت معناها وثبتت حقيقتها وهي : ما عدا خدمة الله ومرضاته

فالفقيد العزيز ولد من اسرة اشتهرت بتدينها ومحافظتها على المبادىء القويمة وقد عرفنا منها الكثيرين الذين امتازوا بتدينهم وفضائلهم وخصوصاً ذاك الشيخ الوقور والد الفقيد الذي امتاز في حياته بايمانه المتين وفضيلته الراسخة وسداد رأية فورث عنه الفقيد هذه الروح رغم وجوده في محيط مختلف فكان يواظب

على واجباته الدينية غير عابئٍ بالصعوبات و كصحافي مسيحي كان يلذ له في كل الاعياد المسيحية الكبرى كعيد الميلاد وجمعة الالام وعيد الفصح وتذكار الموتى ان يتحف قراءه بمقالة دينية تنم عن عاطفة تقوى وايمان حي . وقد تجلت فيه هذه الروح ورجع الى عهد الاباء والاجداد بنوع اكمل في مرضه الطويل وفي ساعاته الاخيرة . فانه احتمل الامه بكل صبر وتسليم مقتديا بالسيد المسيح على الصليب مقدما اوجاعه وضيقاته كفارة عن خطاياه واستمداداً لنعم الله على عائلته الاسيفة . وهكذا بهذه الروح وبهذه العواطف المسيحية فارقت نفسه هذه الدنيا لتلاقي فاديها ومخلصها يسوع المسيح الذي يتقبلها في ملكوته بين المسيحيين الذين حفظوا ايمانهم واتموا سعيهم المجيد .

فبهذا وبهذا لا غير نجد التعزية على مثل هذه الخسارة الكبيرة وبها نتقدم الى عائلته ومعارفه واقاربه ليتأسوا بها على هذا المصاب سائلين للفقيد الرحمة الواسعة ولذويه الصبر والسلوان

خطاب

في حفلة ازاحة الستار عن تمثال المطران جرمانوس فرحات
في ٢٠ ايار سنة ١٩٣٤

يا صاحب الفخامة، سادتي

طلبت مني لجنة الاحتفال ان اتكلم عن فرحات الرئيس الروحي فتقيدت بهذا الطلب ومن اجدر من الرئيس الروحي بالكلام عن الرئيس الروحي ؟

ان الرئيس الروحي في الكنيسة الكاثوليكية هو الرجل الذي يدعوه الله الى الكهنوت . وتقلده الكنيسة العناية بالشعب ليقوده في طريق الحق والفضيلة الى الكمال والقداسة في هذه الدنيا والى الخلاص الابدي في الاخرة

وبما ان لا احد يعطي ما لا يملك فلا يعطي القداسة من لا يملكها فيجب ان يكون الرئيس الروحي قديساً قبل كل شيء ولكن القداسة لا تكفيه فهو مكلف بادارة شعبه وحسن الادارة يعد ضرورياً للرئيس الروحي فتحت ادارته كهنة، واوقاف وفقراء . وهذا ما يطلب منه ادارة زمنية للقيام باودهم . خدمة للشعب المسيحي الذي يدبر اموره فالرئيس يجب ان يكون ادارياً . لكن الادارة الزمنية ما هي الاّ سلّم

للصعود الى الادارة الروحية لان ادارتـه ليست لهذه الدنيا فحسب بل للاخرة فمن الضروري ان يهيء النفوس للخلاص بغيرة لا تعرف الملل . وهذه هي الغاية من الرئاسة الروحية لا كسائر الرئاسات الزمنية : فالغيرة على خلاص النفوس هي صفته الكبرى وغاية كل اعماله ومما تقدم ترون ان الرئيس الروحي يجب ان يتحلى بثلاث صفات لا بد منها : القداسة الشخصية . حسن الادارة . الغيرة على خلاص النفوس — وهذه هي الصفات الكبرى التي تجلى بها فرحات كرئيس روحي . فكان قديساً وادارياً وغيوراً بدرجة فائقة وحول هذه الصفات الثلاث بدور محور كلامنا في هذا المساء عن المطران جرمانوس فرحات كرئيس روحي .

١ً قداسة فرحات .

ان فرحات رضع لبان القداسة منذ نعومة اظفاره في حلب حيث ولد وتربى تربية مسيحية حقيقية . وهذه التربية قادته الى حب الزهـد والتنسك فترك هو ورفقة له مدينتهم حلب لزيارة الاراضي المقدسة ثم عكفوا على لبنان واسسوا رهبنة شهيرة وكان اكثرهم زهداً جرمانوس فرحات فقـد عرفنا بذاتنا غرفته في دير ماريوحنا رشميا تلك الغرفة الصغيرة التي لم يكن فيها الا مصطبة حجر يفرش عليها بلاساً ويتوسد حجراً — كان يقضي معظم ليله في الصلاة والتأمل ناظراً من تلك

الطاقة الصغيرة التي لغرفته الى وادي رشميا الوعرة وجبال الباروك الشامخة وسنديانة مجدالمعوش القديمة متأملاً بعظمة الخالق وبالوقت ذاته كان ينظر الى تلك الكنيسة الصغيرة بجوار السنديانة وليس لها عظمة حتى ولا نافذة الا بابها، حيث هرب البطاركة يعقوب مخلوف واسطفانوس الدويهي ليحتموا في بلاد الدروز من اضطهاد الحكام بوشاية بني قومهم وبناء على زوال مجد هذه الدنيا ولزوم التجرد عنها حتى ولو كنا في اكبر المناصب

وكان هذا التأمل احسن استعداداً لما يدعوه الله اليه من المقام السامي في مطرانية حلب

٣ً قداسته في المطرانية : فالمطران فرحات تابع حياة القداسة في الاسقفية : بالصلاة والزهد والتجرد : حتى قيل عنه انه بقي راهباً في الاسقفية. فقد يظن البعض ان شرف الاسقفية قائم بالفخفخة – والمظاهر العالمية والرياش الفاخرة، والموائد الانيقة. ويعتقدون ان هذا لازم وضروري للمقام وقد ضل هولاء لان الاسقف عندنا لا يقبل الدرجة الاسقفية الا بعد ان يتشح بالاسكيم الرهباني دلالة على تجرده وزهده وتخصصه للقداسة الرهبانية. وشرفه ان يكون متجرداً وسط الغنى – وزاهداً في وسط الكرامات – عائشاً عيشة فقرية اقتداء بالسيد المسيح الذي عاش فقيراً ومات فقيراً، وهو رئيس الرؤساء – وخالق كل خيرات الدنيا

وهذا ما مارسه فرحات في اسقفيته، مكملاً حياته

الرهبانية بالتقوى والزهد والتجرد

ومن ثمارهم تعرفونهم . لان المطران فرحات تفرد بعلم اللغة العربية والف كتباً لشرح قواعدها وقصائد كمثال لبلاغتها وفصاحتها مما اترك شرحه بالتفصيل لغيري . لكن ما نلاحظه هو ان كل هذه المؤلفات لم تكن الا واسطة لبث روح الدين والتقوى والتجرد ، في كتابه بحث المطالب : لا نجد مثلًا الا مأخوذاً من الكتاب المقدس : من التوراة او من الانجيل لكثرة تعلقه بهما – وفي قصائده لا نرى الا رائحة تقوى وزهد تفوح منها – والاناء لا ينضح الا بما فيه .

وهذه القداسة الشخصية لم تمنعه من حسن الادارة الزمنية للكنيسة واوقافها لتسهيل خدمته الروحية

٢ً ادارة فرحات

ان المطران جرمانوس فرحات تهيّأ لحسن الادارة الزمنية بتدريبه في الرهبنة التي اشترك بتأسيسها . فقد استلم ادارة ثاني دير فيها . وهو دير مار يوحنا رشميا . وقد كانت عيشة الرهبان منقسمة الى شطرين الصلاة والعمل . شغل الارض حسب قوانين كل الرهبنات القديمة . فصلاة الخورس كانت تأخذ قسماً كبيراً من يوم الراهب وباقي النهار كان يكرس لشغل الحقل والتقليد مع روزنامة الدير يخبرنا ان الرزق الذي حول دير مار يوحنا رشميا هو من ايام فرحات وقد اشتغله الرهبان في

ايامه . وهو كان يشترك معهم بشغله اليدوي فهيأ مع رهبانه تلك الحقول التي تشبه السلالم بعمل حيطانه لمنع التراب ان يتهدر مع السيل الجارف الذي يتساقط مدراراً وقت الشتاء في تلك الانحاء وبفضل ذلك النبع الشهير الذي اعطى لرشميا اسمها (منبع الماء) وهو فوق الدير وفي ارضه غرست تلك الجنات الغناء التي جعلت دير مار يوحنا من اغنى الاديار لولا الازمة الحاضرة التي جعلت التوت بلا غلة بسبب تدني اسعار الحرير

وما عدا الحقول : فالكنيسة القديمة التي هي كناية عن عقد قائم على جدران منيعة . بناها الرهبان بيدهم — ونأسف لاهمالها بعد بناء الكنيسة الجديدة . فهي ذكر يجب ان يخدمها الرهبان لانها اول كنيسة للرهبنة البلدية وثاني كنيسة لسائر الرهبنات . وهي بالوقت ذاته ذكر خالد لفرحات وهمته الشماء

اما الدير فهو باقٍ على ما كان عليه في ايام فرحات فغرفه الصغيرة المسقوفة كلها عقداً وممشى بقناطر مسقوف بالجزوع والاخشاب التي غيرها الرهبان بسقف باطون في السنة الماضية لانها تداعت للسقوط اما الغرف فباقية على ما كانت عليه بسقفها العقدي مع الباطون الحالي من فوق العقد وكان ذلك باشارتنا حفظاً للعقد ومعه لذكر فرحات واول تأسيس الرهبنة . فكل هذا البناء قائم على عقود سفلى فخيمة البناء شاهقة العلو تستعملها الرهبان كمائدة وكلار ومزرب للبقر والاوائل اللازمة

لحراسة الارض . وهي من بناء فرحات . تدل على ارادته العملية رغماً عن تخصصه للصلاة والتأليف فجاء ديره منذ التأسيس ديراً مكملاً ببستانه واجزائه وارزاقه يلذ حتى اليوم للواصل اليه ان يجلس في ايوانه ويشاهد تلك المناظر الخلابة بعظمتها وتلك المياه المتدفقة من حول الدير وتلك الجنائن المحدقة بالدير .

ولما كانت الازمة الكونية قد لحقت بدير رشميا كما لحقت بكل انحاء لبنان، زهد الرهبان بشغل الارض اذ بخلت عليهم بما يكفي معيشتهم الفقرية، وصرفوا عنايتهم الى المدرسة التي اسسها فرحات قرب الدير والتي اصبحت بفضل غيرة رهبان فرحات من ارقى المدارس الابتدائية في لبنان ووجهوا مجهوداتهم الى خدمة رعية رشميا حيث خدم فرحات والى مزاولة اعمال الرسالة في القرى المجاورة حيث باشر فرحات رسالاته في كثير من قرى الابرشية البيروتية، فينتهز مطران بيروت هذه الفرصة ليقدم شكره لرهبان فرحات كما اشترك بتخليد ذكر مؤسس هذه الرهبنات التي نعتبرها سياج الطائفة وخزانها الروحي والادبي والمادي

وكما تستفيد الابرشية البيروتية وجميع انحاء لبنان من هذه الرهبنات نرجو ان تستفيد حلب ايضاً من مؤسسات كان لابنائها فيها اليد الاولى، والطولى، فهي احق من غيرها بخدمة ابناء فرحات، فحسن ادارة فرحات وفضيلته وعلمه

حملت رؤساء الطائفة على ان ينتخبوه اسقفاً على حلب، وفيها اظهر تلك المقدرة الادارية التي اشتهر بها في الرهبنة.

ورغم قصر المدة التي عاشها فرحات بعد الاسقفية قد توصل الى ان يشيد القلاية الحالية والكنيسة القديمة، ويقتني من الاوقاف ما يقوم بحاجات الكنيسة والمدرسة والكهنة والفقراء. واذا كان خلفاؤه زادوا وجددوا، واذا كان سيادة المطران ميخائيل اخرس استحق شكر ابناء ابرشيته بمضاعفة مداخيل الوقف مع استفحال الازمة الحاضرة فلا ننسى ان الفضل كل الفضل للمتقدم والمؤسس، فعلى اساس فرحات قد بنى الخلف. وهو بالحقيقة ابو الابرشية المارونية في حلب وخصوصاً ابو الفقراء. وقد كان يحرم نفسه من الضروري ليتمكن من مساعدتهم في تلك الايام العصيبة.

ولم تكن ادارته المادية الا وسيلة لغيرته الروحية، لان الغاية من الاوقاف ومن العناية بها ومن السعي وراء زيادة ريعها انما هي للاستعانه بها على ايراد النفوس مناهل الفضيلة والخلاص.

٣ غيرة فرحات

ان فرحات سيم اسقفاً للعناية بابناء الطائفة المارونية بحلب فمن العدل ان يبتدىء بخدمتها. فقد ادى لها خدمات جلى ليس بتأسيس الاوقاف فحسب، بل بالمواعظ التي كان يلقيها بنفسه اولرسالات التي كان يباشرها بشخصه، وبتنظيم الاحتفالات

والطقوس التي له الفضل الاعظم بتنسيقها وترتيبها وتوزيعها على ايام السنة وبترجمة اناجيلها ورسائلها ونبوءاتها الى اللغة العربية ليسهل فهمها على الشعب. فهو بعد الدويهي اكبر وافضل منظم للطقوس الدينية وفضله هذا قد عمّ الطائفة جمعاء.

على ان قلبه كان اكبر من ان يكتفي بطائفته وعنايته قد عمت سائر الطوائف المسيحية لانه كان المطران الكاثوليكي الوحيد في حلب

ولنا بالكتاب الذي وجهه اليه بطريرك النساطرة وكتابه لاحد المشايخ اكبر برهان على ان عنايته كانت تعم كل الطوائف المسيحية، فبطريرك النساطرة يرجوه ان يشمل بعنايته ابناء طائفته الذين لا احد يستطيع ان يعتني بهم مثله وفي الوقت نفسه يقيمه هذا البطريرك وكيلاً عنه في الروحيات والزمنيات. وفرحات يجيب الشيخ الخازني الذي يعاتبه على انقطاعه عن زيارة لبنان قائلاً: اني اتيت الى حلب لاكون مطراناً على الموارنة فاذا بي رئيس لكل المسيحيين من سائر الطوائف لاعتني بروحياتهم واحامي عنهم وعن حقوقهم امام الحكام.

فنفوذه لدى الحكام كان عظيماً لما كان متحلياً به من فضل وعلم ولاسيما لتلك المنزلة الرفيعة التي كان يحله فيها مشايخ المسلمين وعلماؤهم لفرط نبوغه في اللغة العربية. ولما كان المسيحيون يجهلون هذه اللغة كان يصعب عليهم التفاهم واخوانهم المسلمين، فاستفزت الحمية الوطنية فرحات الى ايجاد اسباب

التفاهم بين جميع الطوائف السورية رغبة منه بتأليف القلوب وحفظ السلام بين ابناء الوطن الواحد بتوحيد لغة البلاد.

فدرس اللغة العربية على احد مشايخ المسلمين ونبغ فيها نبوغاً نادراً ولكي يسهل على ابناء وطنه تلقنها، نشر المؤلفات العديدة في الصرف والنحو والبيان والبديع والعروض وجمع قاموس اللغة بصبر لا يوصف ونظم القصائد وكتب الخطب والمواعظ حتى فاقت مجلداته المئة في اللغة العربية. وأتى في سائر مؤلفاته بالامثال المأخوذة من العهدين: القديم والحديث ليظهر للنصارى ان اللغة العربية هي مسيحية كما هي اسلامية وهي اللغة الغنية بكل علم وفن، فحبب هذه اللغة الى من كانوا يستنكرونها قبلاً، ووضع للوطنية حجر الزاوية في توحيد لغة البلاد. وكان البادىء بتلك النهضة الادبية التي جعلت النصارى يتبارون مع اخوانهم المسلمين في سوريا ولبنان ومصر في رفع منار اللغة العربية، فهذه النهضة ابتدأت في القرن الثامن عشر وازدهرت في القرن التاسع عشر وهي لا تزال مزدهرة في القرن العشرين وبفضلها اشتهر البستانيون واليازجيون وسائر المؤلفين في العربية وبفضلها نرى المسيحيين ينتشرون في كل قطر ليرفعوا مع اخوانهم المسلمين منار اللغة وبفضلها رأينا شاعر الارز يطرب المصريين في وادي النيل كما انه يطرب الحلبيين في هذا المساء بشعرها الخلاب.

فيا حبذا لو تضافرنا جميعاً لمواصلة هذه النهضة في جميع

الانحاء العربية لمقاومة التيار الذي يجرف شبابنا الى اهمال لغة بلادهم . فما الغاية من سوق عكاظ الذي يُقام كل سنة مرات في مدرسة الحكمة ويشترك فيه المحمدي والمسيحي الا تعزيز اللغة العربية ، لتوحيد لغة الوطن فتكون اساساً لتوحيد النفوس وتآلف القلوب وانعاش روح السلام بين سائر ابناء الوطن العزيز . واذا كانت فكرة تمثال فرحات قد انتشرت ، واشتركت بها سائر الطوائف وكان المسلمون مستحسنيها قبل المسيحيين ، واذا كان اول من اكتتب في المشروع بسخاء حاتمي فخامة رئيس الجمهورية السورية وشاء فخامته مع سماحة رئيس حكومته ان يرئس هذه الحفلة الوحيدة في بابها ، واذا التف اليوم كل ابناء حلب على اختلاف النحل والطوائف والاحزاب حول هذا التمثال ، فما ذلك الا لان فرحات كان العامل الاكبر في تأسيس الوطنية الحقة بتأليف القلوب وتوحيد النفوس بين الوطن الواحد بتجديد وتعزيز اللغة الوطنية .

حفلة تكريم المطران مبارك

اقيمت في اول كانون الثاني سنة ١٩٣٥

كان يوم اول العام، موعد اقامة الحفلة التكريمية لسيادة الحبر المفضال المطران اغناطيوس مبارك رئيس اساقفة بيروت في منتدى كاتدرائية مار جرجس المارونية.

وفي الساعة الحادية عشرة تماماً كانت ثلة من رجال الشرطة قد اصطفت في الممر المؤدي الى المنتدى وجميع افرادها بالبستهم الرسمية، واقبل سيادة المحتفى به يحف به فريق من كبار رجال الاكليروس والوجهاء. فاستقبلته الموسيقى بالنشيد اللبناني ثم بالنشيد السوري، فاستوى سيادته في صدر القاعة تحف به الجماهير الغفيرة التي غص بها النادي في داخله وخارجه.

وعلى الاثر وقف حضرة الاستاذ موسى بك نمور فافتتح الحفلة بكلمة لطيفة اتى فيها مطولاً على ذكر صفات سيادة راعي ابرشية بيروت وما له من المواقف الشريفة في حقلي الدين والوطنية ثم قدم الهدية لسيادته باسم الشبيبة التي عهدت اليه تقديمها وكانت كناية عن علبة لطيفة الشكل والهندسة ضمنها صليب من الذهب الخالص وفي وسطه رمز الارز المقدس

فقبلها سيادته شاكراً وقد لاحت علائم البشر على محياه لحسن الذوق في انتقاء هذه الهدية الصغيرة والكبيرة معاً .

ثم تلا الاستاذ سليم الحباقي احد محرري جريدة الاتحاد اللبناني صك التقدير والشكر الذي وقعه جماهير الشباب وهو يحمل مئات التواقيع وكذلك رسالة لطيفة من اهالي بعبدا يعلنون فيها اشتراكهم بتكريم سيادته لما له على قصبة بعبدا من الفضل العميم .

ووقف الاستاذ نمور يقدم الاخطل الصغير الى الجماهير فدوت القاعة بالتصفيق ووقف شاعر لبنان الاستاذ بشاره الخوري والقى قصيدة عامرة الابيات قوطعت بالتصفيق واستعيدت ابياتها مراراً .

خطبة سيادة المطران

ووقف سيادة المحتفى به المطران مبارك فشكر لجميع المشتركين بالحفلة وللخطباء عواطفهم الكريمة ثم اخذ يتكلم عن استعداده الكلي للخدمة العامة فقال : « انني اشرفت على الستين من عمري وكنت احسب نفسي انني اصبحت رهين الشيخوخة فاذا بي الان اري التجدد يعود اليَّ من هذه الوجوه المشرقة والقلوب الفياضة بالامل وحب المصلحة العامة ففي سبيل هذه المصلحة اضحي بكل غال ورخيص عندما يدعوني الواجب »

فاستفزت كلماته اكف الحاضرين جميعاً وتعالى الهتاف لسيادته، وحوالي الظهر انفرط عقد الحضور واخذوا يمرون افراداً امام سيادته فيهنئونه بالعيد السعيد ويتبركون بلثم انامله الطاهرة.

فنهنئ سيادة الراعي المفضال المطران مبارك بهذه القلوب التي تضافرت على تكريمه حفظاً للجميل وقياماً ببعض الواجب اعاد الله عليه هذا العيد اعواماً عديدة.

...

قصيدة الاخطل الصغير

يا ملبس العيد عيداً من فعائله ... كأنها بسمات البر في السقم
لولاك ما في الثنايا من مراشفه ... فجر لمرتقب او نهـلة لظمي
اشعلت في خاطر الايام بارقة ... نسجت لألأها من دمعة الالم
من الاماني صرعى في اكمتها ... بين المطامع والاهواء والتهم
لله ايامك الغر التي انبجست ... فوق المنابر في جو من الضرم
تأبى الحقيقة الا ان تجردها ... سيفاً من النور يجلو حالك الظلم
لباك حين رفعت الصوت كل فتى ... يقول للوطن المحبوب: هاك دمي
خذ القيادة واخفق فوقها علماً ... يمشي لنصر بلا جيش ولا علم
ان الألى هدموا الباستيل عدلهم ... وقام سيفهم في خدمة القلم
لا يرزؤن بني الاحرار نهضتهم ... لنفرة الحق والاوطان والحرم

***

يا نجم لبنان بل يا فخر ليلته ... ويا رفيق المنى في ثغر مبتسم
لك القلوب التي لم تأل تمطرها ... سحاً من الحب في سح من الحكم
كأنها زهرات الفضل ما انفتحت ... الا ليهدي اليك الحمد كل فم
هذي الهدية جاءت في بساطتها ... تختال في الاعجبين العلم والكرم
ليحسد الذهب اللماع غرتها ... في كف منقبض او جيب مجترم
لم يجمع الارز فيها والصليب معاً ... الا ليجمع بين الضعف والشمم
كم من ضعيف القوى دان القوي له ... اذا تسلح بالاخلاق والشيم
لله اعياد لبنان التي سلفت ... كأنها سكرات الوصل في الحلم
كانت شباباً واما لا مجنحة ... رمى بها الدهر بين اليأس والهرم
يا صارف الكاس عنا لا تضن بها ... ويا اخا الوتر المكسال لا تنم
ادر علينا من الصهباء افتكها ... وخدر العصب المحموم بالنغم
قد يشرب الخمر من تغلو الهموم به ... وقد يغني الفتى من شدة الالم

وصية المطران مبارك

اننا نوافق على صحة امضاء سيادة اخينا المطران اغناطيوس مبارك رئيس اساقفة بيروت الموصي الموقع بخط يده على صك هذه الوصية المؤرخ بتاريخ هذه المصادقة الواقع في ٢٦ تشرين الثاني – السادس والعشرين من تشرين الثاني سنة الف وتسعمائة واثنين وثلاثين – امامنا وامام الشهود سيادة المطران بولس عقل والخوري يوسف الدكاش والخوري بطرس عقل والخوري ابراهيم حرفوش بعد ان قرر ان له تمام المعرفة بمندرجاتها

في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٣٢ الحقير

✝ انطونه بطرس

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

انا الحقير في رؤساء بيعة الله اغناطيوس مبارك رئيس اساقفة بيروت بما اني اعلم علم اليقين ان كل شيء ما خلا الله باطل وان لا بد من زوال هذا العالم الباهر وان الموت قضاء محتوم على الجميع فلا بد اذاً من ان اموت ولكن في ساعة لا اعرفها ولا يعرفها احد الا الله وحده – وعليه فاني اريد الان – انا بالحالة المعتبرة شرعاً املك فيها صحة عقلي وجسمي

ان اتمم وصيتي الاخيرة واحررها قبل ان اموت وانا اعتقد واؤمن بكل ما تعتقده وتؤمن به الكنيسة المقدسة الكاثوليكية واعلن اني كما عشت وحييت بهذا الايمان ان اموت عليه وبالاجمال اقول اني اقبل وابارك كل ما تقبله وتباركه امنا الكنيسة المقدسة الكاثوليكية وارفض كل ما ترفضه ولا تقبله فهذا ايماني في الحياة وفي الممات – اسأل الله الاب والابن والروح القدس بشفاعة ذات الشفاعات سيدتنا مريم العذراء وجميع القديسين ان يحفظني ويثبتني في هذا الايمان الى النفس الاخير وان يغفر لي جميع خطاياي واني التمس المغفرة من كل من يحسب اني اسأت اليه كما اني غفرت واغفر لكل من اساء الي بشيء متكلاً على رحمته تعالى وراجياً ان يغفر لجميعنا واني باسمه الحي اقرر ما يأتي :

اولاً – كل ما هو موجود في الصندوق الحديدي في كرسي بيروت او في عين سعاده في غرفتنا الخاصة يوزع كما يأتي : في صندوق بيروت ، الطبقة العليا ، كل ما يحتويه هو للكرسي ولا يخصنا منه شيء – وفي الطبقة الثانية – امانات لاشخاص مختلفين مكتوبة اسماؤهم ونياتهم على ظروفها او في داخل الظروف – فترجع اليهم عند الطلب وبموجب التعليمات الموجودة فيها – وهي مسجلة في سجل الامانات الموجود في الكرسي – والطبقة الثالثة – مؤلفة من جارورين – فالجارور الذي على يمين الواقف امام الصندوق يحتوي على بعض دراهم

خصوصيـة واوراق خصوصية لاخينا شكري واولاد اخينا منصور وهم – ميشال ووديع وبطرس فتسلم الاوراق لهم – اما الدراهم اذا وجد فتوزع قداسات عن نفسي مع ما يتوزع من الكرسي – اما الجارور الذي على شمال الواقف امام الصندوق فهو مختص بالكرسي الاسقفي في كل ما يحتويه – ولا احد له دعوى عليه – واما صندوق عين سعاده، فاذا وجد فيه فكل ما تحتويه الطبقة العليا هو للكرسي الاسقفي – وفي الطبقة الثانية امانات لاصحابها كما هو مشروح اعلاه – والطبقة الثالثة تحتوي على ما يخص اخانا شكري واولاد اخينا منصور كما مر ذلك .

ثانياً – ان كل ما هو مشترى باسمي من ثابت ومنقول في الجبل وفي بيروت او في غيرهما فهو جميعه من مال الوقف المعروف بكرسي ابرشية بيروت وخاص به ولا عبرة بوجود اسمي في صكوك الشراء فما هو الا عارية وليس هو على سبيل التملك والاختصاص – وان كل مـا هو موجود في غرفتي بدار الاسقفية في مدرسة الحكمة وفي غرفتي في كرسي عين سعادة وفي كتدرائية مار جرجس في بيروت من منقولات واثاث وادوات وامتعة ذهبية وفضية ومن خواتم وسلاسل وصلبان وغيرها على اختلاف اجناسها وانواعها ومن نقود وخلافها سواء كان ذلك من مداخيلي الخاصة او من المداخيل الحاصلة بوجاهة الاسقفية – او من المداخيل المعروفة

بالوظيفة ومن كتب ايضاً سواء كان اسمي مكتوباً عليها بقصد الملكية الخاصة او غير مكتوب عليها فكل ذلك وبجملته هو خاصة كرسي ومدرسة الابرشية البيروتية وموقوف وقفاً مؤبداً على فقراء هذا الكرسي – ولا اخص احداً كائناً من كان بشيء من ذلك كله – لان ليس لي حق فيه البتة ولا يجوز لاحد من اقاربي – بعد موتي – ان يدعي حق الارث في شيء مما تقدم ذكره ولو كان من ملكي الخاص بتاتاً – ما عدا ما ذكرناه في البند الاول.

ثالثاً – اني اعلن ان ليس علي دين خاص لاحد ولا في ذمتي شيء لاخر – كذلك ليس لي دين خاص بي في ذمة احد من الناس – فان وجد سند مالي سواء كان لي او علي مما يختص بي مهما كانت قيمته فهو باطل ومزور ولا يجوز العمل به.

رابعاً – من اوراقي ودفاتر حساباتي الخاصة يعرف ما هو لي او علي فاذا عرف من حساب دفتر قداساتي الخاصة انه يوجد في ذمتي بعض قداسات لم توف بعد – فاني امر بوجوب ايفائها حالاً بمقتضى حسناتها المعينة – لانها دخلت على ذمتي وهي غير موفاة فيجب ايفاؤها.

خامساً – ان جميع حسابات الكرسي في بيروت ومدرسة الحكمة وعين سعاده ليست في يدي وانما هي مسلمة بامري الى قيم ثقة وانا اشرف مرة بعد اخرى عليها جميعها وانظر

فيها فهذه كلها تكون قيد الاطلاع عليها والنظر فيها والمصادقة عليها ممن تسند اليه الوكالة او يخلفني في الاسقفية على كرسي ابرشية بيروت .

سادساً – ان ما يصيبني من ميراث والدي في قرية رشميا لقد صارت قسمته بين اخينا شكري واولاد اخينا منصور وهم ميشال ووديع وبطرس بموجب صكوك مسجلة .

سابعاً – من يخلفني على كرسي بيروت بالوكالة او بالاصالة ان يقدم عن نفسي الفي قداس دون ابطاء توزع على كهنة الابرشية يوم وفاتي او بعده بقليل وعلى كل منهم الزام عدل ان يقدسها حالاً .

هـذا واني اكرر تقرير جميع مـا تقدم واقر به اقراراً صحيحاً شرعياً صادراً مني بملء ارادتي واختياري دون اكراه او اجبار او تلجئة او اضطرار – وبياناً لذلك واثباتاً له قد امرت بكتابة صك وصيتي هذا وامضيته بخط يدي وختمته بختمي ليكون العمل بموجبه .

في ٢٦ ت٢ سنة ١٩٣٢ الحقير

مكان الختم اغناطيوس مبارك

مطران بيروت

شهود الحال :

الخوري ابرهيم حرفوش – الخوري بطرس عقل – الخوري يوسف الدكاش – المطران بولس عقل

فهرست المواعظ

القسم الاول

المواعظ الدينية

مواعظ صوم سنة ١٩٢٩

في الواجبات الاجتماعية

صفحة

٣ العظة الاولى : في الاخاء البشري

٨ » الثانية : في الاخاء المسيحي

١٣ » الثالثة : في الرذائل المضادة للاخاء المسيحي وهي الكبرياء والحسد

١٨ » الرابعة : في ادويه الرذائل المضادة للاخاء المسيحي وهي مقاومة الارادة

٢٣ » الخامسة : لا تقتل

٢٨ » السادسة : شواذات لا تقتل

٣٤ » السابعة : السيد المسيح في الامه قدوة الاخاء والمحبة

مواعظ صوم سنة ١٩٣٠

لا تسرق

٤١ العظة الاولى : حق التملك

٤٩ » الثانية : حدود حق التملك - الصدقة

٥٨ « الثالثة : حدود حق التملك — واجب العدل
٦٨ « الرابعة : احترام حق التملك — لا تسرق
٧٦ « الخامسة : المعاونة على الظلم — خرق حق التملك
٧٦ « السادسة : التعويض عن السرقة

مواعظ صوم سنة ١٩٣٢

في وصايا الكنيسة

٩٧ العظة الاولى : في سلطة الكنيسة في سن الشرائع
١٠٧ « الثانية : سماع القداس ايام الاحاد والاعياد
١١٧ « الثالثة : تقديس يوم الاحد بالقربان المقدس
١٢٧ « الرابعة : استماع القداس والمناولة الفصحية
١٣٥ « الخامسة : الاعتراف السنوي
١٤٦ « السادسة : الصوم والقطاعة

مواعظ صوم سنة ١٩٣٣

الخطايا الرئيسية

١٥٩ العظة الاولى : الكبرياء
١٧٠ « الثانية : الحسد
١٨٠ « الثالثة : الغضب
١٩٥ « الرابعة : الدعارة والشراهة
٢٠٦ « الخامسة : البخل
٢١٦ « السادسة : الكسل

مواعظ صوم سنة ١٩٣٤

وسائط الخلاص في الصلاة

صفحة

٢٢٩ العظة الاولى : في النعمة الالهية
٢٣٩ « الثانية : في الصلاة
٢٤٩ « الثالثة : الصلاة الفردية والجمهورية
٢٦٠ « الرابعة : الصلاة اللفظية والصلاة العقلية
٢٧٣ « الخامسة : في موضوع الصلاة
٢٨٢ « السادسة : في الصلاة الربية
٢٩٤ رسالة رعائية في الاداب المسيحية سنة ١٩٢٤

القسم الثاني

الخطب السياسية

٣١٥ خطاب عيد الفصح
٣١٨ قنبلة بكفيا
٣٢٠ قنبلة مار مارون
٣٢٥ ذيول قنبلة مار مارون
٣٣٣ خطاب البرنامج
٣٤٣ برنامج سيادة المطران مبارك
٣٥٠ خطاب المقاطعة في عيد الفصح
٣٥٤ المطران مبارك وتخفيض الضرائب
٣٦٠ خطاب عيد الفصح سنة ١٩٣٤

صفحة

٣٦٤ عيد مار مارون وازمة المونوبول
٣٧٢ خطاب المطران في عيد الفصح سنة ١٩٣٥

ملحق

تصريحات سياسية

٣٧٤ لبنان غير سوريا
٣٨٣ تصريح سيادة المطران مبارك لجريدة العاصفة
٣٨٦ تصريح المطران اغناطيوس مبارك لجريدة المقطم
٣٩٠ بيان سيادة المطران مبارك
٣٩٢ بيان المطران مبارك في مسألة المونوبول

القسم الثالث

الخطب الادبية

٣٩٥ خطبة ترحيب بالكولونيل جاكمن
٣٩٨ تأبين المثلث الرحمة البطريرك اغناطيوس افرام رحماني
٤٠٧ تأبين المثلث الرحمة المطران نعمة‌الله ابي كرم
٤١٤ خطاب حفلة ازاحة الستار عن تمثال يوسف بك كرم
٤٢١ خطاب حفلة ازاحة الستار عن تمثال المطرانين عون والدبس
٤٢٨ بلاغة وبيان تأبين شيخ صحافة لبنان وديع عقل
٤٣١ خطاب ازاحة الستار عن تمثال المطران جرمانوس فرحات
٤٤١ حفلة تكريم المطران مبارك
٤٤٥ وصية المطران مبارك

DATE DUE

5 MAY 1971

J. Lib.

27 JUN 1982

252.6:M941tA:c.1
مبارك ،اغناطيوس (المطران)
الثمر المبارك من نفائس وروائع
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000855

252.6
M941tA